مطارحات في العقيدة

المعاد

رؤية قرآنيّة

آية الله العلامة

السيد كمال الحيدري

بقلم

الشيخ خليل رزق

الجزء الأوّل

حيدري، كمال، ١٩٥٦ م
المعاد رؤية قرآنية: أبحاث آية الله العلاّمة السيد كمال الحيدري / بقلم خليل رزق. ـ قم: دار فراقد، ١٤٣١هـ. = ٢٠١٠م. = ١٣٨٨ش.
٢ ج. - . (دوره) ISBN 978 – 964 – 2902 – 47 – 7
١٢٠٠٠٠ ريال - . (ج. ١) ISBN 978 – 964 – 2902 – 48 – 4
فهرست‌نويسى بر اساس اطلاعات فيپا
بالاى عنوان: مطارحات في العقيدة.
كتابنامه: ص. ج. ١. ص. (٤٥٩) ـ ٤٦٨؛ ج. ٢. ص (٤٤٩) ـ ٤٥٩؛
همچنين به صورت زيرنويس.
نمايه.
١. معاد ـ جنبه هاى قرآنى. الف. رزق. خليل، محرر. ب. عنوان. ج. عنوان: مطارحات في العقيدة.
٩ح ٥٧م / ١٠٤ BP ١٥٩ / ٢٩٧

المعاد رؤية قرآنية

أبحاث آية الله العلامة السيد كمال الحيدري

الجزء الأول

تأليف:	الشيخ خليل رزق
التدقيق والمراجعة اللغوية:	عبد الرضا افتخاري
تنضيد الحروف:	محمد البديري
عدد النسخ:	١٠٠٠
سعر النسخة (للجزئين)	١٢٠٠٠ تومان
الطبعة الأولى:	١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م
المطبعة:	ستاره
ISBN (الدورة):	٧ ـ ٤٧ ـ ٢٩٠٢ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
ISBN (ج ١):	٤ ـ ٤٨ ـ ٢٩٠٢ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار فراقد للطباعة والنشر
قم ـ إيران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقدّمة

آية الله العلاّمة
السيد كمال الحيدري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

يُعتبر المعاد من الأُصول الثلاثة التي التزمت بها سائر الديانات السماوية، بل وقالت فيه جملة من الديانات الوثنية أيضاً. وذلك لأنها استجابة فطرية لعالم ستظهر فيه الحقائق عياناً كما هي، تغيب فيه الاستظهارات كلّياً ويحلّ التشخص، تغيب فيه الصور والخواطر ويحضر المُصوَّر، والكلّ يمثل أمامَ الله الْخَالِقِ الْبَارِئ الْمُصَوِّر، فهو العالم الذي تستقرّ فيه النفس من شحناء الخواطر النفسية والأسئلة الفطرية والإشكالات الإستراتيجية التي تُولد مع الإنسان، فيُقدّم فيها قدماً ويؤخّر أُخرى، فجميع الأجوبة الحصولية قد تصنع لنا منظومة فكرية محكمة، وقد توطّد عُرى الإيمان، ولكنها ستبقى شبه عاجزة عن توفير الاطمئنان المطلوب فطرياً، بل إن الفطرة السليمة عادة ما تتحرك باتجاه طلب الحقيقة وتحصيلها من غير غطش والتباس وغموض، وهذا ما يتعسّر حيازته في هذه النشأة السفلية، فتكون حيازة الحقيقة الطُهر في عالم آخر أمراً ضرورياً، إنها الحركة الفطرية باتجاه الطمأنينة الإبراهيمية، إذا جاز لنا التعبير.

إنه السؤال الإبراهيمي الذي يعتمل في كل نفسٍ نقيّة، وهو بحاجة إلى إجابة من نوع آخر، إنه بحاجة إلى معاينة لا إلى برهان، فالبرهان في هذا الأُفق الإبراهيمي عاجز عن التلبية والطواف حول الحقّ والحقيقة العينيّة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ...﴾ (البقرة: ٢٦٠). إنه إبراهيم الخليل وشيخ الموحّدين الذي كان نبيّاً وإماماً، وليس مُجرّد إنسان مؤمن صالح تقيّ، فهو لم يقصر إيمانه عن التصديق بذلك ولكنه لم يُشاهد ذلك بأُمّ عينه، فكان له ما أراد لينقطع ذلك السؤال الذي تنوء بحمله الفطرة وأبرزته بقوّة كمالاته ومعارفه العليا.

ولكن ما يُهوّن الخطب هو أنّ هذه المسألة ـ إراءة كيفية الإحياء ـ ليست مطلباً إلهياً عامّاً، وإنما هي وليدة التدبّر العميق، فلا يُؤاخذ الإنسان عموماً على القصور أو التقصير فيها، ولكن كلّ بحسبه، لأنها تُشكّل هدفاً معرفياً قد يُلزَم به البعض.

وهذا ما يُعمّق وجه الحاجة إلى تقسيم الأُصول العقدية إلى أُصول أساسية وثانوية، وبيان ما يجب الإيمان به وما لا يجب، وهذا ما سيجده القارئ في سطور هذه الدراسة التي راعينا فيها المستوى العامّ في ثقافة ما بعد الموت، كما راعينا فيه المستوى العامّ للمتلقّين، وأما بحوثنا التخصّصية التحقيقية فيه فقد تعرّضا لها بشكل دقيق ومُفصّل في دراساتنا التخصصية في شرح كتاب المعاد[١] من الأسفار الأربعة لصدر الدين الشيرازي.

وقد كان الهدف واضحاً من توخّي السهولة في عرض وتصوير هذه الأبحاث الدقيقة وهو تقديم ثقافة عامّة ـ أو شبه عامة ـ لعامّة القرّاء، بعد أن كنّا قد وقفنا على الحاجة المُلحّة لذلك، حيث يفتقد الكثير من الناس إلى الوضوح في أصل موضوعة المعاد فضلاً عن مسائله.

---

(١) جاء كتاب المعاد في الجزء التاسع ـ الأخير ـ من الأسفار الأربعة، وقد قدّمنا فيه دراسات كاملة هي في طور الإعداد.

ولعلّ هذا الهدف التعليمي والتربوي الذي تُمليه علينا مسؤوليتنا في التصدّي لأُصول العقيدة يُعطينا المبرّر في اعتماد نكتة التكرار في بعض المطالب بغية ترسيخها في ذهن القارئ.

ولكنّ هذا السير العامّ في عرض موضوعات المعاد ومسائله لم يخلُ من نكات دقيقة عميقة تحتاج إلى رصيد معرفيّ مُسبق، وهذا ما يتيح الفرصة لبعض القرّاء المتعلّمين بل والمتخصّصين أيضاً من تحقيق الفائدة، بل ربما تكون هذه الدراسة مشروعاً تدريسياً ثقافياً لعامّة الناس، حيث تُوقف المتصدّي لذلك على تفاصيل افتقرت لها مجاميع كثيرة من المصنّفات التي تعرّضت لموضوعة المعاد.

هذا، وينبغي أن يُعلم بأنّ هذا الحضور التأريخي للمعاد في ذاكرة الإنسان جعل النصّ الديني عموماً والقرآني خصوصاً يُولي أهمية استثنائية له، ويُبرزه بشكل شبه تفصيلي، وليس الأمر مُرتبطاً بجانب الجذب لنداء الرسالات فحسب، وإنما لما تمتلكه موضوعة المعاد من رصيد كماليّ عظيم، ومن الواضح والثابت في مظانّه أن النصّ الديني قد تكفّل بإثارة دفائن العقول.

إن النصوص القرآنية التي تناولت موضوعة المعاد شكّلت مساحة واسعة وحضوراً منقطع النظير، لعله لا يضاهيه إلا المعارف التي عرضت لموضوعة التوحيد.

إنّ هذه العناية القرآنية الفائقة بموضوعة المعاد تنمّ عن العلاقة الوثيقة لهذا الأصل بالبعد المدني والاجتماعي للإنسان، نظراً لكون القرآن الكريم يُمثل الأُطروحة الأمثل في صياغة المجتمع المثالي الفاعل في الأرض والمتفاعل مع السماء، ومن خلال ذلك كله نستشفّ وفاقاً تامّاً لحركية النصّ القرآني مع المقولة السليمة: (الإنسان مدني بالطبع)، ولهذا سوف يلمح القارئ منا عناية خاصّة بإبراز الآثار الاجتماعية المترتّبة على موضوعة المعاد نفياً وإثباتاً.

ولعلّ هذه العناية القرآنية بموضوعة المعاد شكّلت أهمّ الأسباب التي جعلت قراءتنا للمعاد قرآنية بالدرجة الأُولى، فيكون ما أسمينا به هذه الدراسة العامة بـ (المعاد ... رؤية قرآنية) واقعياً ومُبرَّراً، ولكن دون أن نغفل دور الرواية في البسط والتوضيح.

وسيلمح القارئ مطالب أخرى جمّة في كمّها ونوعها تعسّر علينا الإشارة إليها في هذه السطور القليلة، من قبيل كيفية الموت وسكرته، وكيفية حضور أهل البيت عليهم السلام عند المحتضر، وحقيقة البرزخ، وغير ذلك من عشرات بل مئات المسائل التي تكفّل هذه الكتاب بعرضها وبأُسلوب واضح وشيّق، وهنا لابد من الإشارة إلى الجهد الكبير الذي بذله ولدنا العلامة الحجة الشيخ خليل رزق ـ دامت بركاته ـ في إخراج هذا الأثر، داعياً العليّ القدير أن يجعله دائم العطاء في هذا المجال.

وفي الختام أودّ أن أنبّه إلى أن مجموعة أبحاث هذه الدراسة هي خلاصة ما قدّمناه في حوارياتنا في برنامج (مطارحات في العقيدة) في حدود موضوعة المعاد، آملين شمول هذه الدراسات لموضوعات أُخرى عرضنا لها في تلك الحواريات التي عمّ النفع فيها، ولله الحمد.

أخيراً لا يسعني إلا تقديم جزيل الشكر ومنتهى الامتنان إلى كل من الأُستاذ الإعلامي الحاج عباس الباقري الذي أجرى الحوار، والأخ العزيز أبي أحمد العزيزي مُخرج برنامج مطارحات في العقيدة، والأخ العزيز عبد الرضا الافتخاري الذي قام بمراجعة الأبحاث فنيّاً ولغوياً بعد تقريرها، على ما بذلوه من جهد مشكور في إيصال هذه المطالب إلى القارئ.

كمال الحيدري

شوال / ١٤٣٠ هـ

بحوث تمهيديّة

- أقسام المعارف الدينيّة
- الولاية وأثرها في قبول الأعمال
- موقع المعاد وأهمّيته في المعارف الدينيّة
- الآثار الاجتماعيّة للإيمان بالمعاد

للوقوف على أهمّية مبحث المعاد ومكانته وموقعيّته في منظومة المعارف الدينيّة عموماً، ثمّ بيان أهمّية مسألة المعاد في القرآن الكريم لابدّ من الإشارة إلى مقدّمة تمهيديّة تحدّد لنا الفائدة والأهمّية من هذا البحث، وهذه المقدّمة نتناول فيها منظومة المعارف الدينيّة وأقسامها.

أقسام المعارف الدينيّة

يمكن تقسيم مجموعة المعارف الدينيّة إلى قسمين:

القسم الأوّل: المعارف التي يُطلب فيها مجرّد الإيمان. أي أنّ الله سبحانه وتعالى ليس له غاية من وراء هذه المعارف سوى أن يؤمن بها الإنسان.

القسم الثاني: المعارف التي شُرِّعت وبُيِّنت من قِبل الله سبحانه وتعالى لكي يتمّ العمل من خلالها.

فالمعارف الدينيّة إذن تنقسم إلى معارف مرتبطة بالإيمان والعقيدة، وأخرى مرتبطة بالعمل.

والقسم الأوّل هو من قبيل الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالنبوّات، والإيمان بنبوّة النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله، والإيمان بالمعاد، والإيمان بصفات الله تعالى، والإيمان بالغيب ونحو ذلك من القضايا.

وهذه كلّها تدخل في منظومة الأمور العقديّة والإيمانيّة التي يُطلب من الإنسان الإيمان بها. ومن هنا لا نجد مورداً في القرآن الكريم يُذكر فيه العمل الصالح إلاّ ويقرنه بالإيمان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

أمّا القسم الثاني فهو من قبيل الصلاة، والصوم، والحجّ... وهذه كلّها أمور تدخل في دائرة وموقعيّة العمل، والممارسة التي تصدر من الإنسان.

وفي الواقع يمكن أن نختصر الفارق والمائز بين هذين القسمين من المعارف بجملة واحدة، وهي: إنّ الأمور العقديّة تعدُّ أصلاً للأمور العمليّة؛ بمعنى أنّ الأمور العمليّة إنّما تكون ذات قيمة في الحساب الإلهي إذا كانت مسبوقة بهذه الأمور العقديّة، فإذا كان الإيمان صحيحاً فإنّ العمل يكون له حينئذ قيمة، أمّا إذا كان الإيمان باطلاً وفاسداً فإنّ العمل لا يكون له أيّة قيمة في الحساب والميزان الإلهي، بل إنّ الإيمان هو أفضل الأعمال ولا يمكن قبول العمل إلاّ به.

• عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: أيّها العالم أخبرني أيّ الأعمال أفضل عند الله تعالى؟ قال: **ما لا يقبل الله تعالى شيئاً إلاّ به**، قلت: وما هو؟ قال: **الإيمان بالله الذي لا إله إلاّ هو، أعلى درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظّاً**».

وقال: «قلت: ألا تخبرني عن الإيمان، أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ قال: **الإيمان عمل كلّه والقول بعض ذلك العمل**، إلى أن قال: **الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التامّ المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيِّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه**، قلت: إنّ الإيمان ليتمّ وينقص ويزيد؟ قال: **نعم**، قلت: كيف ذاك؟ قال: **لأنّ الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها، فليس في جوارحه جارحة إلاّ وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها**»[(١)].

والعمل بما له من الظاهر ليس هو المقياس، بل المقياس هو مدار صحّة

---

(١) **الأصول من الكافي**، محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، قم، ١٩٨٦م: الحديث ١، ج ٢ ص ٣٣؛ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، دار التعارف، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: الحديث ٦، ج ٦ ص ٢٣.

الإيمان، وإذا ما كانت تلك الاعتقادات سليمة وصحيحة فلا شكّ عند ذلك بقبول العمل، أمّا إذا كان الإيمان والاعتقاد فاسداً وباطلاً فإنّ العمل لا يكون مقبولاً، بل لا يكون ذا قيمة.

تطبيق قرآنيّ

مثال ذلك واضح في التطبيق القرآني لهذه النظريّة، فالشرك ـ في القرآن ـ يؤدّي إلى حبط كلّ شيء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ (النساء: ١١٦). وهذا بخلاف ما لو لم يكن هناك شرك من الإنسان بالله تعالى، وكان الإيمان صحيحاً ولكن من حيث العمل وقع من الإنسان اشتباه أو ما شاكل ذلك، فهنا يمكن القبول من الله تعالى، ويمكن أن تكون له النجاة من النار، أو يُرجى له ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٢).

وعن تأثير الإيمان في العمل وكون الدِّين مبنيّاً على الإيمان والاعتقاد يقول الطباطبائي في تفسير مطلع سورة «المؤمنون»:

«وليس مجرّد الاعتقاد بشيء إيماناً به حتّى مع عدم الالتزام بلوازمه وآثاره.. والإيمان وإن جاز أن يجتمع مع العصيان عن بعض لوازمه في الجملة لصارف من الصوارف النفسانيّة يصرف عنه، لكنّه لا يختلف عن لوازمه بالجملة.. الدِّين السنّة الاجتماعيّة التي يسير بها الإنسان في حياته الدنيويّة الاجتماعيّة، والسنن الاجتماعيّة متعلّقة بالعمل مبنيّاً على أساس الاعتقاد في حقيقة الكون والإنسان الذي هو جزء من أجزائه، ومن هنا نرى أنّ السنن الاجتماعيّة تختلف باختلاف الاعتقادات كما ذُكِر...

فالدِّين سنّة عمليّة مبنيّة على الاعتقاد في أمر الكون والإنسان بما أنّه جزء من أجزائه، وليس هذا الاعتقاد هو العلم النظري المتعلّق بالكون

والإنسان، فإنّ العلم النظري لا يستتبع بنفسه عملاً وإن توقّف عليه العمل، بل هو العلم بوجوب الجري على ما يقتضيه هذا النظر، وإن شئت فقل: الحكم بوجوب اتّباع المعلوم النظري والالتزام به، وهو العلم العملي كقولنا: يجب أن يعبد الإنسان الإله تعالى ويراعي في أعماله ما يسعد به في الدُّنيا والآخرة معاً.

ومعلوم أنّ الدعوة الدينيّة متعلّقة بالدِّين الذي هو السنّة العمليّة المبنيّة على الاعتقاد، فالإيمان الذي يتعلّق به الدعوة هو الالتزام بما يقتضيه الاعتقاد الحقّ في الله سبحانه ورسله واليوم الآخر وما جاءت به رسله وهو علمٌ عمليّ...»[1].

أمّا عن تسمية الأمور العمليّة بالفروع، والأمور العقديّة بالأصول فهو لأنّ الأصول هي الأُسس التي يُبنى عليها العمل بالفروع.

والحاصل: إنّ المعارف الدينيّة عموماً تنقسم إلى:

أوّلاً: معارف مرتبطة بالإيمان.

ثانياً: معارف مرتبطة بالعمل.

وبعبارة أخرى: معارف مرتبطة بالأصول، ومعارف مرتبطة بالفروع.

وبالعودة إلى القرآن الكريم فإنّنا لا نجد فقط أنّ العمل إنّما يكون قبوله على أساس صحّة الإيمان والاعتقاد، بل نرى أساساً أنّ قيمة العمل إنّما تكون على أساس الاعتقاد، وهذا معنى التفاوت في درجات الثواب على الحسنة في القرآن الكريم، حيث نجده:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي (ت: ١٤١٢هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم، مصوّر عن طبعة مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٣م: ج ١٥ ص ٧ ـ ٨.

• مرّة يقول: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ (الزمر: ١٠)، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ (النحل: ٣٠).

• ومرّة ثانية يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: ١٦٠).

• وثالثة يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ (النمل: ٨٩)، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١١)، ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (التغابن: ١٧).

فالثواب على الحسنة بحسب هذه الآيات له درجات مختلفة، فمرّة تكون الحسنة بمثلها، وأخرى بعشر أمثالها، وثالثة يضاعفها الله تعالى بما لا يُعدّ ولا يحصى، فما هو السبب في ذلك؟

الجواب: إنّ العمل بما هو عمل، تكون له درجات مختلفة؛ لأنّ اختلاف درجات العمل إنّما يكون منشؤه الاعتقاد، فكلّما كان الاعتقاد أكثر دقّة وأكثر صحّة وأكثر سلامة، كان العمل أكثر قيمة عند الله سبحانه وتعالى، ومن هنا تفاوتت نسبة الأجر عليه وإعطاء الثواب له.

فإذا أردت أن تعطي العمل درجة عالية فالطريق إلى ذلك هو أن تجعل الاعتقاد صحيحاً، وأن ترفع درجة الاعتقاد، وأن ترفع درجة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وكذلك باقي الأصول العقدية.

تطبيق قرآني آخر

يقول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١)، فهذه الآية أعطت للعمل عدّة درجات:

أوّلاً: قالت إنّ العمل قد يكون بسبعمائة ضعف ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ

﴿مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾، إذن الواحد بسبعمائة.

وثانياً: ثمّ تقول الآية ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: وقد تُضاعَف السبعمائة.

وثالثاً: ثمّ يضيف الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ بمعنى أنه تعالى قد يعطي للبعض على سعة رحمته التي لا نهاية لها.

الإيمان بالولاية وأثرها في قبول الأعمال

من الأصول الأساسيّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام أنها تعتقد بأنّ الإيمان بالولاية والإمامة ليس من الفروع العملية في المعارف الدينيّة، وإنّما من الأصول العقدية والإيمانيّه فيها.

وبناءً على ما تقدّم من اعتبار المعارف العقدية أساساً لقبول الأعمال ودرجة قيمتها عند الله تعالى، يمكن القول بأنّ الإيمان بالولاية يعدّ أساساً لقبول الأعمال أيضاً، كما هو الحال في تأثير الإيمان بالتوحيد والنبوّة والمعاد. فإذا قبلنا بأنّ الإيمان بالله والنبوّة والمعاد والإمامة الخاصّة التي نعتقدها لأئمة أهل البيت عليهم السلام تعدّ من الأمور العقدية والإيمانيّة، فبطبيعة الحال سوف يكون لهذه المسائل العقدية تأثير مباشر أوّلاً في أصل قبول العمل، وثانياً في إعطاء قيمة أفضل للعمل.

والنصوص الروائيّة الدالّة على هذه الحقيقة كثيرة متظافرة؛ منها:

• في «أصول الكافي» بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضى الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إنّ الله عزّ وجلّ يقول:** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ (النساء: ٨٠). **أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله، فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عزّ وجلّ حقّ في ثوابه،**

ولا كان من أهل الإيمان ... ».[١]

لذا قال بعض الأعلام المعاصرين: «إنّ ولاية أهل البيت ومعرفتهم شرط في قبول الأعمال، بل هي من ضروريات مذهب التشيّع المقدّس، والأخبار هذا الموضوع أكبر من طاقة مثل هذه الكتب المختصرة على استيعابها، وأكثر من حجم التواتر».[٢]

إلا أنه لابدّ من الالتفات إلى أنّ من الحقائق التي سنتوفّر عليها لاحقاً في مباحث هذا الكتاب: أن قبول الأعمال وإن كان متوقّفاً على الإيمان بالإمامة والولاية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، إلا أنّ النجاة من النار والدخول إلى الجنة ليس منحصراً بهذا الطريق، بل يمكن أن يتحقّق لمن لم يكن في قلبه بغض ولا نصب العداء لهم، وإن لم يعرف إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، إذا كان ذلك عن قصور وضعف واستضعاف، لا تقصير بعد قيام الحجّة والبيّنة.

والنصوص الدينية التي تحدّثت عن هذه الحقيقة كثيرة؛ منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: ٩٧ ـ ٩٩)، حيث يستفاد منها أنّ الجهل بمعارف الدين ـ كلًّا أو بعضاً ـ إذا كان عن قصور وضعف ولم يكن فيه صنع للإنسان الجاهل، كان

---

(١) **الأصول من الكافي**: كتاب الكفر والإيمان، باب دعائم الإسلام، الحديث٥، ج٢ ص١٩.

(٢) **الأربعون حديثاً**، الإمام الخميني، تعريب: السيد محمد الغروي، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ: ص ٥٩١.

عذراً عند الله سبحانه. وهذا هو الضابط الكلّي الذي يمكن من خلاله تشخيص مورد العذر وتمييزه من غيره، وهو أن لا يستند الضلال إلى اكتساب الإنسان، ولا يكون له في امتناع الأمر الذي امتنع عليه صنع.

وعلى هذا «فالجاهل بالدين ـ جملة أو بشيء من معارفه الحقّة ـ إذا استند جهله إلى ما قصّر فيه وأساء الاختيار استند إليه الترك وكان معصية، وإذا كان جهله غير مستند إلى تقصيره فيه أو في شيء من مقدّماته، بل إلى عوامل خارجة عن اختياره أوجبت له الجهل أو الغفلة أو ترك العمل، لم يستند الترك إلى اختياره، ولم يعدّ فاعلاً للمعصية، متعمّداً في المخالفة، مستكبراً عن الحقّ جاحداً له، فله ما كسب وعليه ما اكتسب، وإذا لم يكسب فلا له ولا عليه. ومثله يكون أمره إلى ربّه ـ كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (البراءة: ١٠٦) ورحمته سبقت غضبه».[١]

من هنا جاءت نصوص روائيّة متعددة في ذيل هذه الآية تؤكّد الحقيقة المتقدّمة؛ منها:

• في تفسير العيّاشي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في الآية قال: «**لا يستطيعون حيلة إلى سبيل أهل الحقّ فيدخلون فيه، ولا يستطيعون حيلة أهل النصب فينصبون**». ثمّ قال: «**هؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عنها، ولا ينالون منازل الأبرار**».[٢]

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٥ ص ٥٢.

(٢) تفسير العيّاشي، الشيخ أبي النضر محمد بن مسعود العيّاشي، المتوفى سنة ٣٢٠ هـ تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤٢١ هـ: ج ١ ص ٤٣٢.

• وفي تفسير القمّي عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قلت له: جعلت فداك ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله من المذنبين، يموتون وليس لهم إمام، ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال: **أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها. فمن كان له عمل صالح، ولم يظهر منه عداوة، فإنّه يخدّ له خدٌّ إلى الجنّة التي خلقها الله ... فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة، حتّى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيّئاته، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله**».(١)

• وفي الخصال عن الصادق عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليهم السلام، قال: «**إنّ للجنّة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا ... وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أن لا اله إلا الله ولم يكن في قلبه مثقال ذرّة من بغضنا أهل البيت**».(٢)

موقع المعاد وأهميّته في منظومة المعارف الدينيّة

يركّز القرآن الكريم على الأصول العقديّة الثلاثة، وهي:

أوّلاً: الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

ثانياً: الإيمان بالمعاد.

ثالثاً: الإيمان بالنبوّة.

---

(١) **تفسير القمّي**، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم (من أعلام القرنين ٣ و ٤ هـ)، منشورات مكتبة الهدى، النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ: ج ٢ ص ٢٦٠.

(٢) **الخصال**، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق، المتوفى: ٣٨١ هـ ، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفه، الطبعة الرابعة، ١٤١٤ هـ : باب الثمانية، الحديث ٦، ج ٢ ص ٤٠٧.

هذه المسائل الثلاث، أو الأصول والأركان الثلاثة يؤكّدها القرآن الكريم تأكيداً بالغاً، ويعطيها الأهمّية القصوى والسبب في ذلك: أنّنا عندما نقف عند هذه الأركان الثلاثة نجد أنّ الركن الأوّل وهو «التوحيد» يشير إلى «المبدأ»، والركن الثاني وهو «المعاد» يشير إلى «الغاية»، والركن الثالث وهو «النبوّة» العامّة أو الخاصّة يشير إلى الطريق الذي يربط المبدأ بالمعاد.

وأمّا بالنسبة إلى الإمامة وكذلك العدل فهما وإن كانا من الأصول العقديّة، ولكنه لم يفردهما باعتبار أنّ العدل الإلهي هو متمّمات التوحيد بحيث إنّ التوحيد إذا لم يتضمّن العدل فهو توحيد ناقص، فيه إشكال وخلل. وكذلك الإمامة فهي من متمّمات النبوّة، وفي اعتقادنا أنّ النبوّة الصحيحة لن تتحقّق إلاّ من خلال الاعتقاد بالإمامة.

وسيتّضح لنا أيضاً بأنّ الإيمان بالتوحيد من غير الإيمان بالمعاد لا يمكن أن يكون إيماناً صحيحاً، وكذلك الإيمان بالنبوّة من غير الإيمان بالمعاد أيضاً لا يمكن أن يكون إيماناً صحيحاً.

فكأنّ هذه الأركان والمنظومة العقديّة سلسلة مترابطة فيما بينها، بنحو لو فُرِض انقطاع واحدة منها تكون كلّها غير ذات قيمة، وغير صحيحة، ولا يبقى لها أيّ أساس صحيح.

فهي منظومة واحدة، من قبيل إيمان الإنسان بالنبوّة، فما لم يكن مؤمناً بجميع الأنبياء لا يكون إيمانه صحيحاً، أمّا إذا آمن ببعض دون بعض، فكأنّه ـ بل يقيناً إنّه ـ لم يؤمن بالأنبياء جميعاً.

إذن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والإيمان بالمعاد، والإيمان بالنبوّة، والإيمان بالصفات الإلهيّة وبالخصوص العدل الإلهي، والإيمان بالإمامة والولاية والخلافة الخاصّة.. هذه كلّها تشكّل منظومة متراصّة ومترابطة لا

يمكن أن نفكّك مفرداتها لأنّه لو جرى التفكيك بين مفرداتها لا يبقى لها أساس ولا تبقى لها صحّة.

والروايات الصادرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام أشارت إلى ذلك بصراحة واضحة. ويمكن تقريب هذه الحقيقة من خلال الروايات التي ذكرت أنّ الصلاة عمود الدين وأنّها: «**إن قُبلت قُبِلَ ما سواها، وإن ردّت ردّ ما سواها**»[(١)].

فهذه الروايات تشير إلى أنّ المنظومة العباديّة من الصلاة والصوم والحجّ والزكاة والخمس والعبادات جميعاً كلّها مترابطة بعضها مع بعض، بحيث إنّ الإنسان إذا أتى ببعضها ولم يأتِ ببعضها الآخر فكأنّه لم يأتِ بأيّة واحدة منها.

فلو فرضنا أنّ الإنسان أدّى ما عليه من الخمس، والزكاة، وحجّ لله تعالى، وجاء بسائر العبادات ...، ولكنّه لم يأتِ بالصلاة، فإنّ كلّ أعماله لا قيمة لها؛ وفقاً للنصوص الروائيّة التي بيّنت حقيقة الصلاة وضرورة أدائها.

والمنظومة العقديّة أيضاً كذلك لا يمكن تجزئتها أو تبعيضها بحيث نقبل بعضها ونرفض بعضها الآخر.

مثلاً في أصل المعاد حين تقول الآية الكريمة: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾ (المؤمنون: ١١٥)؛ فمفاد هذه الآية هو أنّ عدم الإيمان بالمعاد من قبل الإنسان يعني أنّه يعتبر أمر الخلق من الله تعالى أمراً عبثيّاً، وإذا كان الخلق عبثاً فهذا يعني أنّ الفاعل والموجد والخالق يكون عابثاً. وهذا كلّه ينعكس على قضيّة التوحيد لأنّ التوحيد لا ينسجم أبداً مع

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت: ج١٠ ص٣٩٤.

كون الخلق عبثيّاً.

إذن فمَن أنكر المعاد أو لم يؤمن به، فقد أنكر التوحيد وإن كان يتظاهر بالإيمان بالله تعالى.

إن من لوازم الإيمان بالله الإيمان باليوم الآخر، وإلاّ فإنّ عدم الإيمان بالمعاد يؤدّي إلى عدم الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

وكذلك الحال في قضيّة النبوّة، إذ يقول تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام: ٩١). فالآية تريد الإشارة إلى أنّ القول بأنّ الله لم يبعث نبيّاً ورسولاً، هو على حدّ عدم المعرفة بالله تعالى.

وهذا يعني عدم الانسجام بين الإيمان بالله تعالى، وإنكار النبوّة.

ولبيان حقيقة المعاد وضرورة الإيمان به وأهمّيته في القرآن الكريم نشير إلى أنّ بعض المتتبّعين للآيات القرآنيّة ذكروا بأنّ هناك حوالى ألف وأربعمائة آية في القرآن الكريم ترتبط بالمعاد. وهذا معناه أنّ ربع الآيات القرآنيّة تقريباً تحدّث فيها الباري عزّ وجلّ بشكل مباشر أو غير مباشر عن المعاد واليوم الآخر وعن الإيمان به والآثار المترتّبة عليه.

بهذه المقدّمة استطعنا الوقوف على دور أو موقع المعاد في خريطة ومنظومة المعارف الدينيّة والتي جعلناها على قسمين: أحدهما مرتبط بالإيمان، والآخر مرتبط بالعمل.

وهاهنا مسألة نضيفها إلى هذا التقسيم وهي: إنّ المعارف المرتبطة بالإيمان تنقسم أيضاً إلى قسمين:

الأوّل: الأصول العقائديّة الأوّليّة.

الثاني: الأصول العقائديّة الثانويّة.

فالإيمان بالمعاد ركن وأصل من الأصول العقائديّة الأوّليّة، ولكنّنا عندما نبحث في مسائله نجد مسائل متعدّدة، منها ما يتعلّق بالحشر الأكبر، ومنها ما يتعلّق بحقيقة الصراط في يوم القيامة، والميزان يوم القيامة، والأعراف...

فهذه المسائل المتفرّعة عن أصل المعاد هي مسائل عقديّة وإيمانيّة، ولكنّها لا تعدُّ من المسائل الأصليّة في العقيدة وفي الإيمان، وإنّما هي من المسائل الثانويّة في المسائل العقائديّة الأوّليّة.

أمّا نفس أصل الإيمان بالمعاد فهو من المسائل الأساسيّة والأوّليّة.

أسباب أهمّية المعاد في القرآن

بعد أن تبيّن لدينا موقع المعاد والإيمان باليوم الآخر في منظومة المعارف الدينيّة، وأنّه يمثِّل موقعاً أساسيّاً، ويمثّل ركناً هامّاً من أركان المعارف الدينيّة عموماً، بقي لنا أن نطرح هذا التساؤل، وهو: لِمَ يمثِّل المعاد هذا الموقع؟ وما هو الدليل على ذلك؟

والجواب: إنّ الدليل عليه هو القرآن الكريم وآياته التي تتجلّى فيها الأبعاد المختلفة والمتعدّدة للمعاد، والتي منها نتبيّن أهمّيته وضرورة الإيمان به، ومن هذه الأبعاد التي يمكن الوقوف عليها: أنّ القرآن الكريم يبيِّن لنا أنّ مَن ينكر المعاد فإنه يؤدّي به إلى أن لا يؤمن بأيّ دين أو وحي أو نبوّة أو شريعة.

بعبارة أخرى: من أنكر المعاد لابدّ له أن ينكر قبل ذلك النبوّة، وإلاّ لا معنى للقبول بالنبوّة والوحي، ولا بالأمر والنهي والتشريع لمن لا يؤمن بوجود يوم آخر.

إذن إنكار المعاد مرجعه إلى إنكار النبوّة، وإنكار النبوّة يؤدّي بالضرورة إلى إنكار دور الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة. وذلك لأنّ القول بأنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً وأنّه لا يوجد هناك وحي، ولا أمرٌ ونهي ولا غير ذلك، يعني أنّ الله تعالى ليس له أيّ دور في حياتنا، ويعني قطع الارتباط بين حياة الإنسان ووجود الله تعالى. وذلك يعني إنكار لتوحيد الربوبيّة، وإنكار لتوحيد التدبير، مع أنّ صريح القرآن الكريم أنّ الله تعالى مدبّر كلّ شيء.

ومن هنا كان الاعتقاد بالمعاد واليوم الآخر جزءاً أساسيّاً في دعوة الأنبياء والمرسلين، فلم تخْلُ شريعة سماويّة عن ذكره، حتّى يمكن القول بأنّه العمود الفقري لها.

لقد صرّح العهد العتيق بوجود الحياة الأخرويّة كثيراً، وأكثرُ الوعود الواردة فيه على امتثال فرائض الربّ عائدة إلى رجوعهم إلى الأرض المقدّسة، وأنّ فيها من النِّعم والبركات ما لا يحصى، وهناك جملٌ صرّحت بحشر الإنسان بعد الدُّنيا وإن كانت قليلة.

وعلى الرغم من قلّة التصريح بالحياة الأخرويّة في العهد العتيق، نجد التصريح بها بكلّ وضوح في العهد الجديد.

وبالإضافة إلى الديانات السماويّة نرى أيضاً أنّ المعتقدات البشريّة على اختلاف ألوانها ومشاربها آمنت بالمعاد وإن كان ذلك بطريقة مختلفة عمّا جاءت به الديانات السماويّة، فالمصريّون أصحاب الحضارة القديمة كانوا يعتقدون أنّ الروح بعد خروجها من البدن، لها علاقة به، وسوف ترجع إليه، ولذلك كانوا يتركون في القبور منافذ ليسهل دخول الروح إليها، ويضعون بعض الطعام والشراب إلى جنب الميّت.

واحتلّ التناسخ في الديانة البراهميّة التي اعتقدت بالتثليث (أي بوجود

آلهة ثلاثة وهم: براهما ـ فيشنو ـ سيفا) مكان الاعتقاد بالمعاد، ويُراد منه رجوع الروح بعد انحلال جسدها إلى العالم الأرضي متلبّسةً بجَسَد جديد، إنسانيّ أو حيوانيّ. ولم يخلُ المسلك البوذي عن الحديث عن عود الأرواح إلى الأبدان تناسخاً.

وأمّا المجوس فقد اعتقدوا ببقاء الروح بعد الموت وبمجازاة الإنسان حسب أعماله، واعتُبر ذلك من الأصول الهامّة في ديانتهم.

كلّ ذلك يكشف عن كون المعاد واليوم الآخر أخذ مكانه ودوره في اهتمامات البشر على اختلاف معتقداتهم[(١)].

الآثار الاجتماعيّة للإيمان بالمعاد

إنّ المسائل والمعارف الدينيّة وإن جرى تقسيمها إلى مسائل اعتقاديّة ومسائل عمليّة، لكن ذلك لا يعني أنّ المسائل الاعتقاديّة ليس لها تأثيرات عمليّة في حياة الإنسان.

فالإيمان بالمعاد واليوم الآخر الذي هو من أهمّ المسائل والأركان الإيمانيّة والعقائديّة في القرآن وفي الروايات، له تأثيرات مباشرة في حياة الإنسان، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي.

ومن هنا نطرح هذا التساؤل: هل المعاد له تأثير في تنظيم حياة الإنسان؟ وهل له أثر في تنظيم العلاقات القائمة بين أفراد البشر في المجتمع الإنساني عموماً، أو في المجتمع الإسلامي خصوصاً؟

للإجابة على هذا التساؤل لابدّ من الإشارة إلى هذه المقدّمة:

الإنسان بحسب فطرته وذاته يحبّ ذاته، ويحبّ كمالات ذاته، فالله

---

(١) انظر: **دائرة معارف القرن العشرين**، فريد وجدي، دار الفكر، بيروت: ج٢ ص١٥٠.

سبحانه وتعالى خلق الإنسان بنحو لا يريد شيئاً إلاّ إذا كان كمالاً لنفسه، ولا يهرب من شيء إلاّ إذا كان سبباً في فقدانه لكمال من كمالاته، ولذّة من لذّاته، وهذا الكمال قد يكون كمالاً حقيقيّاً، وقد يكون في الواقع كمالاً وهميّاً لكنّه كمال في الظاهر.

وعلى أيّ الأحوال فإنّ القاعدة الأساسيّة والأمر الفطري في وجود الإنسان أنّه لا يُقدِم على عمل ولا يهرب من عمل إلاّ إذا كان في مصلحته، وفيه كمال لذاته.

نعم، قد يحصل في بعض الأحيان اشتباه في المصداق، بحيث لا يستطيع الإنسان أن يشخِّص مصلحته مما هو في غير مصلحته، من قبيل المريض المصاب بداء السكّري الذي يتصوّر أنّ أكل السكّر لا يضرّه، وإن كان في الواقع يضرّه، ولكنّ هذا مطلب آخر.

وما ذكرناه هو حقيقة قرآنيّة ووجدانيّة، والتجربة الإنسانيّة خير شاهد عليها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧). فالقرآن يقول للناس إنّ أيّ شيء آمركم أن تقوموا به فإنّما هو لأجل أنفسكم، وأيّ عبادة من العبادات تقومون بها بنيّة القربة إلى الله تعالى، فإنّها ترتقي بالنفس وتجعلها أكمل، وكلّما ارتقت النفس بالعبادة صعدت في سُلّم التكامل، وهكذا العكس.

وعلى أساس هذه المقدّمة نقول: الإنسان عندما يريد تنظيم علاقاته مع الله سبحانه وتعالى، أو مع الطبيعة، أو مع الأفراد الآخرين (أي المجتمع) فإنّه سوف ينظّمها على أساس مصالحه الفرديّة، وهذا أمرٌ فطريّ في داخل الإنسان، وهو ممّا لا يختلف عليه اثنان.

فإذا كان هذا الأصل أصلاً فطريّاً مغروزاً في حقيقة الإنسان، وهو

داخل في غريزته، فهذه مقدّمة ثانية.

قبل الإجابة، وبناءً على هاتين المقدّمتين، لابدّ من الإشارة إلى أنّ قولنا بأنّ «الإنسان يريد تنظيم علاقاته مع الآخرين» مفاده أنّ الإنسان مضطرّ إلى أن يعيش ويتعايش مع الآخرين، وذلك باعتبار أنّه لا يستطيع أن يلبّي كلّ حاجات نفسه بمفرده، لأنّه لو تُرِك وحده لا يستطيع أن يلبّي كلّ ما يحتاج إليه، فاحتاج إلى أن يوجِد علاقة مع الآخرين.

ومن هنا جاءت النظريّة الاجتماعيّة التي تقول بأنّ «الإنسان مدنيّ بالطبع». في الواقع: الإنسان ليس مدنيّاً بالطبع الأوّلي، بل هو مدنيّ بالطبع الثانوي، وإلاّ فإنّه بنفسه يحبّ ذاته أوّلاً، وحبّه لذاته يجعله ويضطرّه لأن يُنشئ علاقات اجتماعيّة مع الآخرين، وهذه العلاقات الاجتماعيّة اضطرّته الحاجة إليها.

وهذه العلاقات إمّا مع الله، وإمّا مع الطبيعة، وإمّا مع الآخرين من أبناء جنسه. والأصل الذي يحكم هذه العلاقات جميعاً هو أن تصبّ في مصالحه الذاتيّة والفرديّة وتُبعده عمّا يؤلمه ويضرّه.

هذا كلّه فيما إذا كانت هذه المصالح تعود بالنفع على الإنسان بذاته، وتصبّ في مصلحة الفرد مباشرة.

أمّا السؤال المهمّ فهو أنّ المصالح لو كانت اجتماعيّة لا فرديّة، بمعني أنّ فيها مصلحة للمجتمع، كالنظم الموجودة في الحياة الاجتماعيّة التي هي أمر ضروريّ للمجتمعات؛ إذ لولاها لفسدت المجتمعات، هذه المصالح لو فرض أنّها لا تصبّ في مصلحته الفرديّة ـ والقضيّة تتعمّق أكثر وتكون خطراً أكثر عندما تتصادم المصالح الاجتماعيّة مع المصالح الفرديّة ـ فهنا كيف ننظّم هذه العلاقات؟ وكيف نستطيع أن نقنع الإنسان وجدانيّاً

ونفسيّاً وعقائديّاً بأن يتنازل عن مصالحه الفرديّة لأجل المصالح الاجتماعيّة؟ خصوصاً أنّ المصالح الفرديّة أمور فطريّة وغريزيّة في الإنسان وليست أموراً عرضيّة فيمكن إزالتها، بل هي ثابتة في وجود الإنسان باعتبارها أموراً فطريّة في وجوده.

إنّ التعارض بين المصالح الفرديّة والاجتماعيّة هي القضيّة الأساسيّة التي تتولّد منها كلّ المشكلات الاجتماعيّة في حياة البشر.

فالمشكلة الكبرى التي تعاني منها المجتمعات البشريّة ـ سواء كانت مجتمعات متحضّرة أو متخلّفة ـ هي أنّ الفرد يريد أن يحقّق مصالحه الفرديّة على حساب الجماعة.

ولذا حاول القانون البشري بما يملك من قوى أن يوجد قوانين تستطيع أن تقف في مواجهة المصالح الفرديّة للإنسان حتّى تصبّ في مصلحته الاجتماعيّة، وإن كنّا في نظرة عامة إلى المجتمع الإنساني ـ ورغم أنّ الإنسان بلغ ما بلغ في التقدّم في وضع القوانين وتشريعها من الناحية العلميّة والتكنولوجيّة ـ نجد المعاناة تزداد يوماً بعد يوم، وكذلك المفاسد والمخاطر التي تطال المجتمع.

وبالعودة إلى أساس البحث يأتي التساؤل: هل الإسلام حاول أن يحلّ هذه المشكلة، وكيف حاول أن يوجد التصالح وعدم التعارض بين المصالح الفرديّة والمصالح الاجتماعيّة للإنسان ؟

الإيمان بالمعاد ودوره في حلّ المشكلة الاجتماعيّة للإنسان

الجواب وبناءً على ما تقدّم: إنّ الإيمان بالمعاد واليوم الآخر هو الحلّ الحقيقي لهذه المشكلة في نظر الإسلام، لأنّ الله سبحانه وتعالى وعد الإنسان بأنّه إن تنازل عن مصالحه الفرديّة لأجل المصالح الاجتماعيّة، أو ضحّى

بنفسه من أجل المصالح الاجتماعيّة بثمن أو من دون ثمن فسوف يحصل مقابل ذلك على الرحمة الإلهيّة الواسعة وهي الجنّة ولقاء الله سبحانه وتعالى.

فالإسلام استطاع أن يبدِّل المصداق وأبقى الفطرة على حالها، وهو لم يطلب من الإنسان أن يتنازل عن فطرته الأصليّة وعن حبّه لذاته وكمالاته ولذّاته، ولكنّه استبدلها وحوّلها من مصالح ضيّقة في هذه الحياة الدُّنيا إلى نتائج وإلى ثوابٍ عظيم لا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ (الفرقان: ١٦)، ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (ق: ٣٥).

فالإنسان من وجهة النظر الإسلاميّة إذا جاهد في الحياة الدُّنيا، وأنفق، وعمل صالحاً، وتنازل عن بعض أموره الفرديّة ومصالحه الشخصيّة، فإنّ ذلك لن يذهب سُدىً، ولن يكون هباءً منثوراً، والله تعالى قال في محكم كتابه: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ (النجم: ٣٩ـ ٤١)، ثمّ أثبت هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧ ـ ٨)، فمنطق القرآن مع الإنسان الذي يتنازل عن ذاته ومصالحه في مقابل خير البشريّة ومصالح المجتمع هو التعويض له عن ذلك بما لا نهاية له في الدار الآخرة.

فإذا استطاع الإنسان أن يربّي في وجوده هذا الأمر الإيماني، وأن يؤمن بهذه الحقيقة، عند ذلك تجده بكلّ بساطة ووضوح بل وبكلّ سرور، ومن خلال هذا الإيمان، يضحّي بمصالحه الفرديّة لأجل المصالح الاجتماعيّة.

وهذا ما نجده واضحاً وجليّاً في قضيّة الشهادة في سبيل الله تعالى، فإنّ الإنسان المجاهد عندما يُقدِم على الشهادة في سبيل الله ـ أو لأجل الوطن،

أو لحفظ المجتمع الإسلامي، وهما أيضاً من مصاديق سبيل الله ـ فإنّه يفقد حياته ولكن فقدانه لهذه الحياة إنّما هو لمدّة قصيرة، لأنّه في المقابل يحصل على الحياة الأبديّة، تلك الحياة التي يحياها في جوار الله تعالى.

فالمشكلة الاجتماعيّة الناتجة عن التضارب والتضادّ بين المصالح الفرديّة والمصالح الاجتماعيّة لا يمكن حلّها من خلال القوانين فقط، نعم القوانين ضروريّة ولذا نجد أنّ الإسلام له أيضاً كثير من الأحكام المرتبطة بالحدود والقصاص والديات وتنظيم الحياة الاجتماعيّة، ولكن هذا بنفسه ـ أعني «القانون بمفرده» ـ لا يستطيع أن يحلّ المشكلة الاجتماعيّة من جذورها.

والشاهد على ذلك أنّ الإنسان إذا لم يكن عنده إيمان بهذه القوانين، فهي قد تكبح جماحه بنسبة خمسة بالمئة أو عشرة أو خمسين بالمئة، ولكنّه عندما يجد الفرصة أو يرى ثغرة فإنّه سيحاول الخروج عن نطاق القانون، وأن يتجاوز حدوده.

أمّا الإنسان المؤمن بالله فسواء كان هناك رقيب أو قانون خارجيّ أو لم يكن ذلك، فالرقيب الداخلي وهو الإيمان بالمعاد واليوم الآخر سوف يقف أمامه حائلاً، وسدّاً منيعاً، ويوجّه مصالحه.

إن الإيمان بالمعاد يوجّه مصالح الإنسان إلى أُفق أوسع بعد أن كانت هذه المصالح الفرديّة للإنسان مُحاطة بسور الدُّنيا وبحدودها، وهذه الآفاق لم تكن لتحصل لولا الإيمان بالمعاد الذي يملك القدرة على حلّ المشكلة من جذورها وبما ينسجم مع فطرة الإنسان، ومع باطنه وحقيقته وفطرته وغريزته، ولا يكون ذلك ظاهريّاً فحسب.

وهذا ما أكّدته عشرات الآيات القرآنيّة، فضلاً عن الروايات والأحاديث التي تعرّضت لبيان الثواب الذي يحصل عليه الإنسان من

الأعمال الصالحة، والتي يتنازل من خلالها عن مصالحه الفرديّة لأجل المصلحة العامّة الاجتماعيّة.

فالمصالح في هذه الدُّنيا محدودة بالزمان والمكان، وضيّقة ومنتهية، ومصابة بألف مرض وعاهة ومانع، والله تعالى يريد أن يُخرج الإنسان من هذا الأُفق الضيّق المتناهي الذي فيه فساد وتمانع وتضادّ، إلى عالم أوسع وأُفق أرحب، والذي هو رحمته التي وسعت كلّ شيء.

فالمجتمع الذي يعيش حالة الإيمان باليوم الآخر ينعم بالرخاء والصفاء. وهذه الحالة هي التي نجدها في صدر الإسلام في حياة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فالناس بلغوا القمّة في التسامي، والقمّة في الإيثار، والقمّة في الجهاد، والعطاء والإنفاق؛ وذلك بسبب الإيمان الذي زرعه فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الإيمان باليوم الآخر.

ولو نظرنا نظرة عابرة إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في حروبه، أو أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين كانوا يتسابقون إلى التضحية والفداء، لفهمنا حقيقة الأمر الذي دفع بهؤلاء لمثل هذه الأعمال.

أمّا على الطرف الآخر، فلو حوّلنا أنظارنا إلى الآثار المترتّبة على إنكار المعاد، فماذا سنجد؟

المجتمعات الإنسانيّة التي تنكر المعاد نجد فيها التقاتل بين أفراد المجتمع الواحد، وبين الدول التي تريد التسلّط والسيطرة، ونجد الفساد الذي يحكم الأرض. وكلّ ذلك منشأه حقيقة واحدة وهي أنّ هؤلاء نسوا الله سبحانه وتعالى، وبحسب التعبير القرآني: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧)، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ (الحشر: ١٩). فهؤلاء عندما نسوا الله تعالى نسوا ما هي

كرامة الإنسان، وما هي حقيقته، وما هي غايته، وما هو هدفه.

والإيمان باليوم الآخر الذي هو مورد بحثنا هنا، ليس هو مجرّد العلم فقط، لأنّ العلم قد يوجد في داخل الإنسان ولكن مع ذلك لا يوجد الإيمان. ومن هنا يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ (النمل: ١٤). وهذا تصريح منه بعدم الملازمة بين العلم والإيمان، حتّى العلم بمرتبته اليقينيّة، وأعلى مراتب العلم حتّى الجزم والقطع منه. فما لم يكن هناك إيمان مع العلم فلن يؤثّر.

فالكثير من الناس يعلمون بالآثار السيّئة والمضارّ المترتّبة على السجائر ـ مثلاً ـ ومع ذلك نراهم يدخّنون، وهذا معناه أنّ عندهم العلم ولكن هذا العلم لا يتجسّد في سلوكهم ولا في عملهم، وبهذا يتّضح أنّ العلم غير الإيمان.

والشخص حتّى لو اعتبر نفسه مؤمناً بالمعاد وبالثواب والعقاب ولكن سلوكه لم يكن منسجماً مع إيمانه، فهذا الشخص يعلم بالمعاد ولكنّه لا يؤمن به.

ودرجة الإيمان تظهر في السلوك والعمل. فالإيمان بالمعاد مثل الإيمان بالله تعالى، له مراتب ودرجات. والشاهد على ذلك أنّ الإنسان لو قيل له إنّ هذا الإناء فيه سمٌّ، فحتماً لن يشربه بأيّ شكل من الأشكال. أمّا لو قيل له بأنّ أكل مال اليتيم هو في حقيقته نار ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ (النساء: ١٠) فلن يتأثّر وسيأكل أموال اليتامى مع ذلك. وهذا معناه أنّه على الرغم من علمه بأنّ أكل مال اليتيم هو في حقيقته نار جهنّم، أقدم على الفعل لأنّ ذلك كان منه على مستوى العلم فقط دون الإيمان.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ * يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤ـ ٣٥)، مع أنّ الكنز للذهب والفضّة عاقبته أن تكوى بها جباههم وجنوبهم، لكنهم يكنزونها لأنّهم وإن علموا بهذه النتيجة ولكنّهم لم يؤمنوا بها.

والحاصل أنّ الإيمان بالشيء ليس مجرّد العلم الحاصل به، كما يستفاد من آيات متعدّدة، منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾(محمد : ٢٥) ومنها : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾(محمد : ٣٢) ومنها: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾(الجاثية: ٢٣) ومنها: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ (النمل : ١٤).

فهذه الآيات ـ كما ترى ـ تثبت الارتداد والكفر والجحود والضلال مع العلم؛ إذن فالعلم لا يلازم الهدى، ولا الضلال يلازم الجهل، بل الذي يلازم الهدى هو العلم مع التزام العالم بمقتضى علمه، فيتعقّبه الاهتداء. وأمّا إذا لم يلتزم العالم بمقتضى علمه ـ لاتّباعه الهوى ـ فلا موجب لاهتدائه، بل هو الضلال وإن كان معه علم.

قال الطباطبائي : «فمجرّد العلم بالشيء والجزم بكونه حقّاً، لا يكفي في حصول الإيمان واتّصاف من حصل له به، بل لابدّ من الالتزام بمقتضاه وعقد القلب على مؤدّاه بحيث يترتّب عليه آثاره العمليّة ـ ولو في الجملة ـ . فالذي حصل له العلم بأنّ الله تعالى إله لا إله غيره، فالتزم بمقتضاه ـ وهو عبوديّته وعبادته وحده ـ كان مؤمناً، ولو علم به ولم يلتزم بشيء من الأعمال

المظهرة للعبوديّة كان عالماً وليس بمؤمن.

وإذ كان الإيمان هو العلم بالشيء مع الالتزام به بحيث يترتّب عليه آثاره العمليّة ـ وكلّ من العلم و الالتزام مما يزداد و ينقص ويشتدّ ويضعف ـ كان الإيمان المؤلّف منهما قابلاً للزيادة والنقيصة والشدّة والضعف. فاختلاف المراتب و تفاوت الدرجات من الضروريات التي لا يشكّ فيها قطّ».[(١)]

ولعلّ في قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ (الكهف:١١٠) إشارة واضحة إلى أنّ العمل الصالح ـ سواء كان فرديّاً أو إجتماعيّاً ـ إنّما هو متفرّع على الإيمان بلقاء الله والرجوع إليه.

فالدُّنيا في النظرة الإسلاميّة هي دار الكسب والعمل، والمَعْبر إلى دار القرار ومحلّ الأبرار.

هذه النظرة بيّنها صدر المتألّهين وعلّل أسبابها بقوله: «إنّ هذا العالم دار الكسب والعمل لا دار الجزاء والوصل، لأنّ الموجودات التي فيه من حيث إنّها من باب الحركة والاستحالة مشوبة بالقوّة والعدم، ممنوّة بالظلمة والشرّ والنقص، فليس هذا العالم دار الموطن والمستقرّ، ومنزل الخير والتمام والكمال، ومعدن العدل والقسط والنور والسرور، فإنّا نرى الحقوق غير واصلة فيه إلى مستحقّيها، بل إلى غير أهلها، أو لا ترى أكثر أرباب الدُّنيا الدنيّة من أصحاب البطالة والجهالة، وقد أثروا لجهلهم وخسرانهم زخارفها وحطامها»[(٢)].

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٨ ص ٢٥٩.

(٢) **مفاتيح الغيب**، صدر الدِّين الشيرازي، تصحيح وتقديم أحمد خواجوي، مؤسّسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي (الدراسات والبحوث الثقافية)، إيران: ص ٤٤١.

ثمّ بيّن معنى كون الدُّنيا دار الانتقال الفطري إلى محلّ القرار، وأنّ المؤمن والكافر يستويان في ذلك، فقال: «إنّ الدُّنيا دار الانتقال ومنزل الارتحال ومعبر إلى دار القرار ومحلّ الأبرار، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٥)، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ (الإنشقاق: ٦) إشارةً إلى الانتقال الفطري للجوهر الطبيعي إلى الله، ويستوي في هذا التوجّه الذاتي والحركة المعنويّة المؤمن والكافر والمطيع والعاصي، إذ كلّها مأمور بهذا الإتيان والسفر إلى الله والدار الآخرة»[١].

الآثار السلبيّة لإنكار المعاد

في القرآن الكريم وآياته المباركة إشارات عديدة للآثار السلبيّة المترتّبة على عدم الإيمان باليوم الآخر وإنكار حقيقة المعاد، ونحن سنحاول الإطلالة عليها من خلال الوقوف على بعض هذه الآيات:

الأثر الأوّل: ـ وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في عدد من آياته ـ وهو الخلود إلى الأرض، والركون فيها، فالله تعالى خلق الإنسان ليصعد إليه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠) و﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ (الإنشقاق: ٦).

فمن أنكر المعاد فسوف يخلد إلى الأرض ولن يحصل على درجة اللِّقاء بالله يوم القيامة. وهذا أيضاً ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى

---

(١) **أسرار الآيات**، صدر الدِّين الشيرازي، تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، نشر الجمعية الإسلاميّة للحكمة والفلسفة في ايران، طهران ١٤٠٢هـ: ص ٨٧.

﴿ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨).

وفي آية أخرى يبيّن الله تعالى الأثر المترتّب على عدم لقاء الله تعالى أو عاقبة أولئك الذين رضوا بالحياة الدُّنيا وأنّها ستكون دخول النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (يونس: ٧ ـ ٨).

وإذا خَلُد الإنسان إلى الأرض وركن فيها فسوف يرى أنّ غايته وهدفه يكمن في هذه الأرض وفي هذه الدُّنيا، وسوف يبحث عن مصالحه فيها وليس وراءها في ذلك العالم الآخر. ونتيجة ذلك أن يتكالب عليها، ويضحّي بمجتمع كامل لأجل مصالحه الفرديّة.

والحاصل أنّ من آثار إنكار البعث والمعاد «انعطاف همّ الإنسان على الحياة الدُّنيا، فإنّ الإنسان وكذا كلّ موجود ذي حياة، له همّ فطري ضروريّ في بقائه وطلب سعادة تلك الحياة. فإن كان مؤمناً بحياة رائعة تسع الحياة الدنيويّة والأخرويّة معاً فهو، وإن لم يذعن إلاّ بهذه الحياة المحدودة الدنيويّة علقت همّته الفطريّة بها، ورضي بها وسكن بسببها عن طلب الآخرة، وهو المراد بقوله: ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾»[1].

والآية قريبة المضمون من قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (النجم: ٢٩ ـ ٣٠) حيث دلَّ على أنّ الإعراض عن ذكر الله وهو الغفلة عن آياته يوجب قصر علم الإنسان في الحياة الدُّنيا وشؤونها فلا يريد إلاّ الحياة الدُّنيا، وهو الضلال عن سبيل الله، وقد عرّف هذا الضلال بنسيان يوم الحساب في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٠ ص ١٤ ـ ١٥.

ﭐلْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦).

فقد تبيّن أنّ إنكار اللِّقاء ونسيان يوم الحساب يوجب رضى الإنسان بالحياة الدُّنيا والاطمئنان إليها من الآخرة وقصر العلم عليها وانحصار الطلب فيها، وإذ كان المدار على حقيقة الذِّكر والطلب لم يكن فرق بين إنكاره والرضى بالحياة الدُّنيا قولاً وفعلاً أو فعلاً مع القول الخالي به.

وتبيّن أيضاً أنّ الاعتقاد بالمعاد أحد الأصول التي يتقوَّم بها الدِّين؛ إذ بسقوطه يسقط الأمر والنهي والوعد والوعيد والنبوّة والوحي، وهو بطلان الدِّين الإلهي من رأس[1].

الأثر الثاني: هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٤٧). فمن لم يؤمن بالله سبحانه وتعالى فسوف يؤدّي به ذلك إلى تكذيب آيات الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ الأنبياء عندما بُعثوا إلى الناس وقالوا لهم إفعلوا هذا واجتنبوا عن ذاك، كانت الغاية في ذلك الثواب والعقاب في النشأة الآخرة، وإذا أنكر الإنسان الثواب والعقاب والنشأة الآخرة فحينئذ لا يكون قد أطاع الأنبياء ولا صدّقهم، بل إنّه قد كذّبهم، وتكذيبهم هو تكذيب لله، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

ومن الطبيعي أنّ من جملة ما أخبر به الأنبياء عليهم السلام الإيمان باليوم الآخر.

الأثر الثالث: هو ما أشار إليه القرآن الكريم من أنّ إنكار اليوم الآخر يؤدّي إلى عمى البصيرة، وإن كان صاحبه يرى في الظاهر، إلا أنّ بصيرته لن تستطيع أن تميّز بين الحقّ والباطل، ولا أن تفرّق بينهما؛ قال تعالى:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٠ ص ١٥ .

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (الحجّ: ٤٦).

والمقصود بالعمى وفقاً لهذه الآية ليس هو العمى الظاهري بل عمى البصيرة. أمّا كيف نستفيد ترتّب هذا الأثر على إنكار المعاد من القرآن الكريم فهو أن نضمّ إلى هذه الآية قوله تعالى في سورة النمل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (النمل: ٤)، ومعنى «يعمهون»: يعمون عن الرُّشد أو يتحيّرون، فإذا صار الإنسان أعمى البصيرة في هذه النشأة فستكون عاقبته العمى في الآخرة أيضاً: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٢). وهذه الفئة هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

الأثر الرابع: إنّ إنكار المعاد إنكارٌ للربوبيّة؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (الرعد: ٥).

فالقرآن الكريم هنا في معرض الردّ على ما كان يتفوّه به المشركون في الردّ على الدعوة والرسالة حيث أنكروا إمكانيّة بعث الإنسان بعد موته وصيرورته تراباً فقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، وأنّ الإنسان إذا مات صار تراباً بطلت الإنسانيّة فيه وانعدمت شخصيّته، وأنّ الإنسان عبارة عن الصورة المادّية القائمة بهذا الهيكل البدني العائش بحياة مادّية من غير أن تكون له حياة أخرى خالدة بعد الموت يبقى فيها ببقاء الربّ تعالى، وبعبارة أخرى تكون حياته محدودة بهذه الحياة الدُّنيا المادّية.

ومن الواضح أنّ مثل هذا الاعتقاد هو ـ في الحقيقة ـ إنكارٌ لربوبيّة الحقّ

تعالى؛ إذ لا معنى لربّ لا معاد له.

وإنّ لازم ذلك أن يقصر الإنسان همّه على المقاصد الدنيويّة والغايات المادّية ـ من غير أن يرتقي فهمه إلى ما عند الله من النعيم المُقيم والمُلك العظيم فيسعى لقربه تعالى ويعمل في يومه لغده ـ كالمغلول الذي لا يستطيع حراكاً ولا يقدر على السعي لواجب أمره.

فقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ إشارة إلى اللازم الأوّل وهو إعراض منكري المعاد عن العالم الربوبي والحياة الباقية والستر على ما عند الله من النعيم المُقيم والكفر به.

وقوله : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ إشارة إلى اللازم الثاني، وهو الإخلاد إلى الأرض والركون إلى الهوى والتقيّد بقيود الجهل وأغلال الجحد والإنكار.[1]

الأثر الخامس: إنّ إنكار المعاد هو مصدر كلّ عمل سيّئ، كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (النحل: ٦٠)، فالمثل هو الصفة.

فالطبع الإنساني لا رادعَ له عن اقتراف العمل السيّئ إلاّ أليم المؤاخذة وشديد العقاب وإذعانه بإيقاعه وإنجازه. والإيمان بالآخرة والإذعان بالحساب والجزاء هو الأصل الوحيد الذي يضمن حفظ الإنسان عن اقتراف الأعمال السيّئة ويجيره من لحوق أيّ ذمٍّ وخزي وهو المنشأ الذي يقوِّم أعمال الإنسان تقويماً يحمله على ملازمة طريق السعادة، ولا يؤثّر أثره أيّ شيء آخر من المعارف الأصليّة حتّى التوحيد الذي ينتهي إليه كلّ أصل.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١١ ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠ .

فعدم الإيمان بالآخرة والاستخفاف بأمر الحساب والجزاء هو مصدر كلّ عمل سيّئ ومورده، وبالمقابلة: الإيمان بالآخرة هو منشأ كلّ حسنة ومنبع كلّ خير وبركة[١].

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٢ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

المبحث الأوّل

الأدلّة والبراهين على حتميّة المعاد

- **الأوّل : دليل الحكمة**
  * ما هو المراد من الحكمة والحكيم ؟
  * الحكمة في خصوص الفعل
  * هل هناك مانع من تحقّق المعاد ؟
- **الثاني : دليل طلب الحقّ والحقيقة**
  * لماذا طلب الحقيقة
  * الاختلاط بين الحقّ والحقيقة
  * أين يلبّي الله تعالى الحاجة الفطريّة ؟
- **الثالث : دليل العدل الإلهي**
  * حقيقة الإنسان
  * الجزاء بين الدُّنيا والآخرة
  * لماذا الجزاء في الآخرة؟

الأدلة والبراهين على حتمية المعاد

الأوّل: دليل الحكمة

بعد أن تبيّن لنا في الأبحاث المتقدِّمة أهمّية الإيمان باليوم الآخر، وأنّ هناك نشأة أخرى خُلق الإنسان لأجلها، وأنّه سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان في هذه الدُّنيا للبقاء فيها، وإنّما ليتزوّد للسفر إلى مقرّه النهائي وهو النشأة الآخرة، فعلى هذا، فهذه النشأة الدنيويّة تكون عرضيّة ومؤقّتة، ولا يمكن أن تدلّ على هدفيّة خلق الإنسان. فلو تصوّرنا أنّ الله سبحانه خلق الإنسان لهذه النشأة، لكان خلقه عبثاً، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

فإذن لكي يكون لهذا المخلوق هدف وغاية لابدّ أن يُفترض وجود عالم آخر ونشأة أخرى يعيش فيها ـ كما سيأتي ـ.

وقد عرض القرآن الكريم لجملة من الأدلّة لإثبات اليوم الآخر؛ منها دليل وبرهان الحكمة، وقد أشرنا في مباحث معرفة الله والتوحيد إلى أنّ أسماء الله وصفاته تعدّ هي المستند الأساس لإثبات المعاد، بمعنى أنّ معرفة المعاد إنّما تمرّ من خلال معرفة الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ من عرف الله تعالى سوف ينفتح له الطريق لمعرفة باقي الأصول الاعتقاديّة، وهنا نريد إثبات المعاد من خلال صفة الحكمة واسم الحكيم، وهذا يقتضي تسليط الضوء على المعنى المراد من الحكمة في محلّ البحث:

المراد من الحكمة وصفة الحكيم

ذكر المتكلِّمون في أبحاثهم العقائديّة أنّ الحكمة من صفاته سبحانه، كما أنّ الحكيم من أسمائه، وهذا ما نصّت عليه آيات الكتاب المبين: ﴿ قَالُواْ

سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٢٠٩).
﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (النساء: ٢٦).

وتُطلق الحكمة على معنيين:

الأوّل: كون الفعل في غاية الإحكام والإتقان، وغاية الإتمام والإكمال.

الثاني: كون الفاعل لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب.

وقد ذُكر في كلمات الأعلام وجوه لمعنى الحكيم؛ منها :

«**الأوّل**: إنّه فعيل بمعنى مُفعِل، كأليم بمعنى مؤلم، ومعنى الإحكام في حقّ الله تعالى في خلق الأشياء هو إتقان التدبير، وحسن التقدير لها، ففيها ما لا يوصف بوثاقة البنية كالبقّة والنملة وغيرهما، إلاّ أنّ آثار التدبير فيها وجهات الدلالات فيها على قدرة الصانع وعلمه ليست بأقلّ من دلالة السماوات والأرض والجبال على علم الصانع وقدرته، وكذا هذا في قوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (السجدة: ٧).

وليس المراد منه الحَسَن الرائق في المنظر، فإنّ ذلك مفقود في القرد والخنزير، وإنّما المراد منه حسن التدبير في وضع كلّ شيء موضعه بحسب المصلحة، وهو المراد بقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ (الفرقان: ٢).

الثاني: إنّه عبارة عن كونه مقدّساً عن فعل ما لا ينبغي، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ (المؤمنون: ١١٥)، وقال: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا﴾ (ص: ٢٧)[(١)].

وقد ثبت في مباحث التوحيد أنّ مقتضى صفة الحكمة لله تعالى أن تصل

---

(١) **شرح أسماء الله الحسنى**، وهو الكتاب المسمّى **لوامع البيّنات في شرح أسماء الله تعالى والصفات**، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، راجعه وقدّم له وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٦: ص ٢٧٩.

المخلوقات إلى غايتها وكمالها اللائق والمناسب لها.

وما يهمّنا في هذا البحث هو معرفة المراد من الحكمة عندما يوصف الفعل بأنّه فعلٌ حكيم، لأنّه قد توصف أشياء أخرى بالحكمة ونحن لسنا بصددها، وإنّما باعتبار أنّنا نريد أن ندخل لإثبات المعاد من خلال صفة الحكمة فلابدّ حينئذ أن نقف على ذلك.

الحكمة في خصوص الفعل

ينقسم الفعل إلى قسمين:

الأوّل: الفعل الذي تترتّب عليه غاية وهدف، فإذا كان للفعل غاية تناسبه سمّي الفعل حكيماً.

الثاني: الفعل الذي لا تترتّب عليه غاية وهدف، وإذا كان الفعل على هذا النحو سمّي الفعل غير حكيم بل كان عبثاً ولغواً.

وقد يكون للفعل العبثي أو اللغوي غاية ولكن لا يصل الفاعل إلى الغاية التي من أجلها وجد ذلك الفعل، أي لم يصل إلى تلك الغاية المترتّبة على ذلك الفعل .

وأمّا الغاية فليس مرادنا منها مطلق غاية، بل الغاية التي تنسجم مع طبيعة الفعل، لأنّ هناك بعض الغايات التي لا تنسجم مع طبيعة الفعل. فإذا كانت هناك غاية ولكنّها منسجمة مع طبيعة الفعل فعند ذلك نعبّر عن هذا الفعل بأنّه حكيم، أمّا إذا لم تكن هناك غاية، أو كانت لكنّها لا تنسجم مع طبيعة الفعل، فنعبّر عن هذا الفعل بأنّه غير حكيم.

وبناءً على هذه المقدّمة نأتي إلى تطبيق ما ذكرناه على أفعال الله سبحانه وتعالى، وبيان معنى كون الله تعالى حكيماً.

من الصفات الفعليّة لله تعالى أنّه حكيم، فلفعله غاية وهدف، وليس هو عبثيّاً، فإذا كان فعله حكيماً فالله تعالى بلحاظ هذا الفعل يسمّى حكيماً.

فإيجاد الله تعالى للسماوات والأرض، وخلقه لهما، هو فعل له غاية وهدف متناسبان مع ذلك الفعل. ولتوضيح المطلب نضرب هذا المثال:

الإنسان في حالة الجوع يطلب الطعام لكي يرفع الجوع عن نفسه، فإذا رفع الطعام الجوع عن الإنسان تكون الغاية من الأكل قد تحقّقت، وهكذا في حالة العطش، فهو يشرب لرفع العطش عن نفسه.

أمّا لو كان جائعاً ولكنّه فعل فعلاً لم يرفع به الجوع أو العطش، فيكون قد فعل فعلاً من دون أن تترتّب عليه غاية، كما لو أكل أكلاً سبّب له التسمّم فهلك ومات.

وبهذا يتّضح أنّ المراد من الغاية ليس هو مطلق الغاية، وإنّما الغاية التي تنسجم مع الفعل ومع الفاعل وكمالاته.

والحاصل: أنّ لكلّ فعل هدفاً وغاية تترتّب عليه، ولابدّ أن تكون تلك الغاية منسجمة مع طبيعة الفعل ومع طبيعة الفاعل، وتؤدّي إلى كمال، ورفع نقص للفاعل، أمّا إذا لم ترفع، بل زادته نقصاً، فلا يعدّ ذلك غاية، ولا يعدّ هدفاً، ولا يعدُّ ذلك كمالاً، وهذا معنى أن تكون الغاية متناسبة مع الفعل ومع الفاعل.

وعندما نستنطق القرآن الكريم حول الغاية من خلق السماوات والأرض، والغاية من خلق الإنسان وإيجاده في هذه الحياة الدُّنيا، فهل سنجد لذلك غاية؟

صريح القرآن الكريم في آياته هو: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥)، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (ص: ٢٧).

فلو لم تكن خلقة الإنسان والسماوات والأرض بحسب هذه الآيات، من أجل غاية معيّنة، وهي الرجوع والعودة إلى الله تعالى ـ والتي لا يمكن أن تتحقّق إلا بوجود المعاد واليوم الآخر ـ لكان الخلق كلّه أمراً عبثيّاً ولعباً ولهواً، وبالتالي سيكون الفعل الإلهي فعلاً عبثيّاً، وهذا مناقض للحكمة التي وصف الله تعالى بها نفسه.

ومن ثمّ إذا كان المعاد غير موجود، وكان الفعل الإلهي وهو خلق الإنسان لا غاية ولا هدف من ورائه، فلازم ذلك أن يكون خلق الإنسان فعلاً عبثيّاً.

وفي آيات أخرى أيضاً يثبت القرآن الكريم أنّ فعل الله لا يمكن أن يكون عبثيّاً كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الدخان: ٣٨ ـ ٤٠).

فالنشأة الآخرة، وبعث الإنسان من جديد في المعاد، ويوم الفصل، والدار الآخرة كلّ ذلك له أثره في صون الخلقة عن اللغو واللعب.

هذا كلّه إذا قصرنا النظر على الهدف من خلق الإنسان، وإلاّ فإنّ القرآن الكريم يثبت وجود الحشر والمعاد ليس للإنسان فحسب، بل لجميع المخلوقات كالحيوانات مثلاً ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير: ٥) بل كلّ شيء سوف يُحشر إلى الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ...﴾ (إبراهيم: ٤٨)، وكذلك النباتات.. كلّها سوف يبدّلها الله تعالى إلى نشأة أخرى: ﴿...عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الواقعة: ٦١).

ونحن لن ندخل في هذا البحث ـ أي حشر الموجودات ـ باعتبار أنّ

كلامنا هو عن الإنسان وبعثه وحشره يوم المعاد.

أمّا المحذور من كون فعله سبحانه وتعالى عبثيّاً، فهذا ما تعرض له الآية في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ (الحجّ: ٦ـ٧).

فالله تعالى يصف نفسه بالحقّ المطلق، وأنّه لا حقّ سواه، ثمّ يرتّب على ذلك إحياء الموتى والنشأة الآخرة، وقيام الساعة، فضلاً عن بعث مَن في القبور، وذلك لأنّ الحقّ المطلق عبارة عن الوجود الذي لا يتطرّق البطلان إلى ذاته أوّلاً، وصفاته ثانياً، وأفعاله ثالثاً، ولو كان فعله بلا غاية ولا هدف لما كان حقّاً مطلقاً.

فيُستدلّ بكونه حقّاً محضاً على لزوم الغاية التي تتمثّل في الحياة الأخرويّة للإنسان، ومن هذا الباب وصف نفسه سبحانه بالحقّ.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ آيات الكتاب الكريم تشير إلى تدبير الله تعالى لكلّ شيء، فهو تعالى مدبِّر السماوات والأرض، وربّ العرش العظيم، فهو ربّ العالمين... والربّ هو الذي يربّي الشيء لإيصاله إلى غايته، وإلى كماله الذي خُلق من أجله.

والتربية هي أن يربّي الإنسان الموجود بنحو يوصله إلى كماله وغايته، وبتعبير آخر كماله اللائق به، وليس المراد إيصاله إلى أيّ كمال كان، ولو كان هو كمال الحيوانات والبهائم، كأن تأكل جيداً وتشرب وتنام ونحوها، فإنّها وإن كانت كمالات إلا أنّها ليست كمالاً للإنسان، لذا قلنا سابقاً إنّ المراد من الكمال هو ما يكون منسجماً مع طبيعة الشيء لا مطلق الكمال.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ كمال الإنسان إنّما يتحقّق بالعبادة، وبالوصول إلى اليقين ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

والعبادة ليست هي الهدف والغاية النهائيّة، وإنّما هي طريق الوصول إلى المقام الأسمى في الخلقة وهي مرتبة اليقين: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٩).

واليقين مقامٌ عظيم في القرآن الكريم، وهو الذي وصل إليه النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٥). فكمال الإنسان في أن يصل إلى اليقين.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٦ـ ١٧) أشار السيّد الطباطبائي إلى دليل الحكمة ودوره في إثبات المعاد واليوم الآخر، فقال: «.. فلو كان خلق العالم المشهود لا لغاية يتوجّه إليها ويقصد لأجلها وكان الله سبحانه لا يزال يوجد ويعدم ويحيي ويُميت ويعمّر ويخرّب، لا لغاية تترتّب على هذه الأفعال ولا لغرض يعمل لأجله ما يعمل، بل إنّما يفعلها لأجل نفسها ويريد أن يراها واحداً بعد واحد فيشتغل بها دفعاً لضجر أو ملل أو كسل أو فراراً من الوحدة أو انطلاقاً من الخلوة كحالنا نحن إذا اشتغلنا بعمل نلعب به ونتلهّى لندفع به نقصاً طرأ علينا وعارضة سوء لا نستطيبها لأنفسنا من ملال أو كلال أو كسل أو فشل أو نحو ذلك.

فاللّعب بنظر آخر هو اللّهو، ولذلك نراه سبحانه عبّر في الآية الأولى باللّعب: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ ثمّ بدّله ـ في الآية الثانية التي هي في مقام التعليل لها ـ لهواً فوضع اللّهو مكان اللعب لتتمّ الحجّة.

وتلهّيه تعالى بشيء من خلقه مُحال؛ لأنّ اللّهو لا يتمّ لهواً إلاّ برفع حاجة من حوائج اللاهي ودفع نقيصة من نقائصه نفسه فهو من الأسباب المؤثّرة،

ولا معنى لتأثير خلقه تعالى فيه واحتياجه إلى ما هو محتاج من كلّ جهة إليه، فلو فرض تلهّيه تعالى بلهو لم يجز أن يكون أمراً خارجاً من نفسه، وخلقه فعله، وفعله خارج من نفسه، بل وجب أن يكون بأمر غير خارج من ذاته.

وبهذا يتمّ البرهان على أنّ الله ما خلق السماء والأرض وما بينهما لعباً ولهواً، وما أبدعها عبثاً ولغير غاية وغرض، وهو قوله: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾.

إلى أن يقول: «وبهذا يتمّ البرهان على المعاد ثمّ النبوّة ويتّصل الكلام بالسياق المتقدِّم، ومحصّله أنّ للناس رجوعاً إلى الله وحساباً على أعمالهم ليجازوا عليها ثواباً وعقاباً... فالمعاد هو الغرض من الخلقة الموجب للنبوّة، ولو لم يكن معاد لم يكن للخلقة غرض وغاية، فكانت الخلقة لعباً ولهواً منه تعالى، وهو غير جائز...»(١).

غاية الفاعل وغاية الفعل

من المسائل المهمّة والأساسيّة التي ينبغي الإشارة إليها هنا: أنّ هذا الهدف، وهذه الغاية، هل هما هدف وغاية الفعل؟ أم هدف وغاية الفاعل؟

قد يُتصوّر أنّه بمجرّد أن يكون للفعل غاية فالفعل يكون فعل حكيم، والحقّ أنّ الأمر ليس كذلك، بل لابدّ أن يكون هناك غاية بحيث تكون متناسبة مع الفعل. فإذا شرب الإنسان سمّاً لكي يرفع عطشه وأدّى ذلك إلى هلاكه، فلا يسمّى هذا غاية الفعل، وليس الفعل حكيماً ـ كما تقدّم ـ.

فالسؤال المطروح هنا هو: إنّ الغاية التي ثبت أنّ الله سبحانه وتعالى أوجد الفعل بنحو تترتّب عليه، أهي غاية الفعل، أم غاية الفاعل وهدفه؟

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٤ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

تقدّم أنّ الإنسان مخلوق من قبل الله تعالى، فهو فعله، فإذا كان الأمر كذلك، نسأل: هذا الهدف أهو هدف للإنسان أم هو هدف لخالق الإنسان؟ أيّ منهما هو الصحيح؟

والجواب: الفواعل على قسمين:

الأوّل: فاعل غير كامل، ويريد أن يَكْمُل من خلال فعله، فله درجة من درجات الوجود ومن خلال الفعل يريد أن يَكْمُل ويصعد إلى درجة أعلى، وهذا معناه أنّ الغاية ليست هي غاية الفعل، وإنّما هي غاية الفاعل ويكون الفعل وسيلة لتحقيق تلك الغاية.

مثال ذلك: الإنسان في حالة الجوع يسعى إلى رفع الجوع، فيتوسّل إلى ذلك بالطعام، فإذا أكل الطعام سوف يرفع جوعه، ورفع الجوع غاية، ولكن رفع الجوع غاية لأيّهما؟ أللطعام أم للإنسان الذي أكل؟ من الواضح أنّ الغاية هنا ليست هي للفعل وإنّما الفعل وسيلة لتحقيق ذلك الكمال وتلك الغاية.

الثاني: فاعل كامل تامّ وغنيّ فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى، وهو في أعلى درجات الكمال بحيث لا يمكن أن نتصوّر كمالاً ما هو فاقدٌ له.

وهذا النوع من الفاعل لا يُتعقّل منه أن يفعل الفعل لأجل غاية وكمال يريد الوصول إليه؛ لأنّه لا يفقد كمالاً من الكمالات، ولا يوجد فيه نقص حتّى يريد بذلك الفعل أن يُكمِل النقص الموجود عنده.

بناءً على ذلك : فهل العبادة التي جُعلت غاية لخلق الإنسان ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦) هي غاية الفاعل بمعنى أن الله سبحانه يحتاج إلى من يعبده ليرفع عن نفسه نقصاً بذلك؟

يُجيب القرآن الكريم على هذا التساؤل بقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن

﴿فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٨). وقال تعالى: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (النساء: ١٣١).

فعبادة البشر لا تنفعه تعالى، وكذلك كفرهم لن يضرّه؛ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّاً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنّه لا تضرّه معصية مَن عصاه، ولا تنفعه طاعة مَن أطاعه...**»(١).

وعلى هذا فهذه العبادة الواردة في الآية الكريمة ليست غاية الخالق، وإنّما غاية الخلق، لأنّه ليس هناك نفع وفائدة لله تعالى من عبادة الخلق له، وإنّما الإنسان المخلوق يَكمُل بالعبادة، لأنّ العبادة كمالٌ للإنسان وليست كمال لخالق الإنسان.

وهذا معنى قولهم إنّ العبادة إنّما هي غاية الفعل، لا غاية الفاعل.

هل هناك مانع من تحقّق المعاد ؟

إذا كان القرآن الكريم يقرّر ويؤكّد أنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي وجود المعاد، وأنّ الله تعالى هو المقرّر لمعاد هذا الإنسان، فهل ثمة ما يمنع من تحقّق الهدف الإلهي والغاية الإلهيّة من الخلق، وهو المعاد ؟

للإجابة على هذه المسألة لابدّ من الإشارة إلى مقدّمة حاصلها: إنّ أيّ فعل من الأفعال، وأيّ نتيجة من النتائج لابدّ لتحقّقهما من توفّر أمور ثلاثة:

---

(١) **نهج البلاغة**: ما اختاره الشريف الرضي (ت: ٤٠٤ هـ) من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة الدكتور صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

الأوّل: أن يوجد هناك مقتضٍ للفعل.

الثاني: أن يتحقق شرط تأثير المقتضي لإيجاد المقتضَى.

الثالث: أن لا يوجد هناك ما يمنع عن تأثير المقتضي في إيجاد الأثر المترتّب عليه.

فمثلاً إذا أردنا أن نحرق الورقة بالنار لابدّ من توفّر أمور ثلاثة وهي:

أوّلاً: أن يكون عندنا نار، لأنّ مجرّد نيّة الإحراق للورقة لا تكفي.

وثانياً: أن يوجد شرط لكي يؤثّر المقتضي (النار) أثره في الورقة، وهذا الشرط هو أن يحصل التماسّ بين هذه الورقة وبين النار، وإلاّ لو جعلت الورقة في جانب وجعلت النار في جانب آخر، فلن يتحقّق الإحراق.

وثالثاً: أن لا تكون الورقة مبتلّة بالماء، وإلاّ فإنّ الماء يمنع من إحراقها.

فالمقتضي هو النار، والشرط هو التماسّ بين الورقة والنار، وعدم المانع هو أن لا يكون الماء قد بلّل الورقة لأنّ ذلك يمنع الإحراق.

فإذا وجد المقتضي والشرط وارتفع المانع، يتحقّق الإحراق خارجاً، وهذه هي المقدّمة التأسيسيّة للجواب.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى هو المخطّط والمهندس لوجود هذا العالم وقد أعطى لكلّ شيء قدره، فهل تصل هذه الهندسة الإلهيّة إلى نتيجتها وإلى الهدف الذي من أجلها خلق الله هذا العالم، ومن أجله خلق هذا الإنسان؟ أم قد يكون هناك مانع داخلي أو خارجي يمنع فعل الله سبحانه وتعالى من الوصول إلى الغاية التي من أجلها خلق؟

يُجيب القرآن الكريم فيقول: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠)؛ أي: إنّ كلّ إنسان وكلّ مخلوق ميسّر ـ بنحو عامّ ـ لما خُلق له، أو هيّأ الله سبحانه وتعالى له الوسائل والأسباب لكي يصل إلى الهدف والكمال

الذي خُلق له.

ومن ثمّ لا يمكن لأحد مهما بلغت قدرته أن يمنع الإرادة الإلهيّة من أن تحقّق الكمال الذي من أجله خلق الله الإنسان.

وبضميمة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ (الطلاق: ٣) نصل إلى القول الفصل في المسألة؛ بمعنى أنّه تعالى جعل من أمره أن يكون لهذا الإنسان هدفٌ وغاية، وهو الانتهاء والرجوع إليه، فلا يمكن أن يمنعه مانع، وسوف يتحقّق الأمر الإلهي، لأنّه سبحانه بالغ أمره، وقد جعل لكلّ شيء قدراً.

إذن لا يمكن أن يكون هناك ما يُعجز الإرادة والسُّنن الإلهيّة عن أن توصل كلّ مخلوق إلى كماله المطلوب واللائق به.

الثاني: طلب الحقّ والحقيقة

لكي يتّضح هذا الدليل لابدّ من بيان المعنى المُراد من المفردات التي يتركّب منها.

عندما نقول (حقيقة) فإنّ المراد من الحقيقة ما يقع في قِبال السراب، وتوضيح ذلك: إنّ الإنسان تارةً يطلب شيئاً وذلك المطلوب له واقع، وأخرى يطلب شيئاً لا واقع له، وبتعبير القرآن الكريم: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ (النور: ٣٩)، فالإنسان في السراب يتصوّر أنّه يوجد هناك ماء ولكن في الواقع لا يوجد أيّ ماء، وهو يتوهّم ويتصوّر ويُخيَّل إليه أنّه يرى الماء.

أما كلمة الحقّ فلها استعمالات متعدّدة؛ قال الشيخ ابن سينا : «أمّا الحقّ فيفهم منه الوجود في الأعيان مطلقاً، ويفهم منه الوجود الدائم، ويفهم منه حال القول أو العقد الذي يدلّ على حال الشيء في الخارج إذا كان مطابقاً

له، فنقول : هذا قول حقّ، وهذا اعتقاد حقّ، فيكون الواجب الوجود الحقّ بذاته دائماً، والممكن الوجود حقّ بغيره باطل في نفسه، فكلّ ما سوى الواجب الوجود الواحد باطل في نفسه.

وأمّا الحق من قبل المطابقة فهو كالصادق إلا أنه صادق ـ في ما أحسب ـ باعتبار نسبته إلى الأمر، وحقّ باعتبار نسبة الأمر إليه».[(١)]

قال صدر المتألهين: «وأمّا الحقّ فقد يعنى به الوجود في الأعيان مطلقاً، فحقّيّة كلّ شيء نحو وجوده العينيّ، وقد يعنى به الوجود الدائم، وقد يعنى به الواجب لذاته، وقد يفهم منه حال القول والعقد من حيث مطابقتهما لما هو واقع في الأعيان، فيقال: هذا قول حقّ وهذا اعتقاد حقّ. وهذا الاعتبار من مفهوم الحقّ هو الصادق، فهو الصادق باعتبار نسبته إلى الأمر، وحقّ باعتبار نسبة الأمر إليه».[(٢)]

وقال الفارابي في «فصوص الحكم»: «يقال حقّ للقول المطابق للمخبر عنه إذا طابق القول، ويقال حقّ للموجود الحاصل للخبر عنه إذا طابق الواقع، ويقال حقّ للذي لا سبيل للبطلان إليه. والأول تعالى حقّ من جهة المخبر عنه، حقّ من جهة الوجود، حقّ من جهة أنه لا سبيل للبطلان إليه. لكنّا إذا قلنا أنه حقّ فلأنه الواجب الذي لا يخالطه بطلان، وبه يجب وجود كلّ باطل. ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل».[(٣)]

---

(١) **الإلهيات من كتاب الشفاء**، الشيخ الرئيس ابن سينا، تحقيق: آية الله حسن زاده الآملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ : ص ٦٢.

(٢) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، لمؤلّفه: الحكيم الإلهي والفيلسوف الربّاني صدر الدين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج ٣ ص ٢٥٣.

(٣) **نصوص الحكم في شرح فصوص الحكم**، آية الله حسن زاده الآملي، الفص ٧١ ص ٥٤٠.

ونحن عندما نطلق الحقّ هنا، فإننا نريد منه ما يرادف الصدق بنحو من الأنحاء، ولذا يتوقّف معرفة معنى الحقّ على معرفة معنى الصدق.

من الواضح أنّ الإنسان عند ما يأتي إلى ما يحيط به من السماء والأرض والماء والأناسي وغيرها من الأشياء التي توجد في هذا العالم، والتي يمكن أن ينالها بحواسّه الظاهرية أو تلك التي لا يمكن أن ينالها كذلك، وإنما يقوم الدليل على إثباتها، يؤمن بها ويصدّق بها، من قبيل أنّه يؤمن بأن الله سبحانه موجود وأنّ الآخرة موجودة، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله موجود، وأنّ الإمام عليه السلام موجود ونحو ذلك من القضايا التي توجد عند الإنسان والتي ترتبط عموماً بالعلم الحصولي.

ومرادنا من العلم الحصولي ما نملكه من مفاهيم تحكي عن حقائق خارجيّة، كما لو كنت أملك صورة عن الماء، فنفس الماء غير موجود في ذهني وإنّما صورة ومفهوم ومعنى الماء هو الموجود في ذهني، وهذا المعنى والمفهوم الذي يوجد في الذهن يكون كمرآة عاكسة للواقع الخارجي. ومن هنا عندما يحصل لي علم بهذه الصورة أعتقد أو أؤمن بأنّ هذا الشيء موجود في الواقع الخارجي.

هذه القضايا التي توجد في الذهن إذا طابقت ما يوجد في الواقع الخارجي نُسمّها قضايا صادقة، وإلاّ تكون قضايا غير صادقة، أو كاذبة وغير مطابقة للواقع الخارجي.

فالصدق وصف للقضيّة الموجودة في الذهن، أمّا إذا كان الواقع الموجود مطابقاً لما أملك من مفهوم فنسمّيه (حقّاً) أي أنّ الواقع يسمّى حقّاً.

فإذن الحقّ ليس وصفاً للقضيّة وإنّما وصف للواقع. فالفارق بين الحقّ

والصدق هو أنّ الصدق يكون وصفاً للقضيّة المطابقة، أو الصورة الموجودة في الذهن التي تحكي الواقع الخارجي، فإذا كان هناك مطابقة نسمّي القضيّة صادقة، أمّا إذا كان الواقع الخارجي مطابقاً لما أملك عنه من صور ومن معانٍ فنسمّي ذلك حقّاً.

وبتعبير آخر: الحقّ هو وصف للواقع الخارجي إذا كان مطابقاً لما عندي من صور، والصدق وصف للقضيّة الذهنيّة إذا كانت مطابقة للواقع الخارجي.

الصدق والحقّ كلاهما يحكيان عن هذه الحقيقة، وهو أنّ الصور التي أملكها في الذهن إذا كانت مطابقة للواقع فبلحاظ صفة القضيّة نسمّيها صدقاً، وبلحاظ الواقع الخارجي نسمّيها حقّاً.

ونحن في هذا الدليل نريد أن نبيّن أنّ الإنسان طالب للحقّ، أي أن يصيب الواقع الخارج، ولا يريد أن يطلب شيئاً غير موجود، وإنما يطلب شيئاً موجوداً.

في بعض الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اللّهُمَّ أرني الأشياء كما هي**»[1] أي ربّ عرفني الأشياء على ما هي عليه في الواقع ونفس الأمر.

في حالة السراب نحن نعرف شيئاً في الذهن، ولكن هذا الموجود في الذهن غير مطابق للواقع، وعندما نرى الصورة من بعيد نراها كأنّها ماء، وعندما نقترب منها يتّضح لنا أنّها ليست بشيء، فما كان موجوداً في الذهن لم يكن مطابقاً للواقع.

بهذه المقدّمة اتّضح لنا ما هو المراد من الحقّ والحقيقة.

---

(١) **أعيان الشيعة**، الإمام السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت: ج٢ ص٥٩٢ .

والنتيجة أنّ هذه العلوم التي نملكها عن الواقع الخارجي كلّها علوم حصوليّة، لأنّنا نملك صورة عن الواقع لا نفس الواقع، وحتّى في جانب الحقيقة نملك عنها صورة كالصورة التي تنعكس في المرآة، كما لو افترضنا أنّنا نضع مقداراً من النار إزاء المرآة، فهذه النار تنعكس في المرآة ولكنّها غيرها؛ لأنّ النار حارّة ومحرقة والصورة الموجودة في المرآة ليست كذلك.

وهذا هو الفارق بين العلم الحصولي والعلم الحضوري، حيث إنّ الحضوري له أثره الخاصّ به، أمّا الحصولي لا يترتّب عليه ذلك الأثر الموجود للواقع الخارجي.

فالكلام عن الحقّ والحقيقة بلحاظ الصورة الذهنيّة إنما هو في دائرة العلم الحصولي، وإلاّ لو كان في دائرة العلم الحضوري لكان له حديث مختلف، والناس في الأعمّ الأغلب يتعاملون على أساس هذه العلوم الحصوليّة لا على أساس العلوم الحضوريّة.

وطلب الحقّ والحقيقة من الأمور الفطريّة التي لا يختلف عليها اثنان حيث يريد الإنسان التعرّف على الحقائق الموجودة خارج وجوده بسبب الفطرة التي خلقه الله عليها، لأنّ أصل الأمور الفطريّة حبُّ الإنسان لكمال ذاته، ولكلّ ما يرتبط بكماله، فيكون طالباً له، وكلّ ما يؤدّي إلى نقصه يكون منفّراً وغير ملائم له ويحاول الهروب منه.

فالماء ملائم لذاته لذا يطلبه، والنار غير ملائمة له فيهرب منها لأنّها تحرقه وتؤلمه. والطفل بمجرّد أن يضع يده على النار يجدها تحرق فيبتعد عنها، ويسحب يده بشدّة منها، فيشعر بأنّ هذا مؤلم وإن كان لا يستطيع أن يعبّر عن هذه الحقيقة بقضيّة أو مفهوم، ولكنّه أمرٌ فطريّ، فما يلتذّ به ويلائمه يطلبه، وما يؤدّي إلى إيلامه وما لا يلائمه ينفر عنه ويهرَب منه.

لماذا طلب الحقيقة؟

بناءً على ما تقدّم فالإنسان يطلب الحقائق لكي يعرف ما هو ملائم لذاته حتّى يكون طالباً لما يكمل به، وما هو غير ملائم يهرب منه لأنّه يؤدّي إلى إيلامه.

الإنسان إذن يطلب الحقيقة لأجل أن يعرف ما هو الشيء الملائم لكمال ذاته، ويحاول أن يحصل على ذلك، وأن يوجده لنفسه، وأن يستغني به، وأن يكون جزءاً من وجوده. فالماء يشعر به إذا شربه أنّه يرفع العطش، وهذا كمال له، ويُوجِد لذّة عنده فيطلبه، أمّا السمّ فإنّه يعلم بأنّه إذا شربه سيؤدّي به إلى الهلاك فينفر منه.

ومن هنا يحاول أن يميّز في واقع الأمور، بين ما هو فيه لذّة له، وما هو مؤلم له.

فطلب الحقيقة ليس طلباً لها بما هي حقيقة بل لكي يتعرّف من خلالها على ما يلائمه ويسبّب له اللذّة، وما هو غير ملائم له ويؤدّي إلى إيلامه فيهرب ويتخلّص منه.

وهكذا في محاولته لمعرفة الله تبارك وتعالى، فهو يطلبها لأنّ معرفة الله تعالى والقرب منه كمال له، وعدم معرفته تعالى والجهل به نقص.

وكذلك معرفة الآخرة، وقوانين النشأة الأخرى، إنما تكون لأجل معرفة ما ينفعه وما يضرّه، وقلنا سابقاً بأنّ كلّ ما يطلبه الإنسان بالفطرة هو مقتضى حكمة الله تبارك وتعالى، لأنّه تعالى أوجَد الفطرة في الإنسان لكي يلبّي له ذلك المطلوب بفطرته، وإلاّ لو لم يُرِد تعالى تلبية الإنسان فلماذا يوجد ذلك الطلب في وجود الإنسان وفي فطرته، وهو سبحانه كلّه لطفٌ وفضل؟

اختلاط الحقّ بالباطل

إنّ الحقيقة موجودة في هذه النشأة الدُّنيا، وقد جاء الأنبياء عليهم السلام لكي يبيِّنوها. جاءوا ليبيّنوا للإنسان الصراط المستقيم، والحقائق التي توصله إلى كماله المطلوب الذي خُلِقَ من أجله. لقد عبّر القرآن الكريم عن وظيفة الأنبياء عليهم السلام بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، فالهدف الأساس الذي من أجله بُعث الأنبياء من أوّلهم إلى آخرهم هو العدل والقسط وبيان الحقّ والحقيقة.

هذا مضافاً إلى أنّ العقل له القدرة على التشخيص أيضاً، ففي الروايات أنّ الله سبحانه وتعالى جعل للإنسان حجّة ظاهرة متمثّلةً بالأنبياء والرُّسل، وحجّة باطنة وهي العقل، وهذه حقيقة لا ريب فيها.

وإنّما الكلام هو في أنّ الحقّ والحقيقة في هذه النشأة الدُّنيا أخالصة هي، أم مختلطة بالباطل؟

القرآن الكريم أجاب عن ذلك بوضوح، وأثبت وجود هذا الاختلاط والالتباس بين الحقّ والباطل في هذه الدُّنيا؛ قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد: ١٧). فالحقّ موجود ولكنّه في كثير من الأحيان يعلوه الزبد، وهذا الزبد يذهب جفاء، وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

والوجدان أيضاً يثبت هذه الحقيقة. فالعدل موجود في الدُّنيا وإلى جانبه الظلم، والإخلاص موجود وإلى جانبه الرِّياء، والإيمان موجود وإلى جانبه الكفر والنفاق.

فالنشأة الدُّنيا في كثير من الأحيان في ظاهرها شيء، وفي باطنها شيءٌ آخر. والأمور في الدُّنيا لا تؤخذ بحسب الظاهر فقط، وإنّما هناك وراء هذا الظاهر أمرٌ آخر.

نعم بعض الناس وصلوا إلى مقامات عالية في ظاهرهم وباطنهم، وسرّهم وعلانيتهم، فهم على درجة واحدة، بل لعلّ سرّهم أعلى وأقرب إلى الله من علانيتهم، ولو كُشف لهم الغطاء ما ازدادوا يقيناً. وهذه حالات خاصّة.

أمّا الحالة العامّة فإنّ الحقّ مختلط بالباطل كما أشارت إلى ذلك الآية المتقدِّمة، والتي يقول الطباطبائي في تفسيرها: «والآية الكريمة من غرر الآيات القرآنيّة تبحث عن طبيعة الحقّ والباطل فتصف بدء تكوّنهما وكيفيّة ظهورهما والآثار الخاصّة بكلّ منهما وسنّة الله سبحانه الجارية في ذلك ...».

إلى أن يقول: «إنّ تفرّق هذه الرحمة السماويّة في أودية العالم وتقدّرها بالأقدار المقارنة لها لا ينفكّ عن أخباث وفضولات تعلوها وتظهر منها، غير أنّها باطلة أي زائلة غير ثابتة، بخلاف تلك الرحمة النازلة المتقدّرة بالأقدار فإنّها باقية ثابتة أي حقّة. وعند ذلك ينقسم ما في الوجود إلى حقّ وهو الثابت الباقي، وإلى باطل وهو الزائل غير الثابت»(١).

فهذا الطلب للحقيقة في الدُّنيا لا يمكن أن يتحقّق في النشأة الدنيويّة من غير أن يعلوها بطلان ومن غير أن تصاب بالاشتباه والخطأ على وجه العموم.

وهذه النشأة نشأة لم يتّضح فيها الحقّ محضاً وخالصاً من غير أن يعلوه الزبد، والكثير منّا يتصوّر أنّ هذا الزبد هو الحقّ فيلتبس عليه الحقّ بالباطل،

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١١ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٨.

وفي كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الشبهة إنّما سمّيت شبهة لأنّها تُشبه الحقّ، (١) وليست هي الحقّ، بل هي باطل ولكن ظاهرها يشبه الحقّ، وبتعبير القرآن الكريم: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ (الأنفال: ٤٨). فالتزيين من عمل إبليس، وهو يزيّن للإنسان الباطل ويلبسه بلباس الحقّ، فيتصوّر الإنسان أنّه على حقّ، وهو في الواقع على باطل.

والسبب في وجود هذا الاختلاط هو أنّ الله تعالى جعل هذه النشأة نشأة العمل، لا نشأة الجزاء والحساب، وإذا كانت نشأة العمل فلابدّ أن يختلط فيها الحقّ بالباطل من أجل أن يُمتحن الإنسان ويُبتلى، وإلاّ لو كان الحقّ واضحاً من غير اختلاط بالباطل، وكان الباطل محضاً من غير التباس بالحقّ فلا معنى حينئذ للامتحان والابتلاء.

إذن، سنّة الابتلاء إنّما جاءت وقامت على أساس أنّ الحقّ هنا يلتبس بالباطل، ونهاية الابتلاء تكون عندما يتميّز الحقّ من الباطل، والطيّب من الخبيث، وهذا الابتلاء هو من أسباب تكامل الإنسان الذي يوسوس له الشيطان، فإمّا أن يستجيب له أو يرفضه.

أين يلبّي الله تعالى الحاجة الفطريّة؟

بعد أن ثبت لنا أنّ هناك أمراً فطريّاً في وجود الإنسان وهو طلب الحقيقة من غير التباس ومن غير اختلاط مع الباطل كما في هذه النشأة التي لا تتّضح فيها معالم الحقّ بشكل يتميّز فيه عن الباطل، فإذن لابدّ من وجود نشأة أخرى ينتهي إليها الإنسان تتّضح فيها معالم الحقّ بأجلى صوره من دون أيّ لبَس أو شكّ أو اختلاط مع الباطل.

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: الخطبة: ٣٨.

وهذه النشأة الأخرى هي التي عبّر عنها القرآن الكريم بالدار الآخرة حيث تلبّى فيها الحاجة الفطريّة للإنسان الساعي إلى طلب الحقّ ومعرفة الحقيقة، وتمييز الحقّ من الباطل، والخبيث من الطيّب.

وقد نطقت الآيات القرآنيّة بثبوت هذه الحقيقة في تلك الدار الآخرة، وأنّ الحقّ سيتّضح فيها وضوحاً كاملاً وخالصاً بنحو لا يخالطه أيّ بطلان، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ (النبأ: ٣٩).
- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ (النور: ٢٥).
- وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ (النور: ٢٥).
- وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ (الأنعام: ٧٣).
- وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ (الأعراف: ٨).

وبناءً على هذا كلّه يتّضح لنا أنّ من جملة الأدلّة على ضرورة المعاد: لابديّة وجود يوم موصوف بـ «اليوم الحقّ» كما عُبّر عنه قرآنيّاً.

الثالث: دليل العدل الإلهي

حقيقة الإنسان

هناك مجموعة من البراهين والأدلّة التي أُقيمت لإثبات المعاد ترتبط بمعرفة حقيقة الإنسان في القرآن الكريم، من هنا كان لابدّ من تقديم مقدّمة في هذا الدليل نتناول فيها حقيقة الإنسان ليتّضح لنا الأمر حول ارتباط حتميّة المعاد بمعرفة حقيقة الإنسان.

الحقائق القرآنيّة التي تضمّنتها آيات الكتاب الكريم أشارت إلى أنّ الإنسان مخلوق لله سبحانه وتعالى وأنّه ينطوي على بُعدين أساسيّين.

وهذان البُعدان لا يجعلان من الإنسان مخلوقاً مركّباً، لأنّ التركيب يوحي بالاثنينيّة، ونحن لا نعتقد بأنّ الإنسان الواحد فيه اثنينيّة، وإنّما هو حقيقة واحدة لها أبعاد مختلفة، وبالتعبير الفلسفي لها مراتب وشؤون متعدّدة.

ونحن سنحاول أن نقسّم هذه الشؤون والمراتب إلى بُعدين أساسيّين:

البُعد الأوّل: أنّه موجود، وجد من الأرض والتراب والطين، فله بُعد أرضيّ مرتبط بهذه النشأة وبأحكامها وقوانينها.

البُعد الثاني: هو البُعد الغيبي والملكوتي، والذي لا يمكن أن يُحسّ بالحواسّ الظاهرة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين البُعدين والشأنين في وجود الإنسان في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ** ﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٣).

وقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** ﴾ (الحجر: ٢٩).

وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ** ﴾ (السجدة: ٩).

فالخلق من الطين هو إشارة إلى البُعد الأوّل.

والنفخ فيه من روح الله سبحانه إشارة إلى البُعد الثاني.

وفي مقابل ذلك هناك من توهّم أنّ الإنسان ذو بُعد واحد إمّا مادّي على رأي وإمّا معنوي على رأي آخر، وهذا ما نفاه علماء الإسلام وفلاسفته، وأجمعوا على وجود هذين البُعدين في الإنسان، ومن هؤلاء العلماء صدر الدِّين الشيرازي حيث يقول: «إنّ من توهّم أنّ حقيقة الإنسان مجرّد البدن ومزاجه، زاغ عن الحقّ وقصر نظره على الجسم وأخلد إلى الأرض، البدن غير مرتق عن هذه الهاوية المظلمة إلى ما فوقها، فنظر إلى حقيقة الإنسان

بإحدى العينين، وهي اليسرى، فكذلك مَن ظنّ أنّ حقيقته ليس إلاّ الجوهر النطقي بلا ممازجة البدن، فقد أخطأ ونظر إليها بالعين العوراء، إلاّ أنّها اليمنى، والعارف الكامل هو الذي كان ذا العينين من غير عمى لا في اليمنى كالحشويّة والمجسّمية، ولا في اليسرى كأتباع الفلاسفة المحرومين عن المشرب العذب المحمّدي وفهم ما أنزل عليه صلى الله عليه وآله من القرآن المجيد الذي كان خلفه صلى الله عليه وآله، الممنوعين يوم القيامة عن الشرب الذي يكون ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان: ٥)، ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ (الإنسان: ١٧) وذلك لحرمانهم عن متابعة الأنبياء...»[1].

والآيات القرآنيّة تشير كثيراً إلى هذين البُعدين، ونحن نقف عند قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ * ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ * ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

فالملاحظ في الآية المذكورة أنّ التعبير فيها لم يختلف عن البُعد الأوّل: (خلقنا الإنسان.. خلقنا النطقة علقة.. فخلقنا العلقة...)

أمّا عند الإشارة إلى البُعد الثاني، عبّر بتعبير مغاير فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾، فإذن يوجد هناك بُعدان أساسيّان في وجود الإنسان: بُعد يرتبط بالأرض، وبُعد يرتبط ـ إن صحَّ التعبير ـ بالسماء، وبُعد يرتبط بعالم الشهادة، وبُعد يرتبط بعالم الغيب والملكوت.

---

(١) **المبدأ والمعاد**، صدر الدِّين الشيرازي، مقدّمة وتصحيح: جلال الدِّين أشتياني، الجمعية الملكية للفلسفة في ايران: ص٣٠٩.

وكمال الإنسان أن يعمل على تنمية وتقوية بُعده الملكوتي والغيبي، والبُعد الذي يرتبط بـ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر: ٢٩). يقول الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقلُهُ شهوتَه فهو خيرٌ من الملائكة، ومَن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم**»[(١)].

فالإنسان سنخ موجود بإمكانه أن يترقّى فيتجاوز درجات الملائكة؛ يقول صدر الدِّين الشيرازي: «إنّ الإنسان يمكن أن يصير في آخر مقاماته أشرف من الملائكة، إذ كما أنّ للملائكة طبقات متفاوتة في الوجود النزولي، وأشرفها طبقة الأرواح المهيّمة التي هي باصطلاح الحكماء تسمّى العقول الفعّالة، فكذلك الإنسان درجات متفاوتة في الصعود إلى الله، وأشرفها وأكملها درجة الأرواح النبويّة التي أيضاً عقول بالفعل، وعند القيام إلى الله تعالى، وكما أنّ أوّل الأرواح العقليّة مَن لا واسطة في الشرف بينه وبين الله، كذلك آخر الأرواح النبويّة من لا واسطة بينه وبين الله، كما قال صلى الله عليه وآله: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل**»[(٢)]، وهذا لا ينافي كون جبرئيل أو غيره من الملائكة معلِّماً له في بعض الأحوال، لما علمت أنّ الإنسان ذو نشآت متفاوتة»[(٣)].

وكما ورد في أحاديث المعراج وأخباره فإنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله

---

(١) **نهج البلاغة**، المستدرك: ص ١٧٢.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٧٩ ص٢٤٣.

(٣) **تفسير القرآن الكريم**، صدر الدِّين الشيرازي، تصحيح محمّد خواجوي، انتشارات بيدار، قم، إيران، ط١، د. ت: ج ٣ ص ٦٠.

بلغ مقاماً لم يبلغه جبرئيل ولن يستطيع الوصول إليه رغم كونه من الملائكة المقرّبين، وقال للنبيّ صلى الله عليه وآله: «**وطئت موطئاً لم يطأه أحدٌ قبلك لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل**»[١] أو «**لو دنوت أُنملة لاحترقت**»[٢].

فهذا الإنسان بمقدوره أن يصل إلى هذه المقامات، وبمقدوره أيضاً أن يتسافل في دركات الجحيم، فيصير أضلّ من الأنعام؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وهذا المعنى تضمّنته ـ كما قلنا ـ الكثير من آيات الكتاب المجيد، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠)، وهذا إشارة إلى أنّ في الإنسان بُعداً معيّناً هو أنّه مخلوق من الطين، وهذا البُعد قد يجعله يتثاقل إلى الأرض ويخلد إليها.

أمّا في مقام الجواب عن سؤال الملائكة فإنّ الله تعالى لم يقل فقط بأنّ الإنسان يُفسد في الأرض، ويسفك فيها الدِّماء، بل قال أيضاً: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: إنّ هذا الإنسان بإمكانه أن يُغلّب عقله على شهوته، وأن يجعل الشهوة والغضب تحت إمرة العقل، وعند ذلك يكون أعلى درجة من الملائكة.

---

(١) **مدينة المعاجز**، السيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم: ج١ ص٥٩.

(٢) **مستدرك سفينة البحار**، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت:١٤٠٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، بقم المشرّفة: ج١٠ ص١٥٤.

والإنسان يستطيع أن يمشي في درجات التقوى ليصل إلى القُرب الإلهي، وليصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، وبإمكانه أن يسلك طريق درجات الجحيم حتّى يصل إلى الدرك الأسفل من النار، فكلا الأمرين موجودان في الإنسان.

قال صدر المتألّهين : «إنّ الإنسان وإن كان بحسب صورته البشرية نوعاً واحداً من جملة أنواع الحيوانات متّفق الأشخاص في تمام حقيقتها النوعية، إلا أنه بحسب قوّته النفسانية المصوّرة بالصورة الباطنية الأخروية قابل لأن يصير أنواعاً كثيرة لحقائق متخالفة، بعضها من جنس الملك وبعضها من جنس الشيطان وبعضها من جنس السبع وبعضها من جنس البهيمة وبعضها مما هو أسفل من البهيمة.

وبالجملة ما من نوع أنواع الموجودات ـ من أعلاها إلى أسفلها ـ إلا ويمكن أن ينقلب إليه بعض الأشخاص الإنسانية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ (البينة: ٦ـ٧)».[١]

فإذا كان الأمر كذلك نقول: لذا جاءت النبوّات والرسالات، وجاءت الشرائع الإلهيّة، وجاء العقل الباطن، لهداية الإنسان إلى الصراط المستقيم، حتّى لا يقع في الضلالة والانحراف. ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: ٦ ـ ٧).

ولكن كما هو واضح بالاستقراء والوجدان، فإنّ البشر ليسوا جميعاً أنبياء ولا معصومين. ومع كلّ هذه الهدايات الإلهيّة بمختلف أبعادها نجد أنّ هناك كثيراً من الناس يضلّون وينحرفون عن الصراط السويّ، ويقعون

---

(١) المصدر السابق : ج ٣ ص ٦٠.

في متاهات الانحراف والضلالة.

فعندما نقف أمام التاريخ نجده يبيِّن لنا أنّ الناس قد انقسموا إلى صنفين:

الأوّل: الصنف الذي قَبِلَ الهداية الإلهيّة، وسلك درب الصراط المستقيم، وجعل الوحي والنبوّة والهداية أمامه، ومشى في هذا الطريق.

الثاني: الصنف الذي جعل الكتاب خلف ظهره، ولم يعتنِ بالوحي والرسالة، وبالرسول الباطن (العقل)، فضلَّ وانحرف عن الصراط.

فهناك إذن ارتباط أساسيّ بين هذين البُعدين في الإنسان وبين الإيمان بالمعاد واليوم الآخر.

بيان ذلك: كما قلنا إنّ التاريخ بيّن لنا بنحو واضح أنّ البشر ليسوا جميعاً على صراط التوحيد والهداية، فالسؤال المطروح حينئذ هو: كيف سيتعاطى الله تعالى مع خلقه؟ وكيف سيعاملهم؟

فهناك فئة من البشر سفكوا الدِّماء، وأهلكوا الحرث والنسل، وسعوا في الأرض فساداً وظلماً وطغياناً كالطواغيت والمستكبرين والفراعنة، وهناك فئة أخرى هي المؤمنة التي سارت على الصراط المستقيم، وانتهجت نهج التوحيد والنبوّة والهداية الإلهيّة.

والتعامل الإلهي مع هؤلاء فيه احتمالان:

الأوّل: أنّ الله تعالى سيتركهم سدىً، وهذا خلاف دليل الحكمة الذي أشرنا إليه، وهو خلاف العدل الإلهي ـ كما سنرى ـ لأنّ الله تعالى عادل، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصّلت: ٤٦)... والقرآن الكريم أشار إلى أنّه سبحانه وتعالى لا يساوي بين هاتين الطائفتين من البشر.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة: ١٨).

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم: ٣٥).

وكلّها تتضمّن الاستفهام الاستنكاري؛ لأنّه لا ينبغي أن نساوي بين هؤلاء وهؤلاء، بل يعترض القرآن على هذه المساواة بقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (الصافات: ١٥٤).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية: ٢١).

فالحكم الإلهي قائم على أساس الحكمة والعدل، وهذا يقتضي عدم المساواة بين هاتين الفئتين، بل مقتضى العدل الإلهي أن يجازي العباد حسب أعمالهم فيعاقب المسيء، ويُثيب المطيع.

الجزاء بين الدُّنيا والآخرة

إذا كان الاستدلال على المعاد يتمّ من خلال الدليل المتقدّم والذي ينصّ على ضرورة معاقبة الكافر وغير المطيع في عالم الآخرة، فيمكن للبعض أن يقول: ألا يمكن لهذه المجازاة أن تتمّ في عالم الدُّنيا، بحيث يرى الإنسان ثمار أعماله في هذه النشأة؛ إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً؟ وما المانع من ذلك؟

في الواقع هذا التساؤل ورد على ألسنة جملة من الفلاسفة، الذين قبلوا مقتضى الحكمة الإلهيّة، والعدل الإلهي بأن يصل المؤمن إلى جزاء عمله وثوابه، وأن يصل الفاسق والمجرم والفاجر أيضاً إلى عقاب عمله، وهذا ممّا لا إشكال فيه. ولكن لماذا يكون ذلك في نشأة أخرى، ولا يكون في هذه النشأة ؟

والقول بأنّ كثيراً من الكفّار والفاسقين ماتوا ولم يعذّبوا في الدُّنيا، فأين هو عذابهم إذن؟ أجاب عنه هؤلاء بنظريّة التناسخ، والتي محصّلها أنّ هؤلاء آمنوا بعدل الله وحكمته، وأنّ المؤمن المتّقي لابدّ أن يصل إلى ثواب عمله، وأنّ الفاجر الفاسق لابدّ أن يصل إلى عقاب عمله، ولكنّ ذلك يحدث في هذه النشأة بلا ضرورة لإثبات نشأة أخرى، وأنّ هذه الروح قد تنتقل على سبيل المثال إلى بدن حيوان، ويتمّ تعذيبها من خلال الانتقال إلى أبدان أخرى، والمؤمن إنما ينعّم من خلال الإنتقال إلى أبدان أخرى.

وليس البحث هنا للردّ على نظريّة التناسخ وكيفيّة إبطالها، وإنّما غرضنا الأساس هو الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم عرض لجملة من الأدلّة في آياته لبيان أنّ الجزاء إنّما يحصل في نشأة أخرى غير نشأة الدُّنيا؛ منها:

- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٦٠) وهذا التعبير ورد في الكثير من الآيات القرآنيّة[١].
- وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧).
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (يونس: ٣٤، ولاحظ النمل: ٦٤، والروم: ١١ و٢٧).
- وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ (يونس: ٤) وهذه الآية صريحة في أنّ الجزاء من حيث الثواب والعقاب لابدّ أن يكون عند الرجوع إليه سبحانه.

---

(١) راجع: آل عمران: ٣، والمائدة: ٤٨ و ١٠٥، والأنعام: ٦٠ و ١٦٤، ويونس: ٤ و ٢٣، وهود: ٤، والعنكبوت: ٨، ولقمان: ١٥، والزمر: ٧.

وفي كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ورد هذا المعنى، ومنها:

- **«وذلك يوم يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال»**(١).
- **«والله سبحانه مبتدئ الحكم بين العباد، في ما تسافكوا في الدِّماء يوم القيامة»**(٢).
- **«والحَكَم الله، والمعود إليه يوم القيامة»**(٣).
- **«وكأنّ الصيحة قد أتتكم، والساعة قد غشيتكم، وبرزتم لفصل القضاء، قد زاحت عنكم الأباطيل، واضمحلّت عنكم العلل، واستحقّت بكم الحقائق، وصدرت بكم الأمور مصادرها»**(٤).

لماذا الجزاء في الآخرة ؟

لنا أن نقول: لماذا لم يجعل الله تعالى جزاء عمل الإنسان ـ ثواباً كان أو عقاباً ـ في هذه الدُّنيا ؟

والجواب: إنّ هذه الدُّنيا لا تصلح أبداً لذلك، ولا يمكن أن تكون جزاءً وفاقاً، والقرآن يؤكّد بأنّ الجزاء لابدّ أن يكون وفق العمل، وهو ما عبّر عنه بـ ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾، والجزاء الأوفى هو الذي ينسجم مع العمل.

فلو أنّ إنساناً قتل خمسة ملايين شخص، فكيف يمكن أن يكون عقابه في الدُّنيا؟ وهل يكفي في ذلك قتله مرّةً واحدة؟

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، الرسالة: ٥٩.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ١٦٢.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ١٠٢.

بالطبع كلاّ، لأنّ هذا العقاب لا ينسجم مع طبيعة العمل الذي قام به، وهذا كلّه على فرض أنّ العاصي والفاسق والمجرم نال عقابه، وإلاّ فإنّ كثيراً من الطواغيت والمجرمين رحلوا عن هذه الدُّنيا دون أن ينالوا جزاءهم.

ويمكن أن يُثار هنا سؤالٌ آخر، وهو: لماذا لم يرتّب الله تعالى قوانين هذه النشأة ـ عالم الدُّنيا ـ بصورة لا يمكن معها أن يفلت القاتل من القصاص، والفاسق من العقاب... وهكذا ؟

والجواب: إنّ طبيعة نشأة العمل شيء، وطبيعة نشأة الجزاء شيءٌ آخر. وهاتان النشأتان لا يمكن أن تجتمعا في نشأة واحدة، إذ إنّ طبيعة الدُّنيا من سنخ مغاير لطبيعة الجزاء الذي ينسجم مع العمل، فالقوانين مختلفة في كلّ نشأة؛ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ﴾ (إبراهيم: ٤٨). فلابدّ من الانتقال إلى نشأة أخرى حتّى يمكن للجزاء أن يوافق وينسجم مع العمل الذي وجِد.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «**إنّ الله سبحانه وتعالى لم يرتضِ هذه الدُّنيا لا ثواباً لأوليائه، ولا عقاباً لأعدائه**»[1].

والسبب في ذلك هو أنّ الله سبحانه وتعالى لا يمكن بمقتضى عدله أن يعطي الإنسان في هذه النشأة الدنيويّة جنّات، وبساتين، ونعيماً ... لأنّ الدُّنيا مخلوطة بالألم والأمراض وغير ذلك من الفتن، فطبيعة هذه النشأة أنّها اختلط فيها النعيم أو اللذّة مع الألم.

وحتّى لا يقع الاشتباه والالتباس في قوله «لا يمكن له» فإنّ مرادنا من ذلك هو إنّ طبيعة هذه النشأة الدنيويّة غير قابلة لأن يكون العمل والجزاء فيه في مكان واحد.

---

(١) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: الكلمات القصار، رقم: ٤١٥.

وبتعبير آخر: هذا من قبيل أنّ الإنسان غير قادر وغير مستطيع أن يعيش في الماء؛ لأنّه خُلِق بنحو لابدّ أن يكون خارج الماء في حياته. أمّا السمكة فهي سنخ وجود طبيعتها أنّها تستطيع أن تعيش في الماء. فهذه النشآت لها طبائع مختلفة وأحكام وقوانين مختلفة.

وبهذا كلّه يتّضح لم جعل الله تعالى الجزاء في النشأة الأخرى، وذلك لأنّ القرآن الكريم يعتبر أنّ الجزاء لابدّ أن يكون وفق العمل ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ (النبأ: ٢٦)، وهذا الجزاء الوفاقي للإنسان لا يمكن أن يتمّ في هذه النشأة مهما بلغت؛ لأنّ الدُّنيا نعيمها مختلط بآلامها، وآلامها مختلطة بنعيمها.

أمّا في الآخرة فالطيّبات ـ مثلاً ـ لا تكون إلاّ خالصة من العاهات ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (الأعراف: ٣٢).

المبحث الثاني

حقيقة الموت

- السنن الإلهيّة وأقسامها
- الموت سنّة إلهيّة لا تقبل التبدّل
- الموت وحقيقته عند الفلاسفة والمتكلّمين
- الموت في الرؤية القرآنيّة

السنن الإلهيّة وأقسامها

يُبيِّن القرآن الكريم أنّ السنن الإلهيّة على قسمين:

الأوّل: السنن الإلهيّة التي لا تقبل التبدّل، ولكنّها تقبل أن تكون محكومة لقوانين أخرى، بحيث تبدّلها وتكون حاكمة عليها، ومبدّلة لها.

الثاني: السنن الإلهيّة التي لا تقبل أن تكون محكومة لقوانين أخرى، بمعنى أنّ إرادة الله سبحانه وتعالى لم تتعلّق إلاّ بجريان هذه السنّة، ولن تتبدّل ولا تتخلّف ولا يمكن أن تتحوّل من حال إلى حال.

وهذا معنى قولنا بأنّ السنّة الإلهيّة لا تقبل التبدّل ولا التحوّل؛ لأنّ السنّة إذا تبدّلت لم تكن سنّة ولم تكن قانوناً.

- قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ (الأحزاب: ٦٢، والفتح: ٢٣).
- وقال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

نعم، السنن الإلهيّة إذا كانت من قبيل القسم الأوّل فإنّها تقبل أن تكون هناك سنن حاكمة عليها فتبدّلها أو تحوّلها، ولا يعني ذلك أنّها تقبل بنفسها التبدّل والتحوّل.

وذلك من قبيل ما ورد في أحاديث الدّعاء وأنّه يردّ القضاء، فالقضاء من السنن الإلهيّة، وكذلك القدر، ومع ذلك نجد أنّ الدّعاء أيضاً سنّة أخرى ولكنّه سنّة حاكمة على هذه السنّة (القضاء والقدر).

والماء من السنن الإلهيّة، والنار أيضاً في عمليّة إحراقها، ولكنّنا نجد أنّ الماء عندما يقع على النار يطفئها، فإذن هو سنّة حاكمة على سنّة أخرى.

ومن أوضح مصاديق ذلك في عالم الطبيعة مجموعة القوانين التي تحكم هذا العالم، لكن الأنبياء يأتون بمعاجز تخرق قوانين الطبيعة، والمادّة، ولذا نسمّيها خارقة للعادة (والمقصود من كونها خارقة للعادة أنّها خارقة لما هو المعتاد من القوانين عند الناس).

فالإنسان لا يمكنه أن يضرب بعصاه البحر لينشقّ ويكون يابساً، وليس بمقدوره أن يفعل شيئاً ضمن السنن التي تحكم هذا العالم. أمّا موسى عليه السلام فشقّ البحر بالعصا كان ممكناً له من خلال المعجزة.

فالإعجاز من القوانين الإلهيّة أو من السنن الإلهيّة الحاكمة على غيرها. فكما أنّ القوانين التي تحكم عالم الطبيعة تعدّ قوانين إلهيّة، كذلك ما يتعلّق بالمعاجز والكرامات التي تصدر من الأنبياء والأولياء، هي الأخرى محكومة لقواعد وسنن.

والحاصل: أنّ هناك قوانين إلهيّة قابلة للتبدّل، وهي محكومة لقواعد وقوانين أُخرى؛ كالبلاء الذي تدفعه الصدقة، وصلة الرحم التي تُطيل العمر، والتأييد الإلهي لمن يساعد المحتاجين والفقراء...

الموت سنّة إلهيّة لا تقبل التبدّل

بعد الذي تقدّم نأتي إلى طرح تساؤل في موضوع الموت، وهو: هل الموت من السنن الإلهيّة التي تقبل التبدّل والتغيّر؟ وهل هو من القسم الأوّل من السنن الإلهيّة أم من القسم الثاني ؟

صريح القرآن الكريم أنّ الموت من القسم الثاني من السنن الإلهيّة؛ أي أنّه سنّة لا يمكن أن تتحوّل وتتبدّل. فما من موجود في هذا العالم إلاّ وهو محكومٌ لسنّة وقانون الموت؛ قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وقال :﴿ كُلُّ نَفْسٍ

ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٥٧)، وقال تعالى بحقّ نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠)؛ أي لا يوجد استثناء لهذا القانون حتّى لخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، فهو قانون لا يتبدّل ولا يستثنى منه أحد.

ونظير الموت كقانون لا يتغيّر ـ الذي هو من مصاديق القضاء الذي لا يردّ ولا يبدّل ـ الوعد الإلهي بأن يدخل المؤمن الجنّة، وأنّه لا يخرج منها، فهذا وعدٌ لا يتبدّل لأنّه تعالى كتب على نفسه أنّه إذا وعد وعداً فإنّه لا يخلفه. قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٦)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ (إبراهيم: ٤٧).

هذا في ما يتعلّق بإدخال المؤمن الجنّة، أمّا وعيد الله للكافر بإدخاله النار، وعدم إخراجه منها، فهو لا يدخل في نطاق الوعد الإلهي بل في الوعيد الإلهي إذ قد تشمل الكافر الشفاعة، أو الرحمة الإلهيّة، فهو تعالى أرحم الراحمين وأشفع الشافعين.

حقيقة الموت لغة وعرفاً

في الواقع عندما نتحدّث عن الموت وما يجري على الإنسان بعده، فنحن بحاجة إلى تحديد المقصود والمراد منه على نحو الدقّة. وطبعاً مرادنا منه هنا ما يقع في الحياة الدنيا، لا ما يقع في العوالم الأخرى، كما سيأتي بحثه في أنّه هل يوجد موت آخر وراء هذا الموت الحاصل في هذه النشأة؟ وما هي حقيقة الانتقال من عالم البرزخ إلى عالم الحشر الأكبر؟

ثمّ إنّه لا ينبغي الخلط بين مفهوم الكلمة لغة وبين حقيقته والمراد منه اصطلاحاً، وأنه أمر موجوديّ أو عدميّ وغير ذلك من مباحثه. وعلى هذا فما ارتكبه بعض المفسّرين من الخلط بين حقيقة الموت ـ كاصطلاح فلسفيّ

أو كلاميّ أو قرآنيّ ـ وبين مفهومه اللغوي الواضح عند العرف واللغة، في غير محلّه.

الموت في عرف الناس والعقلاء، هو أن الموجود الذي كانت فيه آثار الحياة والعلم والقدرة والإرادة، إذا فقدها يقال إنه ميّت وإنه مات. فالشجرة الخضراء الغضّة ـ مثلاً ـ فيها حياة، أمّا عندما تبدأ بالاصفرار ثمّ سقوط الأوراق ثمّ تصبح يابسة حينئذ نقول: هذه الشجرة ماتت، والمقصود من موتها هو أنّ تلك الآثار التي كانت موجودة قبل ذلك هي الآن غير موجودة.

قال الطباطبائي: «وأمّا الموت فهو فقْد الحياة وآثارها من الشعور والإرادة عمّا من شأنه أن يتّصف بها؛ قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨)، وقال في الأصنام: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ (النحل: ٢١).

وأمّا أنّه مفارقة النفس للبدن بانقطاع تعلّقها التدبيري كما يعرّفه الأبحاث العقليّة، أو أنّه الانتقال من دار إلى دار كما في الحديث النبوي فهو معنى كشف عنه العقل أو النقل غير ما استقرّ عليه الاستعمال، ومن المعلوم أنّ الموت بالمعنى الذي ذكر إنّما يتّصف به الإنسان المركّب من الروح والبدن باعتبار أنّ بدنه هو الذي يتّصف بفقدان الحياة بعد وجدانه، وأمّا الروح فلم يرد في كلامه تعالى ما ينطق باتّصافه بالموت كما لم يرد ذلك في الملَك.

وأمّا قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨)، وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (الزمر: ٦٨) فسيجيء إن شاء الله أنّ الهلاك والصعق غير الموت وإن انطبقا عليه أحياناً»[1].

وقال بعض الأعلام المعاصرين: «والذي يظهر لي: أنّ التدبّر في

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٤ ص ٢٨٦.

مشتقّات هذه اللغة وموارد استعمالها في الكتاب العزيز كلّها، يؤدّي إلى أنّ معناها السقوط عن الآثار المرغوبة، وإذا قيل: ماتت الريح، أي سكنت، فذلك لأنّ حقيقة الروح هو الاهتزاز، فإذا سكنت فقد سقط أثرها المرغوب فيه وخاصّته الطبيعيّة، وهكذا إذا قيل: ماتت النار، أي لم يبق من الجمر شيء، وإذا قيل: ماتت الحمّى، أي سكت غليانها، وغير ذلك، ونحو قولهم: مات الثوب، أي بُلِي، وماتت الأرض موتاناً ومواتاً: خلت من العمارة والسكّان، ومات الطريق انقطع سلوكه.

فبالجملة: ما اشتهر في معنى الموت، وهو زهوق الروح، أو أنّه زوال الحياة... وهكذا، كلّ ذلك يرجع إلى المعنى الجامع الوجداني»[١].

أمّا الملاّ صدرا فقد قال في معنى الموت وحقيقته: «إنّ معنى الموت في الحقيقة يرجع إلى ترك النفس استعمال الجسد؛ لأنّ البدن للنفس بمنزلة الدكّان للصانع، والأعضاء بمنزلة الآلات، فإذا كلّت آلات الصانع أو انكسرت أو خرب الدكّان وانهدم بناؤه فإنّ الصانع لا يقدر على عمل شيء من الصنعة إلاّ أن يجدّد دكّاناً آخر وأدوات متجدّدة أخرى. فكلّ صانع حكيم إذا فكّر في أمره ونظر في عواقب عمره علم بأنّه لابدّ وأن يخرب يوماً دكّانه وتكلّ أدواته وتضعف قوّة بدنه ويذهب أيّام شبابه...»[٢].

حقيقة الموت عند الفلاسفة والمتكلّمين

اختلفت آراء الفلاسفة والمتكلِّمين حول فهم حقيقة الموت، فقدّم كلّ فريق تفسيره الخاصّ لذلك وفقاً للمنهج الذي سلكه واتّبعه.

---

(١) تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني، تحقيق ونشر: مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م: ج ٤ ص ١٦٦.

(٢) تفسير القرآن الكريم، صدر الدِّين الشيرازي، مصدر سابق: ج ٧ ص ٢١٥.

وبيان ذلك يتوقّف على توضيح مقدّمة، أشرنا إليها سابقاً، هي: أنّ الإنسان له بُعدان:

الأوّل: مرتبط بالبدن والجسم الذي له آثار خاصّة، وله مكان وحجم ونحو ذلك.

الثاني: هو المرتبط ببُعد الروح، والذي عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٢٩)، وقوله : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٤).

وهذا البُعد يعبّر عنه الإنسان بـ «أنا». فعندما يكون في سنّ الخمس سنوات يقول: عمري أنا خمس سنوات، وكذلك في عمر عشر سنوات يقول: أنا عمري...، وفي الثلاثين، وفي الأربعين، وإلى المائة وهكذا...

وفي كلّ هذه الحالات يكون بدنه في حالة تبدّل وتغيّر بكلّ خلاياه، ويبقى هذا الإنسان يقول: فعلت قبل أربعين سنة كذا، وضربت كذا، وأكلت كذا، وسافرت كذا، مع العلم واليقين أنّ هذا ليس إشارةً إلى البدن المتحوّل والمتغيّر مراراً.

بل أكثر من ذلك في العلوم التشريحيّة نجد أنّ الإنسان تبدّل أعضاؤه كاليد، والقلب، والكبد... ومع ذلك فإنّه بعد عمليّة التبديل هذه يضع يده على قلبه ويقول قلبي، رجلي، يدي... مع أنّ هذا لم يكن قلبه ولا يده ولا رجله، وهي أعضاء لجسد آخر.

إذن الثابت في الإنسان هو هذا البعد الثاني، ولذا نجد أنّ الإنسان لو هرب من العدالة لارتكابه جريمة ما، واعتُقِل بعد خمسين سنة من الجريمة فإنّه يُعاقب مع أنّ البدن غير البدن، وذلك لأنّ البُعد الثاني ما زال ثابتاً وموجوداً في وجود هذا الإنسان.

فإذن قولنا: (إنّ الإنسان يفقد بالموت تلك الآثار) إنّما هو لعدم وجود الروح، فاليد مع ملامستها للنار بعد الموت لم تعد تتألّم لأنّها فقدت الروح، وهذا يعني أنّها فقدت آثار الحياة، وهكذا بالنسبة لحالات الفرح والسعادة.

وبكلام مختصر: إنّ الذي يفقد آثار الحياة بالموت هو الجسد وليس الروح، لأنّ الروح تنتقل من هذه النشأة إلى نشأة أخرى.

إذا اتّضح ذلك نقول : ذهب المتكلِّمون إلى الاعتقاد بأنّ الإنسان ببُعديه عندما يموت يفقد آثار الحياة، ويكون حينئذ لا شيء، ويصبح معدوماً؛ ولذا فإنّهم يعتقدون أنّ المعاد هو إعادة المعدوم، وأنّه في يوم الحشر الأكبر يعاد الشيء بعد أن كان معدوماً.

ووفقاً لهذا المعتقد والرأي فإنّ الروح تُعدَم فضلاً عن الجسد.

وفي قِبال هذا الاتّجاه قال الفلاسفة: إنّ الإنسان ببُعده المادّي يفقد آثار الحياة، أمّا بُعده الروحي فلا يفقد الحياة، وإنّما تنتقل هذه الروح من نشأة إلى نشأة أخرى. على هذا الأساس فالحشر عندهم ليس هو إعادة للمعدوم، وإنّما هو إعادة ارتباط الروح بالجسد، والموت بالنسبة إليهم هو مفارقة الروح لهذا البدن، ثمّ في المعاد تُعاد اللُّحمة والارتباط بين الروح التي كانت موجودة في عالم البرزخ وبين الجسد الذي كان قد تفسّخ.

وقد وقع البحث بين العلماء واختلفت الآراء في مسألة موت الروح، وهذا ما أشار إليه الآلوسي في تفسيره فقال: «اختلف الناس في الروح هل تموت أم لا؟ فذهبت طائفة إلى أنّها تموت لأنّها نفس وكلّ نفس ذائقة الموت، وقد دلّ الكتاب على أنّه لا يبقى إلاّ الله تعالى وحده وهو يستدعي هلاك الأرواح كغيرها من المخلوقات، وإذا كانت الملائكة عليهم السلام يموتون فالأرواح البشريّة أولى، وأيضاً أخبر سبحانه عن أهل النار أنّهم

يقولون: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ (غافر: ١١)، ولا تحقّق الإماتتان إلاّ بإماتة البدن مرّة وإماتة الروح أخرى.

وقالت طائفة: إنّها لا تموت؛ للأحاديث الدالّة على نعيمها وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله تعالى إلى الجسد، وإن قلنا بموتها لزم انقطاع النعيم والعذاب.

والصواب أن يُقال: موت الروح هو مفارقتها الجسد، فإن أُريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أُريد أنّها تُعدم وتضمحلّ فهي لا تموت بل تبقى مفارقة ما شاء الله تعالى ثمّ تعود إلى الجسد وتبقى معه في نعيم أو عذاب أبد الآبدين ودهر الداهرين وهي مستثناة ممّن يُصعق عند النفخ في الصور، على أنّ الصعق لا يلزم منه الموت، والهلاك ليس مختصّاً بالعدم بل يتحقّق بخروج الشيء عن حدّ الانتفاع به ونحو ذلك. وما ذكر في تفسير الإماتتين غير مسلّم. وإلى أنّها لا تموت بموت البدن ذهبت الفلاسفة أيضاً ـ ثمّ ذكر احتجاج الشيخ على ذلك...»[1].

وإلى هذا المعنى ذهب السيّد الطباطبائي في تفسيره حيث أشار إلى أنّ المراد من النفس في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ هو الإنسان ـ وهو الاستعمال الثاني من استعمالاتها الثلاثة كما بيّناه سابقاً ـ دون الروح الإنساني؛ إذ لم يعهد نسبة الموت إلى الروح في كلامه تعالى لتحمل عليه[2].

وفصّل الكاشاني في «المحجّة» مجمل الآراء في حقيقة الموت فقال:

---

(١) **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، أبو المعالي شهاب الدِّين محمود بن عبدالله البغدادي الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار الفكر، بيروت، وطبعة دار إحياء التراث العربي: ج ١٥ ص ١٥٩.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٤ ص ٢٨٦.

«اعلم أنّ للناس في حقيقة الموت ظنوناً كاذبة قد أخطأوا فيها:

فظنَّ بعضهم أنّ الموت هو العدم وأنّه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشرّ وأنّ موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات، وهذا رأي الملحدين وكلّ من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

وظنَّ قوم أنّه ينعدم بالموت ولا يتألّم بعقاب ولا يتنعّم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر.

وقال آخرون: إنّ الروح باقية لا تنعدم بالموت وإنّما المُثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وأنّ الأجساد لا تُبعث ولا تُحشر أصلاً.

وكلّ هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحقّ، بل الذي يشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أنّ الموت معناه تغيّر حال فقط وأنّ الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمّا معذّبة وإمّا منعّمة، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرّفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها؛ فإنّ الأعضاء آلات للروح تستعملها...»[1].

هذا هو مجمل القول في اعتقاد الفلاسفة والمتكلّمين في حقيقة الموت.

حقيقة الموت في الرؤية القرآنيّة

بعد تسليط الضوء إجمالاً على النظريّات الكلاميّة والفلسفيّة التي قيلت في حقيقة الموت ومعناه، لابدّ من الانتقال إلى القرآن الكريم للاطّلاع على ما رسمه من آفاق وحقائق عن الموت.

وقبل استعراض وبيان حقيقة الموت في آيات الكتاب الكريم، لابدّ من

---

(١) المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، المولى محسن الكاشاني، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ: ج ٨ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤

الإشارة إلى ما ذكره علماء اللّغة في هذا المجال.

قال ابن منظور في لسان العرب: «الموت يقع على أنواع بحسب أنواع الحياة:

فمنها ما هو بإزاء القوّة النامية الموجودة في الحيوان والنبات، كقوله تعالى: ﴿يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم: ٥٠).

ومنها: زوال القوّة الحسّيّة، كقوله تعالى ـ حاكياً قول مريم عليها السلام: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ (مريم: ٢٣).

ومنها: زوال القوّة العاقلة، وهي الجهالة، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام: ١٢٢) وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ (النمل: ٨٠).

ومنها: الخوف والحزن المكدّر للحياة، كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ (إبراهيم: ١٧).

وقد يستعار الموت للأحوال الشاقّة؛ كالفقر والذلّ، والسؤال، والهرم، والمعصية...»(١).

وفي «مقاييس اللغة» قال: «الموت، أصل صحيح يدلّ على ذهاب القوّة من الشيء، ومنه: الموت خلاف الحياة»(٢).

فما ذكره بعض المتكلّمين وأهل اللغة يفيد أنّ الموت أمرٌ عدميّ ولكن القرآن الكريم أشار إلى خلاف ذلك وأنّ الموت ليس أمراً عدميّاً، بل هو أمرٌ وجوديّ؛ يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ (المُلك: ٢).

---

(١) **لسان العرب**، ابن منظور جمال الدِّين عبد الله بن يوسف الأفريقي، دار الفكر ودار صادر، بيروت، عن طبعة القاهرة، مطبعة الأميريّة، ١٣٠٠هـ: ج ٢ ص ٩٢.

(٢) **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ: ج ٥ ص ٢٨٣ .

فإذا كان الموت أمراً عدميّاً، وهلاكاً، فإنّ الأمر العدمي والهلاك ليس بشيء حتّى يُخلق، والخلق لا يتعلّق إلّا بأمر وجوديّ.

وإذا كان الموت أمراً عدميّاً فلا معنى لأن نقول بأنّ العدم مخلوق، والخلق والإيجاد وتعلّق الإرادة يتوقّف على أنّ هناك أمراً وجوديّاً تعلّق به الخلق، وتعلّقت به الإرادة الإلهيّة.

وفي الأحاديث والروايات ما يؤيّد هذا المضمون، ومنها:

• عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «... **ما خُلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء، وإنّما تُنقلون من دار إلى دار، وإنّها في الأرض غريبة وفي الأبدان مسجونة**»(١).

• وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**أيّها الناس إنّا خُلِقنا وإيّاكم للبقاء لا للفناء، لكنّكم من دار إلى دار تنتقلون**»(٢).

• وعن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال مخاطباً أنصاره يوم عاشوراء: «**صبراً بني الكرام، فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم من البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة، والنعيم الدائمة، فأيُّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر**»(٣).

فالموت والحياة إذن خلقان من خلق الله سبحانه وتعالى، وإذا كان الموت من المخلوقات فكيف يمكن أن نقول بأنّ الموت عدم؟ والعدم ليس بشيء حتّى يتعلّق به الخلق! والإنسان خُلِق للبقاء، فإذا وجِد وخُلِق فلا

---

(١) **رسالة اعتقادات الصدوق**، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، طبعة المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ: ص ٧٥.

(٢) **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م: ص ١٢٧.

(٣) **معاني الأخبار**، الصدوق، منشورات جماعة المدرّسين، قم، ١٣٧٩هـ: ص ٢٨٩.

يوجد حينئذ هناك فناء بالنسبة إليه، بل هو انتقال من دار إلى دار، والذي يفقد آثار الحياة بالموت هو البُعد البدني في الإنسان، وإلاّ فإنّ ذلك البُعد الروحاني في الإنسان ليس كذلك.

الذي يظهر بعد التأمّل: أنّ لكلّ شيء خاصّة تترقّب منه وتُنتظر، وإذا زالت تلك الخاصّة صحَّ استناد الموت إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فإنّ ذات الأرض ربّما تموت وتزول خاصّتها، ولا يمكن الزرع فيها[1].

في ضوء ما تقدّم يمكن أن يقال : إن الموت هو انتفاء الحياة، والحياة في كل شيء بمقتضى ذاته وخصوصيات وجوده، ويتنوّع بتنوّع مراتب الموجودات من الجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان والملائكة وماوراءها من عوالم العقول.

والمعنى الجامع لمفهوم الحياة هو تحقّق جميع ما به قوام الشيء من الأجزاء الظاهرية والباطنية والنظم الحاكمة فيها والشرائط اللازمة لها. ومن الواضح أن هذا المعنى يختلف باختلاف وتنوّع الموجودات، ففي كلّ بحسب مرتبته الوجودية.

وبمقتضى تقابل الموت والحياة لقوله : ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ (الملك: ٢) فالموت أيضاً له مفهوم واحد كلّي، كما أنّ الحياة كذلك، ويختلف كلّ منهما من جهة المصاديق وتنوّع المراتب الوجوديّة.

- فالموت في الجمادات كما في قوله : ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ

(١) **المفردات في غريب القرآن**، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، ومكتب نشر الكتاب، قم، مصوّر عن طبعة القاهرة، ١٩٤٥ م: مادة «شفع»، ص ٢٦٣.

﴿ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾ (النحل: ٦٥)، وقوله: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا﴾ (يس: ٣٣).

• والموت في النباتات كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ (الأنعام: ٩٥).

• والموت في الإنسان والحيوان، فالأمر فيه ظاهر مشهود، ولا فرق بين الإنسان والحيوان من جهة الحياة والموت البدنيّ الماديّ، وإنّما الفرق من جهة البعد الروحاني الذي ينفخ من روح الله وهو الذي يستعدّ للكمال والقرب واللقاء والبعث.

• والموت في عوالم ماوراء المادة من الأرواح والملائكة، إنما يتحقّق من جهة قطع الارتباط، فإنّ قوام وجودها بالنفخ، وعلى هذا يطلق عليها عالم الأمر في قبال عالم الخلق.

المبحث الثالث

وقت الموت وكيفيّته

- حقائق حول الإنسان عند الموت
- حتميّة الموت
- تقدّم الموت وتأخّره
- تعدّد الأجل
- القضاء الإلهي وأقسامه
- التقدير الإلهي وتعدّد الأجل

حقائق حول الإنسان عند الموت

لكي نفهم حقيقة الموت بشكل جيّد، ونستطيع الوقوف على المراحل والمنازل التي يمرّ عليها الإنسان بعد الموت، لابدّ أن نقف على حقيقة الإنسان، وأنّ هذا الكائن والمخلوق الإلهي الذي عبّر عنه القرآن الكريم بعد أن تمّت خلقته: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، ما هي حقيقته؟ وما هو معنى الموت بالنسبة إليه؟

وما لم نقف على هذه الحقائق لا يمكننا أن نتعرّف على المراحل والمنازل التي تمرّ على الإنسان بعد الموت.

وبعض هذه الحقائق أشرنا إليها فيما تقدّم من الأبحاث.

الحقيقة الأولى: إنّ الإنسان موجودٌ مركّب من بُعدين، الأوّل مادّي أرضيّ، والثاني إلهيّ ملكوتيّ، وبحسب التعبير الفلسفي مجرّد عن المادّة وأحكامها. وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر: ٢٩) أو ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤).

الحقيقة الثانية: إنّ الإنسان ميّت، وهذا ضمن النظام الأحسن الذي وضع في هذا العالم؛ ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

الحقيقة الثالثة: إنّ المراد من موت الإنسان هو الفناء وانعدام الآثار بالنسبة للبدن، أمّا الروح فلا تنعدم فيها آثار الحياة.

الحقيقة الرابعة: إنّ معنى الموت بالنسبة للروح هو الانتقال من هذا

العالم إلى عالم آخر، فمعنى الموت للبدن شيء، وموت الروح والنفس ـ بحسب الاصطلاح القرآني ـ شيءٌ آخر، وهذا ما عبّر عنه النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «**ما خُلقتم للفناء، بل خُلقتم للبقاء، وإنّما تُنقلون من دار إلى دار، وإنّها في الأرض غريبة وفي الأبدان مسجونة**»[١].

الحقيقة الخامسة: إنّ الموت الذي هو الانتقال من دار إلى دار، هو أمرٌ وجوديّ، وليس أمراً عدميّاً، وقد ذكرنا في ما تقدّم الشواهد القرآنيّة عليه.

حتميّة الموت

الموت من الحقائق الثابتة التي ركّز عليها القرآن الكريم، ومن القضاء الذي لا يردّ ولا يُبدّل ولا يتحوّل.

فقد أكّد القرآن الكريم هذه الحتميّة، وأنّ جميع الناس (بل جميع الكائنات الحيّة) سيموتون، ولن يعيش أحد في هذا العالم حياةً خالدة.

- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٦).
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥ والأنبياء: ٣٥).
- وفي القرآن الكريم خطابٌ للرسول صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠).
- ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

فالموت قانونٌ كلّيّ عامّ لا يقبل الاستثناء لكلّ الكائنات الحيّة في هذا العالم.

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء**

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٤٩.

سُلّماً، أو لدفْع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود عليهما السلام، الذي سخّر له مُلك الجنّ والإنس»[١].

فإذا كان الموت أمراً حتميّاً لكلّ الكائنات فهنا يأتي هذا السؤال: هل الموت مقتضى طبيعة الأشياء؟

طبعاً لن ندخل هنا في البحث الفلسفي لهذه المسألة؛ لأنّ له مساراً آخر، ومنهجاً آخر، ونحن هنا لا نبحث عن المعاد من وجهة نظر فلسفيّة، وإنّما بحثنا هو عن المعاد في القرآن الكريم، وإن كنّا في بعض الأحيان نأتي بشواهد فلسفيّة.

هناك بحث حول أنّ المادّة بطبيعتها تقتضي الدوام إلى ما لا نهاية، فهل الروح أيضاً تقتضي الدوام إلى ما لا نهاية؟ فهذا البحث الفلسفي ليس محلّ بحثنا.

وهذا غير السؤال المتقدِّم حول أنّ النفس الإنسانيّة عندما تنتقل من نشأة إلى أخرى، ومن دار إلى دار، أفهذا الانتقال هو من طبيعة الأشياء أم أنّه بتقدير إلهي؟

ولتوضيح الفرق بينهما يمكن الاستعانة بمثال للتقريب إلى الذهن:

في نظام الأعداد عندما تضع يدك على العدد أربعة تجد أنّ من أهمّ خصائصه أنّه يقبل القسمة إلى اثنين، وأنّه تلازمه الزوجيّة، فإذا كان أربعة فهو زوج، وإذا وضعنا يدنا على العدد ثلاثة نجد أنّه لا يقبل القسمة على اثنين، ولا يقبل القسمة الصحيحة، وأنّه تلازمه الفرديّة. فهل الترابط بين الزوجيّة والأربعة، والترابط بين الفرديّة والثلاثة، بتقدير إلهي أم هو من طبيعة الشيء؟

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٢.

العقل السليم والصحيح يجيب بأنّ ذلك هو طبيعة الشيء، فإذا صار العدد أربعة تلازمه الزوجيّة، والقدرة الإلهيّة لا يمكن أن تتعلّق بعمليّة التفكيك ما بين الزوجيّة والأربعة.

ولا يمكن أن نجد الأربعة وهي ليست بزوج، ولا يمكن أن نجد الثلاثة وهي زوج، بل لابدّ أن تكون الثلاثة فرداً.

وهذا هو معنى مقتضى طبيعة الأشياء، وهذا أيضاً ما نعتقده في صفات الواجب سبحانه وتعالى، فهو تعالى مقتضى ذاته أن يكون غنيّاً، ولكن هذا الغنى ليس بتقدير منه تعالى بل هو مقتضى ذاته. ولذا فإنّ القدرة الإلهيّة لا تتعلّق أو لا يمكن أن تتعلّق بهذه القضيّة لا بإيجادها ولا سلبها.

وهذا بخلاف الكثير من الأشياء في هذا النظام الذي يحكم هذا العالم، كالمطر والسماء والأرض و...، فهذه الأمور التي نجدها في عالمنا كلّها مقدّرة بتقدير من الله سبحانه وتعالى، أمّا النار ـ مثلاً ـ فهي بطبيعتها أنّها تقتضي الإحراق، ولكن إذا تعلّقت الإرادة الإلهيّة بأن لا تكون النار محرقة، كما في قضيّة إبراهيم عليه السلام حيث جعلها برداً وسلاماً، فعند ذلك هذه النار لا تُحرِق.

وبالعودة إلى حقيقة الموت الذي يحصل للإنسان وينتقل به من دار إلى دار، أهو مقتضى طبيعة الشيء كالزوجيّة بالنسبة إلى الأربعة، أم تقدير من الحكيم العليم؟

القرآن الكريم يُجيب في العديد من آياته بأنّ الموت أمرٌ مقدّر من الله العليّ القدير، كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (الواقعة: ٦٠)، فالله تعالى قدّر الموت ضمن النظام الأحسن في هذا العالم للإنسان.

قال الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية: «... تدبير أمر الخلق بجميع شؤونه وخصوصيّاته من لوازم الخلق بمعنى إفاضة الوجود، فوجود الإنسان المحدود بأوّل كينونته إلى آخر لحظة من حياته الدُّنيا بجميع خصوصيّاته التي تتحوّل عليه بتقدير من خالقه عزّ وجلّ. فموته أيضاً كحياته بتقدير منه، وليس يعتريه الموت لنقص من قدرة خالقه التي أفاضها عليه خالقه تعالى، فإنّ لازم ذلك أن تكون قدرته محدودة ناقصة وأن يعجزه بعض الأسباب وتغلب إرادته وهو محال. كيف، والقدرة مطلقة والإرادة غير مغلوبة؟

فيتبيّن بذلك أنّ المراد بقوله: ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ أنّ الموت حقّ مقدَّر وليس أمراً يقتضيه ويستلزمه نحو وجود الحيّ بل هو تعالى قدّر له وجوداً كذا ثمّ موتاً يعقبه»(١).

وفي موضع آخر قال: «ومحصّل معنى الآيتين ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ أنّ الموت بينكم إنّما هو بتقدير منّا لا لنقص في قدرتنا بأن لا يتيسّر لنا إدامة حياتكم ولا لغلبة الأسباب المهلكة المبيدة وقهرها وتعجيزها لنا في حفظ حياتكم وإنّما قدّرناه بينكم على أساس تبديل الأمثال وإذهاب قوم والإتيان بآخرين وإنشاء خلق لكم يناسب الحياة الآخرة وراء الخلق الدنيوي الداثر، فالموت انتقال من دار إلى دار وتبدّل خلق إلى خلق آخر وليس بانعدام وفناء»(٢).

وليس الموت إلاّ أمراً طبيعيّاً لأنّه نهاية السفر إلى الآخرة وبداية السفر إلى غاية أخرى هي النشأة الآخرة، فإذا كان أمراً طبيعيّاً فلا يكون من

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٩ ص ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ج ١٩ ص ١٣٣.

أسبابه عدم احتمال الأجسام للدوام، وهذا ما أشار إليه الشيرازي حيث يقول: «اعلم أنّ الموت طبيعيّ لا لأجل أنّ الأجسام لا تحتمل الدوام؛ لما عرفت أنّها ممكنة الدوام على سبيل التبدّل والإمداد الفوقاني، ولا لأجل أنّ القوّة الغاذية لا تورد الغذاء دائماً بحسب الكيفيّة أو الكمّية؛ لما عرفت وهن هذه القواعد وأشباهها، بل لأنّ القوى والنفوس دائمة التوجّه والانتقال من مرتبة في الوجود إلى مرتبة أخرى..»[(١)].

وفي موضع آخر قال: «الموت طبيعيّ للبدن ومعناه مفارقة النفوس إيّاه مفارقة فطريّة، وترك استعمالها للبدن لخروجها من القوّة إلى الفعل بحسب نشأة ثانية وصيرورتها إمّا سعيدة فرحانة مسرورة بذاتها كالملائكة، وإمّا شقيّة محترقة بنار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة كالشياطين والأشرار، وإمّا مغفورة بغفران الله، سليمة الصدر عن الأغراض والغشاوات..»[(٢)].

تقدّم الموت وتأخّره

في ذيل الآية المتقدّمة من سورة الواقعة: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ إشارة إلى أنّه من الصحيح أنّنا قدّرنا بينكم الموت، ولكن هل يوجد هناك أحد أو جهة أو قدرة تمنع هذا التقدير من التحقّق؟ ففرق بين إرادة التقدير وبين تحقّقه خارجاً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ إشارة إلى هذه الحتميّة أي أنّ هذا التقدير الإلهي لابدّ أن يتحقّق ويستحيل أن يكون بمقدور أيّة جهة أو أيّ أمر أن يمنع تحقيقه؛ لأنّ قدر الله وتقديره لابدّ أن يقع، وهذا ما عبّر عنه

---

(١) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة**، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، السفر الرابع: ج٢ ص ٢١٢.

القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ (الطلاق: ٣).

والحاصل: أنّ الآية تريد القول بأنّ الله سبحانه وتعالى إذا قدّر أمراً فلا يمكن أن يكون مسبوقاً ويكونَ هناك شيء آخر سابقاً عليه، فهذا غير ممكن، ولابدّ لهذا التقدير من أن يقع ويحصل ويتحقّق.

وهذا هو أحد أهمّ الفوارق بين الحقّ سبحانه وتعالى، الغنيّ المطلق، والقادر المطلق، وبين غيره، وهو أنّه إذا قدّر الشيء فإنّه لا يكون مسبوقاً، أي لا يمكن أن يكون هناك من يسبقه على ما يقدّر بحيث يكون سابقاً وهو تعالى مسبوق.

أمّا نحن فقد نقدّر شيئاً ولكن لا يقع ما نقدّر وما نريد؛ لأنّه قد يوجد شيء ما يمنعنا، وقد يوجد شيء يسبقنا، فيكون سابقاً علينا ونكون نحن مسبوقين. وهذا هو الحال بالنسبة إلى تقدير الموت من الله تعالى حيث يقول: ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ وهذا التقدير لابدّ أن يتحقّق، ولا يمكن لأيّ قدرة أن تمنع من تحقّقه، ولا يوجد في ذلك تقديم أو تأخير، أمّا الحال بالنسبة إلى تقدير الإنسان فيختلف، فلو أنّك قدّرت الموت، فالمقدّر قد يقع، وقد يوجد ما يمنع من تحقّقه.

وهناك مجموعة من الآيات القرآنيّة تشير إلى هذا المضمون، ومنها:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤، ويونس: ٤٩، والنحل: ٦١).

فهل هذه الآيات وغيرها تعني أنّ للإنسان أجلاً واحداً معيّناً لا يتقدّم ولا يتأخّر؟ هذا ما سيتبيّن لنا في البحث القادم.

تعدّد الأجل

انتهينا في البحث السابق إلى حقيقة مفادها أنّ الله سبحانه وتعالى كتب على الإنسان الموت، وهذا من القضاء الذي لا يُردّ ولا يُبدَّل.

ولكن هل لهذا الموت وقتٌ واحد أم متعدِّد؟ وهل الأجل الذي كُتب على الانسان واحد أم متعدّد؟

صريح القرآن الكريم أنّ الإنسان ليس له أجلٌ واحد، بل له أكثر من أجل، بغضّ النظر عن كون هذا الأجل واحداً أو اثنين، أو ثلاثة أو أربعة... لأنّ المهمّ هو أن نثبت هذه الحقيقة وهي أنّ الأجل الذي ضُرِب لموت الإنسان ليس هو أجلاً واحداً، وإنّما هو أكثر من أجل.

وأهمّية هذا البحث تتبيّن من خلال الرجوع إلى الآيات والروايات التي تعطي آثاراً متعدّدة للدّعاء، ولصلة الرحم، ولمساعدة الفقراء، والكثير من القضايا والمسائل التي لها آثار معيّنة في موضوع الأجل.

ولأهمّية هذا البحث ولأجل الوقوف على ما فيه بشكل تفصيليّ لابدّ من الإشارة إلى القضاء الإلهي وأقسامه كمقدّمة للإجابة عن السؤال المطروح حول تعدّد آجال الإنسان.

القضاء الإلهي وأقسامه

ينقسم القضاء الإلهي إلى محتوم وغير محتوم.

أ ـ القضاء المحتوم:

وهو الذي يكون التقدير الإلهي فيه مُبرماً، وقضاؤه سبحانه قضاءً قطعيّاً لا يُردُّ ولا يُبدَّل ولا يتغيّر، وهو الذي يُعبّر عنه القرآن الكريم بالسنّة ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

وثبوت هذا الضرب من القضاء وعدم تغيّره لا يعني أنّ الله سبحانه عاجز عن أن يبدّله، كلاّ إنّما اقتضت حكمته الأزليّة أن تكون هذه سنّته وهذا قضاؤه. والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها: أنّ الله تعالى قضى أن يخلق الخلق، وأن يكون الإنسان مختاراً في فعله ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف: ٢٩)، وأن يُدخل الجنّة من آمن وعمل صالحاً ويُدخل النار مَن كفر واجترح السيّئات، وأنّ الإنسان ينتقل من هذه النشأة إلى نشأة أخرى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (العنكبوت: ٥٧)، وأنّ مَن دخل الجنّة فإنّه لا يخرج منها، ومن القضاء الإلهي المحتوم أنّ الله كتب على نفسه الرحمة، وكتب على نفسه أن يكون عادلاً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصّلت: ٤٦).

هذه الأقضية وأقضية كثيرة أخرى، تحكي تقديراً إلهيّاً محتوماً لا يُردّ ولا يتبدّل، ولا يطاله التغيّر بالصدقة والدعاء والاستغفار، وهو ما يعبّر عنه القرآن بالسنن الإلهيّة ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٧).

ب ـ القضاء غير المحتوم:

في مقابل القضاء الأوّل هناك قضاء ثانٍ وتقدير إلهيّ آخر علّقه على شيء. على سبيل المثال قضى الله سبحانه بحقّ إنسان معيّن أن يموت في سنّ الثلاثين، بيدَ أنّه علّق موته على عدم دفع الصدقة، وعدم صلة الرحم، وعلى عدم دعاء والديه له أو دعاء الناس له لو قضى حاجاتهم، هذا هو القضاء الإلهي المُعلّق على شرط، فإن تحقّق الشرط لا يموت الشخص آنذاك.

مثال آخر هو دور المرض، فإنّ الله سبحانه إذا قضى على إنسان أن يموت إذا مرض بمرض معيّن في إطار النظام الوجودي، لكنه إذا عولج، فإنّ هذا العلاج يكون رافعاً للمرض، كما أنّ الدّعاء والصدقة ونحوهما مؤثّرة في تغيير هذا القضاء.

في ضوء ما مرّ يتّضح الفارق بين القضاءَين، فالأوّل حتميّ لا يتطرّق إليه البداء أبداً، وهو مقام أُمّ الكتاب، لا يتأثّر بالدعاء والصدقة ولا شيء من صالح الأعمال وطالحها، لأنّه تعبير عن سنّة ثابتة.

أمّا الثاني فيتغيّر بالصدقة والدعاء وضروب البرّ، ويكون فيه تأثير لعمل الإنسان على المصير المعلّق.

فالعمل السيّئ والعمل الصالح كلاهما مؤثّران في مثل هذا التقدير الإلهي المعلّق على الشرائط والموانع. وهذه العمليّة تجري برمّتها على نطاق لوح المحو والإثبات، وهذه هي منطقة البداء.

لغة الحديث الشريف توضح حقيقة هذين القضاءَين والفارق بينهما بوضوح.

• عن الفضل قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**من الأمور أمور محتومة جائية لا محالة، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله يقدّم منها ما يشاء ويمحو منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحداً** ـ يعني الموقوفة ـ»(١).

• وفي حديث آخر عن الإمام عليّ الرضا عليه السلام أنّه قال لسليمان المروزيّ: «**يا سليمان إنّ من الأمور أموراً موقوفة عند الله تبارك وتعالى يقدِّم منها ما يشاء ويؤخِّر ما يشاء**»(٢).

• والحديث النبوي التالي يوضّح بمثال عمليّ ولغة تطبيقيّة تأثير بعض الأعمال الصالحة، التي يأتي بها كمصداق على القضاء المعلّق. وهو مرويّ عن الحسين بن زيد بن عليّ عن جعفر بن محمّد عن أبيه، قال:

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ٥٨، ج ٤ ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ٢، ج ٤ ص ٩٦.

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنّ المرء ليصِل رحمه وما بقي من عمره إلاّ ثلاث سنين فيمدّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإنّ المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى**».

قال الحسين: «وكان جعفر يتلو هذه الآية: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ (الرعد: ٣٩)»[١].

بيدَ أنّ للعمل صالحاً أم طالحاً حدوده في التأثير ومنطقته التي لا يتعدّاها، فتأثيره يبقى في نطاق لوح المحو والإثبات، حتّى إذا صار إلى أُمّ الكتاب فلا أثر.

• عن عمّار بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام: «سُئِلَ عن قول الله: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ فقال: **إنّ ذلك الكتاب كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت، فمن ذلك الذي يردّ الدعاء القضاء، وذلك الدعاء مكتوب عليه: الذي يردّ به القضاء، حتّى إذا صار إلى أُمّ الكتاب لم يغنِ الدعاء منه شيئاً**»[٢].

ج ـ موقف القرآن من القضاءَين:

أشار القرآن الكريم بوضوح إلى وجود نوعين من التقدير الإلهي أو إلى قضاءَين وأجلين؛ وفاقاً لما مرّ آنفاً. من ذلك قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٢).

تحدّثت الآية بصراحة عن أجلين هما: قضى أجلاً، وأجل مسمّىً عنده. وبتقييد الأجل المسمّى بقوله «عنده» يتّضح أنّ هذا هو الأجل الذي لا

---

(١) المصدر نفسه: الحديث ٦٦، ج ٤ ص ١٢١.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ٦٥، ج ٤ ص ١٢١.

يقع فيه تغيير؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: ٩٦) وهو الأجل المحتوم الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١). ومن ثمّ فإنّ هذا الأجل هو الموجود في أُمّ الكتاب، ولا بداء فيه؛ لأنّ أُمّ الكتاب يتطابق مع الحوادث من جهة استنادها إلى الأسباب العامّة التي لا تتخلّف عن تأثيرها.

أمّا الثاني فهو الذي أطلقت عليه الآية ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗا﴾ حيث جاء مبهماً، وهو الأجل المعلّق غير المحتوم، وفيه يقع البداء، لأنّه قابل للتغيير حيث يتوقّف تحقّقه على تحقّق شرطه، وهو الموجود في لوح المحو والإثبات القابل للانطباق على الحوادث من جهة استنادها إلى الأسباب الناقصة.

بتعبير آخر يفيد قوله: ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ وجود نحو من الأجل والتقدير الإلهي لا يتبدّل ولا يتغيّر ولا يزول، بل هو باقٍ؛ لقوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾. وبقرينة المقابلة يتبيّن أنّ قوله: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلٗا﴾ يفيد أنّ هذا قابل للزوال والتبدّل والتغيّر، وإلاّ لو كان ﴿قَضَىٰٓ أَجَلٗا﴾ ثابتاً أيضاً وباقياً لا يزول ولا يتبدّل، لم يكن ثمّ معنى لقوله: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾.

بالإضافة إلى دلالة الآية على الأجلين يُلحظ أنّ البحث التفسيري يثبت هو الآخر اتّفاق تفاسير المدرستين على الدلالة نفسها بصرف الأجل المطلق في قوله: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلٗا﴾ إلى لوح المحو والإثبات، بالنحو الذي يكون فيه هذا الأجل قابلاً للتبدّل والتغيّر، في حين حُمل ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ على أُمّ الكتاب ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (الرعد: ٣٩)، الذي هو الكتاب المبين واللوح المحفوظ والكتاب المكنون ونحو ذلك. في هذا الضوء انتهى هؤلاء إلى أنّ الأجل أجلان: محتوم، وآخر معلّق أو موقوف.

د ـ أقوال العلماء في الأجل:

١ ـ يقول الفخر الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) في «التفسير الكبير» ما نصّه:

«وأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ فاعلم أنّ صريح هذه الآية يدلّ على حصول أجلين لكلّ إنسان. واختلف المفسّرون في تفسيرهما على وجوه».

ثمّ يبدأ بعدّ الوجوه واستعراضها إلى أن يصل إلى السادس فيقول:

«والسادس: وهو قول حكماء الإسلام أنّ لكلّ إنسان أجلين، أحدهما الآجال الطبيعيّة، والثاني الآجال الاختراميّة، أمّا الآجال الطبيعيّة فهي التي لو بقي ذلك المزاج مصوناً من العوارض الخارجيّة لانتهت مدّة بقائه إلى الوقت الفلاني، وأمّا الآجال الاختراميّة فهي التي تحصل بسبب من الأسباب الخارجيّة كالغرق والحرق ولدغ الحشرات وغيرها من الأمور المعضلة، وقوله: ﴿مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أي معلوم عنده أو مذكور اسمه في اللوح المحفوظ»[(١)].

طبيعي أنّ الآجال بضربيها لا تختصّ بالإنسان وحده، وإن كانت الآية مورد البحث تتحدّث عن الأجل الإنساني، بل لكلّ شيء في الوجود أجل.

٢ ـ يقول الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ): «وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغيّر الحال فيه؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ (الأنعام: ٢)، فتبيّن أنّ الآجال على ضربين؛ ضربٌ منها مشترط يصحّ فيه الزيادة والنقصان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ (فاطر: ١١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟

---

(١) التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي ط٢. طهران، عن منشورات محمّد علي بيضون، نشر كتب السنّة والجماعة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ: ج٢ ص ١٥٣.

﴿وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٩٦)، فبيّن أنّ آجالهم كانت مشروطة في الامتداد بالبرّ، والانقطاع بالفسوق؛ قال تعالى فيما أخبر به عن نوح عليه السلام في خطابه لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ إلى آخر الآيات (نوح: ١٠ ـ ١١). فالشرط لهم في مدّ الأجل وسبوغ النعم الاستغفار، فلمّا لم يفعلوه قطع آجالهم، وبتر أعمالهم، واستأصلهم بالعذاب.

فالبداء من الله تعالى يختصّ ما كان مشترطاً في التقدير، وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة، ولا من تعقّب الرأي، تعالى الله عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً»[١].

٣ ـ يقول السيّد الطباطبائي في ظلال الآية: «فتبيّن بذلك أنّ الأجل أجلان: الأجل على إبهامه، والأجل المسمّى عند الله. وهذا هو الذي لا يقع فيه تغيّر؛ لمكان تقييده بقوله «عنده» وقد قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: ٩٦) وهو الأجل المحتوم الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١).

فنسبة الأجل المسمّى إلى الأجل غير المسمّى نسبة المطلق المنجز إلى المشروط المعلّق، فمن الممكن أن يتخلّف المشروط المعلّق عن التحقّق؛ لعدم تحقّق شرطه الذي علّق عليه، بخلاف المطلق المنجز فإنّه لا سبيل إلى عدم تحقّقه البتّة.

والتدبّر في الآيات السابقة منضمّة إلى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ *

---

(١) **شرح عقائد الصدوق أو تصحيح اعتقادات الإمامية**، الشيخ المفيد، الإمام محمّد بن محمّد بن (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) النعمان، المطبوع مع **أوائل المقالات في المذاهب المختارات** للمفيد، طبعة قم: ص ٢٠٠.

يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (الرعد: ٣٨ ـ ٣٩) يفيد أنّ الأجل المسمّى هو الذي وضع في أُمّ الكتاب، وغير المسمّى من الأجل هو المكتوب فيما نسمّيه بلوح المحو والإثبات»[١].

هـ ـ الأجل في الروايات:

ما يعضد التحليل الذي تبنّاه البحث الكلامي والتفسيري هو ما جاءت به نصوص روايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام، بالأخصّ مع ما تنطوي عليه من تحديد ووضوح، ومن ذلك:

• عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ (الأنعام: ٢)، قال: «**هما أجلان: أجلٌ محتوم، وأجلٌ موقوف**»[٢].

• عن الفضيل بن يسار، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **العلم علمان: فعلمٌ عند الله مخزون لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون، ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء**»[٣].

• عن فضيل، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر منها ما يشاء**»[٤].

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ٧ ص ٩.

(٢) **الأصول من الكافي**، محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، قم، ١٩٨٦م: الحديث ٤، ج ١ ص ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه: الحديث ٦، ج ١ ص ١٤٧.

(٤) المصدر نفسه: الحديث ٧.

• عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**إنّ لله علمين: علمٌ مكنون مخزون لا يعلمه إلاّ هو، من ذلك يكون البداء، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه، فنحن نعلمه**»[١].

• سُئِلَ الإمام الباقر عليه السلام عن ليلة القدر، فقال: «**تتنزّل فيها الملائكة والكتبة إلى سماء الدُّنيا، فيكتبون ما هو كائن في أمر السنّة وما يصيب العباد فيها**»، قال: «**وأمر موقوف لله تعالى فيه المشيئة يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، وهو قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾**»[٢].

و ـ موقع البداء من العلم الإلهي:

في ضوء التسلسل المذكور، أصبح من السهل تبيّن المنطقة التي يحصل بها البداء، فمن العلم الإلهي ما هو علمٌ ذاتيّ بالأشياء قبل الإيجاد، والبداء لا يقع في هذا الضرب من العلم الذي هو عين الذات، ومن ثمَّ لا مجال للتغيير فيه.

كما أنّ هناك العلم الفعلي الذي ينطوي على مراتب ومظاهر عدّة؛ الأولى منها يطلق عليها مرتبة الكتاب المبين واللوح المحفوظ (وغير ذلك) وهذه المرتبة لا يقع فيها بداء، وهي لا تحتمل التغيّر والزيادة والنقصان، وهي أُمّ الكتاب.

لكن هناك مرتبة أخرى من العلم الفعلي أطلق عليها القرآن الكريم لوح المحو والإثبات هي التي يقع فيها البداء، وهو يتمّ أيضاً في إطار ما هو موجود في أُمّ الكتاب وبما لا يشذّ عن نطاق السنن المكنونة التي لا تحتمل التحويل والتبديل، وبذلك لا يستدعي البداء ولا يلازم التغيّر في العلم،

---

(١) المصدر نفسه: الحديث ٨ .

(٢) بحار الأنوار: الحديث ١٤، ج ٤ ص ١٠٢.

وإنّما التغيير في مظاهر علمه الفعلي التي تنعكس فيها تقاديره[١].

التقدير الإلهي وتعدّد الأجل

لقد ثبت أنّ الأجل وأصل الانتقال من هذه النشأة إلى نشأة أخرى حقٌّ لا ريب فيه، وأنّ هذا الأمر ليس بيد الإنسان، كما أنّه لا يُطلب إذنه ولا رضاه في الانتقال من هذه النشأة إلى نشأة أخرى، لأنّه قضاء ربّانيّ ضمن النظام الأحسن ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ولأنّ الموت أمرٌ حتميّ قضاه الباري عزّ وجلّ على الإنسان، وهو حقٌّ لا ريبَ فيه، ولكنّ الكلام كلّ الكلام في أنّ وقت هذا الأجل أهو واحد أم متعدّد؟

في ضوء ما تقدّم في بحث القضاء الإلهي وأنّه ينقسم إلى قضاء محتوم وغير محتوم، وكذلك صريح الكثير من الروايات فإنّ وقت الموت متعدّد وليس واحداً.

وذلك بمعنى أنّ عُمر الإنسان قد يكون مكتوباً له أن يحيا فيه ثلاثين سنة ولكنّه يصل رحمه فيزيد الله تعالى في عمره إلى خمسين سنة مثلاً. وهكذا فإنّ الأجل تعدّد هنا، فبينما كان الموت بالنسبة إلى الإنسان في عمر الثلاثين تبدّل وتحوّل بقدرة الله تعالى وإرادته إلى الخمسين.

وقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (الرعد: ٣٩) قولٌ مطلق يشمل رزق الإنسان، وصحّته، وأولاده، وزوجته وكذلك أجله، ولو كان الأجل ثابتاً لا يتقدّم ولا يتأخّر فلا معنى حينئذ لأن نقول يمحو الله ويثبت.

---

(١) انظر للتفصيل: **التوحيد، بحوث تحليليّة في مراتبه ومعطياته**، السيّد كمال الحيدري، بقلم جواد علي كسّار، دار فراقد، ط٦، إيران: ج ١ ص ٣٢٥.

إذن هذه الآية بنحو عامّ تثبت لنا هذه حقيقة أنّ الأشياء جميعها قابلة للمحو والإثبات، وهذا بالنسبة إلى عموم الأشياء، ولا يختصّ بالإنسان، بل يشمل غيره، ولا يختصّ أيضاً بالأجَل، بل يشمله وغيره.

وفي خصوص القضاء الإلهي بالنسبة لأجَل الإنسان يقول تعالى في سورة الأنعام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ٢)، فقد ذكرنا سابقاً بأنّ الآية تشير صراحةً إلى وجود نوعين من التقدير الإلهي أو إلى قضاءَين وأجلين هما: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ ، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾.

والأجل المسمّى «عنده» هو الأجل الذي لا يقع فيه تغيير، وهو الأجل المحتوم الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل، وأمّا الثاني ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ هو الأجل المعلّق غير المحتوم، وفيه يقع البداء، لأنّه قابل للتغيّر حيث يتوقّف تحقّقه على تحقّق شرطه، وهو الموجود في لوح المحو والإثبات القابل للانطباق على الحوادث من جهة استنادها إلى الأسباب الناقصة.

وبهذا نصل إلى الحقيقة التي مفادها أنّ الله سبحانه وتعالى كتب على الإنسان الموت، وهذا من القضاء الذي لا يُردّ ولا يُبدَّل، ولكن هذا الموت كما هو صريح القرآن وقته متعدّد وليس واحداً.

وبطبيعة الحال فإنّ هذا التعدّد في وقت الموت مرتبط بالتقدير الإلهي، ولإرادة الإنسان واختياره وأفعاله بنحو العموم مدخليّة في تقديم هذا الأجل وتأخيره.

وبعبارة فلسفيّة نقول: إنّ الله سبحانه وتعالى فيما يتعلّق بوقت وأجل الإنسان جعل إرادته تابعة لإرادة الإنسان، أمّا فيما يتعلّق بأصل الموت فإرادة الله تعالى هي الحاكمة، سواء أراد الإنسان ذلك أو لم يرِد.

المبحث الرابع

سكرات الموت

- الفارق بين الدُّنيا والآخرة بحسب المناهج
- سكرة الموت
- قبض الروح
- دور الملائكة في التدبير
- الرحمة والشدّة في قبض الروح
- الاحتضار من عالم الدُّنيا أم الآخرة ؟
- اختلاف حالة الناس عند سكرات الموت
- اختلاف الحالات في الروايات

الفارق بين الدُّنيا والآخرة بحسب المناهج

هناك مشارب واتّجاهات واجتهادات متعدّدة لفهم القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام.

والعلماء وفقاً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام يمكن تقسيمهم إلى محدّثين ومتكلّمين وفلاسفة وعرفاء، وكلّهم في دائرة هذه المدرسة.

فالسيّد حيدر الآملي مثلاً هو من العرفاء التابعين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، والملاّ صدرا والحكيم السبزواري والسيّد الطباطبائي وغيرهم من فلاسفة هذه المدرسة، والمحقّق الطوسي والسيّد المرتضى والعلاّمة الحلّي والشيخ المجلسي وغيرهم من متكلّمي هذه المدرسة، والشيخ الصدوق وأمثاله من محدِّثي مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ثمّ في كلّ واحدة من هذه الاتّجاهات والمدارس مشارب متعدّدة، فالفلاسفة ليسوا على اتّجاه واحد؛ فبعضهم مشّاؤون، وبعضهم إشراقيّون، وبعضهم يتبع مدرسة الحكمة المتعالية...

ونحن عندما نريد أن نبيِّن الفارق بين الدُّنيا والآخرة لابدّ أن يكون ذلك وفقاً لمنهج معيّن. وفي هذا المجال هناك اتّجاهان:

الاتّجاه الأوّل: وهو الاتّجاه العام عند المتكلِّمين والمحدِّثين، والذي يفهمه عموم الناس، فهؤلاء يفهمون من الآخرة ومن الجنّة والنار وما يجري فيهما، وما يكون في البرزخ وغير ذلك أنّها كلّها تجري عليها أحكام هذا النظام الذي نعيش فيه، وكأنّ الآخرة هي بمثابة دنيا ثانية، لا أنّنا ننتقل

من نشأة لها أحكام إلى نشأة أخرى لها أحكام مختلفة، بل كأنّنا ننتقل من مكان إلى مكان آخر مع بعض الاختلافات، وذلك من قبيل انتقال الإنسان من كوكب إلى كوكب آخر، فالإنسان عندما ينتقل من كوكب إلى كوكب آخر فهو محكوم بنظام الدُّنيا ولكن مع اختلاف بعض الأحكام والقوانين لكن مع بقاء النظام العامّ الذي يحكم هذا الكوكب وذاك الكوكب وكلّ الكواكب الأخرى والمجرّات وكلّ المنظومات هو نظام واحد يسمّى نظام الدُّنيا. والإنسان سواء كان في هذا الكوكب أو كان في كوكب آخر فهو يعيش في ضمن نظام واحد فيه بعض الاختلافات كما لو كان الأوّل فيه جاذبيّة والثاني ليس كذلك...

لذا فإنّ هذا الاتّجاه يفهم من الجنّة ولذائذها ونعيمها، والنار ودركاتها وآلامها ما يفهم في هذه النشأة.

قال صدر المتألّهين: «اعلم أنّ لأهل الإيمان والاعتقاد بحقية الحشر والمعاد وبعث الأجساد حسب ما ورد في الشريعة الحقة مقامات:

المقام الأوّل: أدناها في التصديق وأسلمها عن الآفات مرتبة عوامّ أهل الإسلام، وهو أنّ جميع أمور الآخرة من عذاب القبر والضغطة والمنكر والنكير والحيّات والعقارب وغيرها أمور واقعة محسوسة، من شأنها أن تحسّ بهذه الباصرة، لكن لا رخصة من الله في إحساس الإنسان ما دام في الدنيا لحكمة ومصلحة من الله في إخفائها عن عيون الناظرين، كما يدلّ عليه ظاهر بعض الآيات و صورة الروايات».(١)

الاتّجاه الثاني: وهو اتّجاه الفلاسفة والعرفاء، وهو الذي سنسير عليه في أبحاثنا هذه، وهؤلاء يعتقدون أنّ الإنسان بالموت ينتقل من حقيقة ونشأة

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ج ٩ ص ١٧١.

إلى نشأة أخرى وإلى عالم آخر، وهو يختلف عن هذا العالم في كثير من أحكامه وقوانينه، وإن كانت القوانين العامّة للوجود حاكمة هناك أيضاً.

والآيات والروايات فيها شواهد كثيرة على هذا الاتّجاه. فعلى سبيل المثال من خصائص هذه النشأة:

- أنّها نشأة العمل، ولكن من خصائص تلك النشأة أنها نشأة الجزاء.
- ومن خصائص هذه النشأة أنّ فيها المرض والهرم والموت و...، ولكن من خصائص تلك النشأة أنّه لا يوجد فيها شيءٌ من ذلك.
- ومن خصائص هذه النشأة أنّ الحقّ فيها مختلط مع الباطل، أمّا تلك النشأة فهي نشأة ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ (النور: ٢٥) حيث لا يوجد فيها خلط والتباس.

إذن عندما ندخل هذه الأبحاث بدءاً بالاحتضار الذي هو المنزل الأوّل من منازل الآخرة، وبعد ذلك البرزخ، ثمّ النفخ، وبعد ذلك الحشر الأكبر بما فيه من عشرات المنازل، ثمّ الجنّة... فهذه كلّها سوف نفسّرها ونحاول الوقوف عليها من خلال هذا الاتّجاه (الثاني).

ومن الشواهد القرآنيّة المؤيّدة للاتّجاه الثاني قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الواقعة: ٦١). فلو كنّا نذهب إلى نشأة من قبيل نشأتنا لما صحّ قوله تعالى: ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فهناك اختلاف بين النشأتين كمّي ونوعي، فليس الاختلاف هو من قبيل المثل الذي نردّده على ألسنتنا حيث نشبّه الاختلاف بين عالمي الدُّنيا والآخرة بخروج الإنسان من بطن أُمّه إلى عالم الدُّنيا.

فالمثال يقرّب من جهة ولكن إذا لم يكن ملتفتاً إليه بدقّة يكون مبعّداً من جهات أخرى، وفي القرآن الكريم ما يشير إلى هذه الحقيقة حيث يقول

تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣)؛ بمعنى أنّ الإنسان إذا أراد أن يقف على حقيقة المثل ويتعقّله ويتفهّم حقيقته لابدّ أن يكون عالماً ؛ لأنّه ما يعقلها إلاّ العالمون.

وفي الرواية عن ياسر الخادم قال: سمعت الرِّضا عليه السلام يقول: «**إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمّه فيرى الدُّنيا؛ ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يُبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدُّنيا، وقد سلَّم الله عزّ وجلّ على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال:** ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ١٥)، **وقد سلَّم عيسى بن مريم عليهما السلام على نفسه في هذه المواطن فقال:** ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٣)»[(١)].

ومحلّ الشاهد هو أنّه عندما تبدأ منازل الآخرة يبدأ الانتقال من نشأة إلى أخرى، وبهذا تتّضح لنا حقيقة الموت، وأنّه ليس من قبيل ولادة الإنسان وخروجه من رحم أُمّه إلى عالم الدُّنيا، أو الانتقال من كوكب إلى آخر، ومن مكان إلى مكان، بل هو ولادة من سنخ آخر ومن حقيقة أخرى، والعقل البشري قاصر عن إدراكها وفهمها على حقيقتها إلا من خلال بيانات الوحي الإلهي. والأمثلة التي تُضرب على ذلك ينبغي أن نعبر منها إلى تلك الحقيقة لإدراكها.

وبذلك يمكن القول إنّ ما نملكه من علوم ناقصة ومحدودة لن نستطيع من خلالها التعرّف على كُنه الآخرة وحقيقتها، ومطلق عالم الغيب، ولابدّ أن نكتفي بمجموعة من المعلومات والمعارف الكلّية التي نتوصّل إليها من خلال البراهين العقليّة، وبالخصائص والصفات التي يبيّنها الوحي.

---

(١) عيون أخبار الرضا ، الصدوق: الحديث ١١، ج ٢٦ ص ٢٥٧.

سكرة الموت

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق: ١٩). ذكر أرباب التفسير أنّ الحيد هو العدول والميل على سبيل الهرب، والمراد بسكرة الموت ما يعرض الإنسان حال النزع إذ يشتغل بنفسه وينقطع عن الناس كالسكران الذي لا يدري ما يقول ولا ما يُقال له.

وفي تقييد مجيء سكرة الموت بالحقّ إشارة إلى أنّ الموت داخل في القضاء الإلهي، مراد في نفسه في نظام الكون كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء:٣٥).

وقال الطبرسي: إنّ المراد من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ شدّته الذاهبة بالعقل، والباء في (بالحقّ) للتعدية، أي: وأحضرت شدّة الموت حقيقة الأمر من السعادة أو الشقاوة[١].

وفي مجمع البيان: «أي جاءت غبرة الموت وشدّته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله بالحقّ أي أمر الآخرة حتّى عرفه صاحبه، واضطرّ إليه»[٢].

وفي تعبير الكثيرين أنّ سكرة الموت هي حال تشبه حالة الثمل السكران إذ تظهر على الإنسان بصورة الاضطراب والانقلاب والتبدّل، وربّما استولت هذه الحالة على عقل الإنسان وسلبت شعوره واختياره.

وكيف لا تكون كذلك، مع أنّ الموت مرحلة انتقاليّة مهمّة ينبغي أن يقطع الإنسان فيها جميع علائقه بالدُّنيا التي تعلّق بها خلال سنين طويلة، وأن يخطو في عالم جديد عليه مليء بالأسرار، خاصّةً أنّ الإنسان ـ لحظة

---

(١) **تفسير جوامع الجامع**، الطبرسي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢١: ج٣ص ٤١٦.
(٢) **مجمع البيان**، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت: ج ٩ ص ٢٤٠.

الموت ـ يكون عنده إدراك جديد وبصر جديد، وهو يلاحظ عدم استقرار هذا العالم بعينه ويرى الحوادث التي بعد الموت، وهنا تتملّكه حالة الرعب والاستيحاش من قرنه إلى قدمه فتراه سكراً وليس بسكر[١].

وحتّى الأنبياء والأولياء الذين يواجهون حالة النزع والموت باطمئنان كامل ينالهم من شدائد هذه الحالة نصيب، ويُصابون ببعض العقبات في حالة الانتقال.

وفي كلام للإمام عليّ عليه السلام يصف فيه لحظة الموت وسكراتها يقول: «**اجتمعت عليهم سكرات الموت وحسرات الفوت ففترت لها أطرافهم وتغيّرت لها ألوانهم ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحيلَ بين أحدهم ومنطقه وإنّه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحّة من عقله وبقاء من لبّه يفكّر فيمَ أفنى عمره؟ وفيمَ أذهب دهره؟ ويتذكّر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها، تبقى لمَن وراءه ينعمون فيها ويتمتّعون بها**»[٢].

قبض الروح

من الأمور الثابتة في الشرع والتي ينبغي الإيمان والإقرار بها ملك الموت ونزعه أو قبضه للروح، وأعوانه.

والخلق والتدبير وإن كانا من شؤون المولى عزّ وجلّ، كما قال في كتابه الكريم: ﴿**أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ**﴾ (الأعراف: ٥٤)، لكن

(١) السكر ـ على زنة المكر ـ معناه في الأصل سدّ طريق الماء، والسكر ـ على زِنة الفكر ـ معناه المحلّ المسدود، وحيث إنّ حالة الثمل تقع حاجزاً وسدّاً بين الإنسان وعقله فقد سمّيت بالسكر على زنة الشكر.

(٢) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: الخطبة: ٢٠٠.

تدبيره تعالى لا يتنافى مع ما ورد في القرآن الكريم حول قبض ملك الموت أو بعض الملائكة لروح الإنسان، فقد نسب القرآن عمليّة قبض الروح لله تعالى، حيث قال عزّ وجلّ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر: ٤٢).

وفي الوقت نفسه أسنده إلى الملائكة، حيث قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (النحل: ٢٨)، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ (الأنعام: ٦١).

وفي موضع ثالث أسنده إلى ملك الموت واعتبره أنّه هو الموكل بقبض الأرواح، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ (السجدة:١١).

وكلّ ذلك صحيح ولا تنافي بين فعل الله تعالى وفعل ملائكته، إذ إنّ الفاعل حين يقوم بفعله بوساطة فاعل آخر يصحّ حينئذ نسبة الفعل إلى كليهما، خصوصاً إذا كان الفاعل الثاني مسخّراً للفاعل الأول فيمكن نسبة الفعل إلى الأول أيضاً كما يصحّ نسبته إلى الثاني، فيمكن نسبة الفعل إلى فاعل آخر.

وفي موردنا فإنّ الله تعالى يقبض الأرواح بواسطة ملك الموت، وملك الموت بدوره يؤدّي عمله بواسطة الملائكة الذين يخضعون لأمره، وبهذا تصحّ نسبة قبض الروح مرّة إلى الله تعالى، وثانيةً إلى ملك الموت، وثالثة إلى الملائكة.

قال الطبرسي في مجمع البيان في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ (السجدة: ١١) «أي وكّل بقبض أرواحكم؛ عن ابن عبّاس قال: جعلت الدُّنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضى عليه الموت من غير عناء، وخطوته ما بين المشرق والمغرب، وقيل: إنّ له أعواناً كثيرة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فعلى هذا المراد بملك

الموت الجنس ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ وقوله: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ . وأمّا إضافة التوفّي إلى نفسه في قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ فلأنّه سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه أحدٌ سواه»[١].

وفي الاحتجاج في خبر الزنديق المدّعي للتناقض في القرآن قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ وقوله: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ و﴿ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ و﴿ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ و ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: **«فهو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلاً وسفرةً بينه وبين خلقه وهم الذين قال فيهم: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾** (الحجّ: ٧٥). **فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّى قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتونه منسوب إليه، وإذاً كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يد مَن يشاء، ويعطي ويمنع ويُثيب ويُعاقب على يد مَن يشاء، وإنّ فعل أُمنائه فعله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.»**[٢]

دور الملائكة في التدبير

في إطار رفع التعارض الظاهري الذي أوقع البعض في الالتباس والاشتباه لجهة نسبة القرآن الكريم قبض الروح إلى الله تعالى، وكذلك لملك

---

(١) **مجمع البيان**، الطبرسي، مصدر سابق: ج ٤ ص ٥١٤.

(٢) **الاحتجاج**، الطبرسي، الشيخ أحمد، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م : ص ٢٤٧.

الموت ولأعوانه، نضيف إلى ما تقدّم ما ذكرناه في أبحاثنا حول التوحيد، حيث ذكرنا أنّ القرآن الكريم ينسب إلى الله تعالى كثيراً من الأمور، ثمّ يعود وينسبها إلى آخرين في الوقت ذاته، ومن ذلك دور الملائكة في التدبير، وكونها وسائط في ذلك.

ومنها أيضاً عمليّة قبض الروح بواسطة الملائكة، فما هو تفسير ذلك؟

ما يفيده كتاب الله العزيز في العديد من آياته أنّ الملائكة وسائط بين الله سبحانه وبين الأشياء بدءاً وعوداً.

ومعنى الوسائط تحديداً أنّهم أسباب للحوادث فوق الأسباب المادّية في العالم المشهود قبل حلول الموت والانتقال إلى نشأة الآخرة وبعده.

أمّا في مرحلة العود وعند ظهور آيات الموت فإنّ دور الملائكة في الوساطة واضح في قبض الروح، وإجراء السؤال، وثواب القبر وعذابه، وإماتة الكلّ بنفخ الصور وإحيائهم بعد ذلك، ثمّ في الحشر وإعطاء الكتاب ووضع الموازين والحساب، والسَوْق إلى الجنّة والنار، تدلّ عليه آيات كثيرة، تعضدها الأخبار المأثورة فيها عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

كما تتبدّى وساطة الملائكة في مرحلة التشريع بوضوح من خلال النزول بالوحي ودفع الشياطين عن التدخّل فيه، وتسديد النبيّ صلى الله عليه وآله وتأييد المؤمنين وتطهيرهم بالاستغفار.

من هنا نرى أنّه ليس هناك تنافٍ بين توسّط الملائكة واستناد الحوادث إليهم، وبين استنادها إلى الله سبحانه؛ كونه هو السبب الوحيد لها جميعاً على ما يقتضيه توحيد الربوبيّة. ومردّ ذلك أنّ السببيّة طوليّة لا عرضيّة، ولا ينافي استناد الحوادث إلى الملائكة استنادها إلى أسبابها الطبيعيّة القريبة،

والقرآن صدّق الاثنين؛ استناد الحوادث إلى أسبابها الطبيعيّة كما استنادها إلى الملائكة، وليس لشيء من الأسباب استقلال بإزاء الله تعالى حين ينقطع عنه، على ما ذهبت إليه الوثنيّة في تفسير تفويض الله تدبير الأمور إلى الملائكة المقرّبين.

فالتوحيد القرآني ينفي الاستقلال عن كلّ شيء، من كلّ جهة؛ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا.[1]

ويمكن توضيح الحقيقة المتقدمة القائلة (إنّ الأشياء وإن كانت تستند إلى أسبابها القريبة إلا أنّ ذلك لا ينافي استنادها إلى الأسباب البعيدة وفي النهاية استنادها إلى الله سبحانه) من خلال مثل ـ وإن كان بعيداً من وجه ـ وهو الكتابة يكتبها الإنسان بيده وبالقلم، فللكتابة استناد إلى القلم، ثمّ إلى اليد التي توسّلت إلى الكتابة بالقلم، وإلى الإنسان الذي توسّل إليها باليد والقلم، والسبب بحقيقة معناه هو الإنسان المستقلّ بالسببية من غير أن ينافي سببيته استناد الكتابة بوجه إلى اليد وإلى القلم.

ثمّ إنّه لا ريب أنّ الله سبحانه وإن كان قادراً على فعل الإماتة مباشرةً، بيدَ أنّ حكمته اقتضت في إطار النظام الأحسن الذي خلقه، أن يجعل واسطة تكون مظهراً وآية لاسمه المميت.

وبالجملة فإنّ قبض الروح من أيٍّ كان من أصناف الملائكة مرجعه واحد، وهو الله تعالى كما ورد في تعبير الطباطبائي حيث يقول: «ثمّ إنّه سبحانه قال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ فنسبه إلى ملك الموت، وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام: ٦١) فنسبه إلى الملائكة الرسل، ومرجع الجميع واحد؛ لما عرفت في

---

(١) التوحيد، السيد كمال الحيدري، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٧٥ ـ ٣٨٩.

محلّه أنّ الأفعال كلّها لله وهي مع ذلك ذات مراتب يقوم بكلّ مرتبة من مراتبها طائفة من الموجودات على حسب مراتبهم في الوجود»[(١)].

وما تقدّم في رواية الاحتجاج إشارة إلى الرفق والشدّة في قبض الروح، حيث إنّ الملائكة لا تقوم بمهمّتها في قبض أرواح الناس جميعاً بصورة واحدة، بل إنّهم يقومون بعملهم أحياناً برفق واحترام، «**فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة**»، وفي أحيان أخرى بشدّة وامتهان، «**ومن كان من أهل المعصية تولّى قبض روحه ملائكة النقمة**».

والقرآن الكريم يصف قبض أرواح المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ (النحل:٣٢).

وأمّا عن الكافرين فيقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ (الأنفال:٥٠).

فضلاً عن ذلك هناك تفاوت واختلاف درجات ومستويات بين المؤمنين أنفسهم والكافرين أنفسهم، ويستتبع هذا التفاوت أمران:

الأوّل: أن تكون الرحمة والشدّة متفاوتة بالنسبة إلى كلٍّ من المؤمن والكافر.

الثاني: أنّ الكافر عند نزع الروح منه بشدّة، قد يندم ويتوب على ما فعله في الحياة الدُّنيا، ولكن الآيات ذكرت أنّه لن تُقبل ـ إذ ذاك ـ منه توبته، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ (النساء: ١٨).

---

(١) **الرسائل التوحيديّة**، محمّد حسين الطباطبائي، بنياد علمي وفكري سيّد طباطبائي (المؤسسة العلمية والفكرية للسيد الطباطبائي)، قم، ١٩٨٦ م : ص ٢٠٨.

وهناك الكثير من الأحاديث والروايات التي بيّنت أهوال الموت وسكراته، وشدّة النزع على الإنسان، والدواهي العظمى التي يُصاب بها أثناء نزع الروح وكراهيّة الإنسان له.

• قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ للموت لغمرات هي أفظع من أن يستغرق (يستوصف) بصفة أو تعتدل على عقول أهل الدُّنيا**».

• وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ بين الدُّنيا والآخرة ألف عقبة، أهونها وأيسرها الموت**».

• وفي الحديث القدسي: «**ما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته له، ولابدّ له منه**».

• وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**لسكرة من سكرات الموت أشدُّ من ثلاثمئة ضربة بالسيف**»[١].

وعن تفاوت الحال بين حالة المؤمن وحالة الكافر عند الموت:

• قال الإمام الصادق عليه السلام في جواب من سأل: صِف لنا الموت؟ «**للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاع ولذع العقارب أو أشدّ**. قيل: فإنّ قوماً يقولون: إنّه أشدّ من نشر بالمناشير! وقرض بالمقاريض! ورضخ بالأحجار! وتدوير قطب الأرحية على الأحداق! قال: «**كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الذي هو أشدّ من هذا الأمر عذاب الآخرة فإنّه أشدُّ من عذاب الدُّنيا**». قيل: فما بالنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدّث ويضحك ويتكلّم، وفي المؤمن أيضاً من

---

(١) راجع هذه الأحاديث في كتاب: **علم اليقين في أصول الدِّين**، المولى محسن الكاشاني، دار البلاغة، بيروت، د. ت : ج ٢ ص ٨٥٠.

يكون كذلك، ومن المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال: «**ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيّاً، نظيفاً، مستحقّاً لثواب الأبد، لا مانع له دونه؛ وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفّى أجر حسناته في الدُّنيا ليرد الآخرة وليس له إلاّ ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدّة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له (بعد نفاد حسناته) ذلكم بأنّ الله عدلٌ لا يجور**».

والعلّة في هذه الشدّة هي كما يقول المولى الكاشاني: «أنّ المُدرك للألَم هو النفس بتوسّط الروح الحيواني. فمهما أصابَ العضو الذي فيه الروح جرحٌ أو حرقٌ سرى الأثر إلى الأجزاء، فلا يصيب الروح إلاّ بعض الأثر، وألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق حتّى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن إلاّ وقد حلَّ به الألم لأنّه ينزع ويجذب من كلّ عرق وعصب وجزء ومفصل، ومن أصل كلّ شعرة وبَشرة من القَرن إلى القدم، فالكرب يبالغ فيه ويتصاعد على قلبه ويغلب على كلّ موضع منه فلا يترك له قوّة استغاثة.

أمّا العقل فيغشّيه ويشوّشه، وأمّا اللِّسان فيبكمه، وأمّا الأطراف فيضعفها وينشر الألم في داخله وخارجه، وهو يظنّ أنّ داخله مُلئت شوكاً وكأنّما نفسه تخرج من ثقب إبرة وكأنّما السماء منطبقة على الأرض وهو بينهما»(1).

اختلاف حالة الناس عند سكرات الموت

ممّا لا ريب فيه اختلاف حالات الناس في حالة الاحتضار والنزع الأخير، وفي حالة الانتقال من هذه النشأة إلى نشأة أخرى.

---

(١) علم اليقين في أصول الدين، مصدر سابق: ج ٢ ص ٨٥١.

فالإنسان كما ذكرنا يترك بالموت عالماً ولكنّه يولد في عالم آخر، فهي في الحقيقة ولادةٌ جديدة ينتقل من خلالها الإنسان من نشأة إلى نشأة أخرى، وهذه الولادة قد تكون سهلة يسيرة، وقد تكون صعبة عسيرة، وهي أشبه شيء بالعمليّة القيصريّة الجراحيّة لأنّها تكون مصاحبة لمجموعة من الآلام الشديدة، وهذا الألم لا يُقاس بألم الدُّنيا، لأنّ الألم المرتبط بتلك النشأة لا يمكن أن يُقاس بالألم الموجود في هذه الدُّنيا، كما أنّ اللذائذ كذلك ينطبق عليها نفس الأمر، كما سيأتي بحثه لاحقاً.

والحاصل: أنّ الناس في حالة النزع والاحتضار ينقسمون إلى قسمين:

الأوّل: هم الذين تكون حالة الاحتضار والانتقال والولادة بالنسبة إليهم سهلة يسيرة، بل هم في نعيم.

الثاني: الذين تكون حالة الاحتضار والانتقال والولادة بالنسبة إليهم صعبة عسيرة مصحوبة بالألم الشديد.

أمّا عن السبب في ذلك فإنّه يحتاج إلى بيان مقدّمة حاصلها: إنّ كلّ التعلّقات المرتبطة بهذه النشأة (أي كلّ ما يتعلّق بأمور الدُّنيا) لا مجال له في البرزخ ولا في الحشر الأكبر.

وهذا صريح القرآن الكريم الذي يقول: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ (الأنبياء: ١٠٤)، فالسماوات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى، وهذا النظام القائم في الدُّنيا بما له من العلاقات والأنساب والروابط والجاه والمقام والمال وما إلى ذلك، كلّ هذه لابدّ أن تبقى في هذه النشأة؛ لأنّ تلك النشأة الأخرى لها أحكامها وقوانينها المختلفة.

والمثال على ذلك: الإنسان تكون له علاقة شديدة بالأولاد، وبالمال،

وبالجاه، وأمتعته الشخصيّة، ومنزله، و... وهو سيترك هذه النشأة بكلّ ما فيها وبكلّ تعلّقاتها إلى تلك النشأة، ولا يوجد شيء يربطه بعد ذلك بهذه النشأة. وما سيتركه الإنسان هنا سوف يحصل على شيء أفضل منه، هذا إذا كانت كلّ علاقاته الدنيويّة في صراط الله المستقيم.

فالإنسان المؤمن الذي سلك طريق حبّ الله والعمل بما يرضيه في الدُّنيا سيترك هذه النشأة ولا يواجه أيّة مشكلة، لأنّ كلّ ما يتركه في الدُّنيا سيجد ما هو أفضل منه بكثير. أمّا إذا كان الإنسان على خلاف ذلك، وكان من أتباع إبليس، فإنّ الأمور التي سيتركها هنا لن يجد لها بديلاً هناك.

ومفاد ذلك كلّه النتيجة التالية: إنّ قطع العلاقة والارتباط بالدُّنيا يكون سهلاً للمؤمن، وأمّا لغيره فلن يكون كذلك، بل يكون صعباً عسيراً.

وكلّما كانت هذه العلاقة بالدُّنيا شديدة وقويّة ـ كمَن يحبّ الدُّنيا، ولا يعطي فيها الحقوق الواجبة عليه، ويحبّ المال حبّاً جمّاً ـ وكذلك التعلّق بالجاه والمقام والمنزل والأولاد والأهل وبكلّ شيء يربط الإنسان بهذه النشأة الدنيويّة، كان قطع الإنسان لعلاقته بهذه النشأة ونقله إلى نشأة أخرى يحتاج إلى نزع أكثر، ويحتاج إلى ألم أكثر، ويكون مصحوباً بالألم الشديد والمرارة الكبيرة.

فإذا أردنا أن يكون النزع في حالة سكرات الموت والاحتضار وقبض الروح يشابه الولادة السهلة اليسيرة، فعلينا أن نروّض أنفسنا من الآن على قطع علاقاتنا بكلّ ما يرتبط بالدُّنيا.

وطبعاً يستثنى من ذلك حبّ الأولاد والمال بالطريقة التي يسعى من خلالها الإنسان للإنفاق والتوسعة على الأهل وعلى العيال، وكذلك الحصول على المال لأجل مساعدة المحتاجين والفقراء، فإنّ ذلك كلّه ليس

من باب حبّ الدُّنيا، بل هو من الآخرة.

وبهذا نفهم تلك الحقيقة، ونجيب على السؤال المتقدّم، وأنّه لماذا يشتدّ النزع على بعض الناس ويُخفّف عن بعض؟ فذلك كلّه مرتبط بنسبة شدّة هذه العلاقات المرتبطة بالأمور الدنيويّة. فكلّما كانت هذه العلاقات أخفّ كانت سكرات الموت أخفّ وأسهل وأيسر، والعكس بالعكس.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ سكرات الموت ويسرها وعُسرها وشدّتها وما إلى ذلك هي أمور لا ترتبط بقضايا ظاهريّة، بل هي مرتبطة بعالم الغيب، وعالم المعنى والروح. إنها لا ترتبط بالأمور المادّية حتّى نشاهدها بالعين، ونقول هذا الإنسان مات بنحو سهل، وذاك مات بنحو صعب ومؤلم.

ينقل الفيض الكاشاني عن أبي حامد الغزالي قوله: «فهذه سكرات الموت على أوليائه وأحبّائه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقيّة الدّواهي فإنّ دواهي الموت ثلاثة: الأولى شدّة النزع، الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الرّوع والخوف منه على القلب... الدّاهية الثالثة مشاهدة العُصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فإنّهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولم يخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشارتين إمّا أبشر يا عدوّ الله بالنار، أو أبشر يا وليّ الله بالجنّة. وعن هذا الخطر كان خوف أرباب القلوب والألباب، وقال صلى الله عليه وآله: **لن يخرج أحدكم من الدُّنيا حتّى يعلم أين مصيره وحتّى يرى مقعده من الجنّة والنار**»[1].

---

(١) المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، المولى محسن الكاشاني، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٣م / ١٤٠٣هـ: ج ٨ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

اختلاف الحالات في الروايات

ما ذكرناه حول اختلاف وضع الناس عند قبض الروح وسكرات الموت هو ما عبّرت عنه الروايات والأحاديث الشريفة، والتي علّلت كراهيّة الموت عند البعض وحبّ الموت عند آخرين، وهذه إطلالة عامّة على بعض تلك الروايات:

• عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الموت، الموت، جاء الموت بما فيه، جاء بالروح والراحة والكرّة المباركة إلى جنّة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم، وجاء الموت بما فيه، وجاء بالشقوة والندامة والكرّة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم**»(١).

• وقيل لعليّ بن الحسين عليهما السلام: ما الموت؟ قال: «**للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفكّ قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب، وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل أنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظم العذاب**»(٢).

• وقال رجلٌ لأبي ذرّ رحمه الله: ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنّكم عمّرتم الدُّنيا وخرّبتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب. قيل له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأمّا المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، قيل: فكيف ترى حالنا عند الله؟

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٢٦.

(٢) معاني الأخبار، مصدر سابق: ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

قال: اعرضوا أعمالكم على كتاب الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ (الإنفطار: ١٣ـ١٤)، قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: إنّ رحمة الله قريبٌ من المحسنين»[١].

ونختم هذا البحث الروائي بالرواية الواردة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والتي يبيِّن فيها طبقات الناس وحالاتهم عند الموت.

• عن أبي جعفر الجواد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صِف لنا الموت، فقال: «**على الخبير سقطتم، وهو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: إمّا بشارة بنعيم الأبد، وإمّا بشارة بعذاب الأبد، وإمّا تحزين وتهويل وأمره مبهم، لا يدري من أيّ الفِرق هو.**

فأمّا وليّنا المطيع لأمرنا فهو المبشَّر بنعيم الأبد، وأمّا عدوّنا المخالف علينا فهو المبشَّر بعذاب الأبد، وأمّا المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثمّ لن يسوّيه الله عزّ وجلّ بأعدائنا لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتّكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عزّ وجلّ، فإنّ من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلاّ بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة»[٢].

فالإمام عليه السلام يشير هنا إلى بعض الناس يبشّرون بنعيم الأبد، وبعضهم يبشّرون بعذاب الأبد، وبعضهم يبقى أمره مُبهماً، وهم الذين لا يُعلم حالهم؛ أيشملهم العفو الإلهي فيدخلون الجنّة، أم لا يشملهم العفو فيكونون من أصحاب النار؟

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٣٧.

(٢) معاني الأخبار، مصدر سابق : ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩؛ بحار الأنوار : ج ٦ ص ١٥٣.

وقول الإمام عليه السلام: «**فهو المؤمن المسرف على نفسه**» إشارة إلى أنّ «المؤمن» له اصطلاحان:

الأوّل: الإيمان المطلق والمراد منه المعنى العامّ للإيمان، أي من آمن بالله واليوم الآخر وبرسوله صلى الله عليه وآله، وهذا يُطلق على كلّ مسلم.

الثاني: وهو نفس المراد من المعنى الأوّل ولكن يُضاف إليه الموالاة للأئمّة المعصومين من آل البيت عليهم السلام. ولذا فإنّ هذا الذي لا يوالي ولا يعتقد بولاية الأئمّة عليهم السلام يسمّى في الروايات مسلماً ولا يُطلق عليه أنّه مؤمن.

ومقصود الإمام عليه السلام بـ «المؤمن المسرف على نفسه» ليس الإيمان بالمعنى الأوّل، بل الإيمان بالإطلاق الثاني، وإلاّ لما ذكر أنّه قد تلحقه الشفاعة.

المبحث الخامس

حضور النبي والأئمّة عليهم السلام عند المحتضر

- استفاضة الروايات في هذا الباب
- إضاءة على الروايات
- كيفيّة الحضور وأسبابه
- دليل الحضور
- الاحتضار من عالم الدنيا أو الآخرة

استفاضة الروايات في هذا الباب

يقسّم علماء الأصول الروايات إلى روايات آحاد وهي التي يكون الناقل لها فرد أو فردان أو ثلاثة، وإلى روايات تفيد الاطمئنان وهي الروايات المستفيضة، وإلى روايات يعبّرون عنها بأنّها متواترة، والمراد بالمتواترة تلك التي بلغت حدّاً يقطع الإنسان بصدور مضمونها من النبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام.

بناءً على هذا فإنّ الروايات الواردة لإثبات حضور النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام عند المحتضِر وفي سكرات الموت هي إمّا متواترة، وإمّا مستفيضة.

يقول الگيلاني: «وما تكرّر في الروايات حضور رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام وسيّدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام عند المحتضر كثيرة جدّاً، بالغة حدّ التواتر معنىً»[(1)].

ويقول المجلسي في البحار: «اعلم أنّ حضور النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة صلوات الله عليهم عند الموت ممّا قد ورد به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار، وأمّا نحو حضورهم وكيفيّته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليهم السلام»[(2)].

---

(١) المعاد في الكتاب والسنّة، محمّدي گيلاني: ص ٧٩.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

إذن عندما ننظر إلى روايات هذا الباب نجد أنّ سندها إمّا يكون متواتراً فيقطع به، وإمّا يكون مستفيضاً ونطمئنّ بصدور مضمونه عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام.

فلا يتبادر إلى الذهن أنّنا نستدلّ على هذا المطلب بروايات آحاد، وهذا يتناقض مع القاعدة المذكورة في محلّه من الأبحاث الأصوليّة بأنّ المسائل العقائديّة لا يمكن الاستناد فيها إلى رواية آحاد، فهذا الإشكال لا يرد علينا.

إضاءة على الروايات

باعتبار أنّ مصادر البحث في روايات حضور النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام عند سكرات الموت هي الروايات المستفيضة، كان لابدّ من تسليط الضوء على بعض هذه الروايات وإيراد بعضها:

• عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«والذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتّى تأكل من ثمار الجنّة أو من شجرة الزقوم، وحين ترى ملك الموت تراني وترى عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، فإن كان يحبّنا قلت: يا ملك الموت ارفق به إنّه يحبّني ويحبّ أهل بيتي، وإن كان يبغضنا قلت: يا ملك الموت شدّد عليه إنّه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي»**[1].

والرواية تبيّن أنّ حضور النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام عند سكرات الموت لا يختصّ بالموالين ولا يختصّ بالمسلمين، فكما أنّ الملائكة تحضر عند سكرات الموت لقبض الأرواح بطريقتين، كذلك النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام لهم حضور بطرق مختلفة؛ أي

---

(١) بحار الأنوار: الحديث ٤٣، ج ٦ ص ١٩٤.

إمّا لطلب الرفق بالميّت، أو لطلب التشديد عليه. وهي تبيّن أيضاً أنّ الحضور ليس مختصّاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله، بل هو لعليٍّ ولفاطمة وللحسن والحسين عليهم السلام أيضاً.

كذلك: إنّ الذي يأمر الملائكة في كيفيّة قبض الأرواح هو النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام.

• عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**مَن أحبّني وجدني عند مماته بحيث يحبّ، ومَن أبغضني وجدني عند مماته بحيث يكره**»(١).

• عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، قال: «**ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلاّ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين حقّاً من الأوّلين والآخرين**»(٢).

• عن عبد الرحيم القصير قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدّثني صالح بن ميثم، عن عباية الأسدي أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: (**والله لا يبغضني عبدٌ أبداً يموت على بغضي إلاّ رآني عند موته حيث يكره، ولا يحبّني عبدٌ أبداً فيموت على حبّي إلاّ رآني عند موته حيث يحبّ**)؛ فقال أبو جعفر **عليه السلام: نعم، ورسول الله صلى الله عليه وآله باليمين**»(٣).

---

(١) **المحاسن**، أحمد بن أبي عبدالله البرقي، الصفوة، دار الكتاب الإسلامي، بيروت: الحديث ١٦٠، الباب ٣٩ ص ١٧٧.

(٢) **تفسير العيّاشي**، محمّد بن مسعود العياشي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٤١١هـ: سورة النساء الآية ١٥٩، الحديث ٣٠٢، ج ١ ص ٣١٠.

(٣) **الأصول من الكافي**: الحديث ٥، ج ٣ ص ١٣٢.

كيفيّة الحضور وأسبابه

اتّفق علماء مدرسة أهل البيت وأجمعوا على أصل حضور النبيّ والأئمّة عند سكرات الموت. أمّا كيفيّة الحضور، وعدد الحاضرين، وطريقة الحضور، وغير ذلك.. فهذه القضايا والمسائل كلّها تخضع لاجتهادات العلماء بحسب مناهجهم المعرفيّة، ولذا قد تختلف آراؤهم فيها. ولذا قال المجلسي: «وأمّا نحو حضورهم وكيفيّته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليهم السلام»[(١)].

فكيفيّة الحضور وغيرها من المسائل التي قد يجري الاختلاف فيها، لا تؤثّر على أصل الاعتقاد، وهي ليست من الأمور التي قد تؤدّي إلى إنكار أصل الرأي أو أصل العقيدة.

أمّا سبب هذا الحضور فهو كما بيّنته الروايات لتحقيق السكينة والاطمئنان للمؤمن، باعتبار أنّ أحوج ما يكون إليه الإنسان عند الانتقال من هذه النشأة إلى النشأة الأخرى هو الأمان والاطمئنان والسلام، وأن يجد أولئك الذين يطمئنّ إليهم، ويسكن لهم.

ومن هنا سلّم الله على يحيى عليه السلام فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ١٥)، وكذلك عيسى عليه السلام عندما قال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٣).

فلماذا جاء السلام في هذه المواطن الثلاثة؟

يُجيب الإمام الرضا عليه السلام عن ذلك بقوله: «**أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم ولد ويخرج من بطن أُمّه فيرى الدُّنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يُبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدُّنيا، وقد**

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٠١.

سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ١٥)، وقد سلّم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ »[١].

ولتقريب المطلب نضرب مثلاً بالطفل الذي يأخذ بالبكاء ويشعر بالوحدة والوحشة عندما لا يجد حوله أحداً يعرفه أو قريباً منه، ولكنّه بمجرّد أن يرى أحداً من معارفه كأبويه وإخوته فإنّه يستريح وتطمئنّ نفسه، ويهدأ ويسكن، كذلك هو حال الإنسان عندما ينتقل من هذه النشأة إلى النشأة الأخرى التي تكون غريبة عليه في كلّ أطوارها وأحكامها وقوانينها ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الواقعة: ٦١).

أجل يحتاج الإنسان في النشأة الأخرى لمن يعرفه، ولمن يسكن أو يطمئنّ إليه، ولهذا فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يقول له: «أما تعرفني»، ويعرّف نفسه للمحتضر. وهكذا العكس فإنّ أولئك الذين عاندوا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وجحدوا حقّه وحقّ أهل بيته عليهم السلام، وأبغضوهم في الدُّنيا سوف تكون تلك اللحظة (لحظة الاحتضار) من أشدّ وأوحش اللحظات والساعات التي تمرّ عليه حين رؤيتهم.

إذن من أهمّ أسباب الحضور وثمراته المترتّبة عليه أنّه يوجب الاطمئنان والسكينة للمؤمن، والذلّة والهوان للمعاند والكافر.

• عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جُعلت فداك يستكره المؤمن على خروج نفسه؟ قال: فقال: **لا والله**. قلت: وكيف ذاك؟ قال: **إنّ المؤمن إذا حضرته الوفاة حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل**

---

(١) **عيون أخبار الرضا** عليه السلام، مصدر سابق: الحديث ١١، ج ١ ص ٢٥٧.

بيته: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وجميع الأئمّة عليهم الصلاة والسلام ـ ولكن أكنّوا باسم فاطمة[١] ـ ويحضره جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام. فيقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا رسول الله إنّه كان ممّن يحبّنا ويتولاّنا فأحبّه. فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل إنّه كان ممّن يحبّ عليّاً وذرّيته فأحبّه، وقال جبرئيل لميكائيل وإسرافيل عليهم السلام مثل ذلك. ثمّ يقولون جميعاً لملك الموت: إنّه ممّن كان يحبّ محمّداً وآله ويتولّى عليّاً وذرّيته فارفق به. فيقول ملك الموت: والذي اختاركم وكرّمكم واصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة، وخصّه بالرسالة لأنا أرفق به من والد رفيق، وأشفق عليه من أخ شفيق، ثمّ قام إليه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت رهان أمانك؟ فيقول: نعم، فيقول الملك: فبماذا؟ فيقول: بحبّي محمّداً وآله، وبولايتي عليّ بن أبي طالب وذرّيته، فيقول: أمّا ما كنت تحذر فقد آمنك الله منه، وأمّا ما كنت ترجو فقد أتاك الله به، افتح عينيك فانظر إلى ما عندك! قال: فيفتح عينيه فينظر إليهم واحداً واحداً، ويفتح له باب إلى الجنّة فينظر إليها، فيقول له: هذا ما أعدَّ الله لك، وهؤلاء رفقاؤك، أفتحبّ اللحاق بهم أو الرجوع إلى الدُّنيا؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما رأيت شخوصه ورفع حاجبيه إلى فوق من قوله: لا حاجة لي إلى الدُّنيا ولا الرجوع إليها؟ ويناديه منادٍ من بطنان العرش يسمعه ويسمع من بحضرته: يا أيّتها النفس المطمئنّة إلى محمّد ووصيّه والأئمّة من بعده إرجعي إلى ربّك راضيةً بالولاية، مرضيّةً بالثواب، فادخُلي في عبادي مع محمّد وأهل بيته وادخُلي جنّتي غير مشوبة»[٢].

---

(١) أي لا تصرّحوا باسمها عليها السلام لئلاّ يصير سبباً لإنكار الضعفاء من الناس.

(٢) تفسير الفرات: ص ٥٥٣ ؛ بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

• عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما يموت موالٍ لنا مبغض لأعدائنا إلاّ ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) فيرونه ويبشّرونه، وإن كان غير موالٍ لنا يراهم بحيث يسوؤه، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث الهمداني:**

يا حـار همدان من يمت يرني　　　　من مؤمـن أو مـنافق قـبلا»[١]

دليل الحضور

في مبحث شهادة الأعمال يذكر العلماء والمحقّقون أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هو من الذين يشهدون على الأعمال يوم القيامة، وكذلك الأئمّة عليهم السلام، وهذا ثابت بصريح القرآن الكريم، كما سيأتي تحقيقه لاحقاً.

وهنا يأتي هذا التساؤل: إنّ الشهادة على العمل يوم القيامه تتوقّف على تحمّل الشهادة في الدُّنيا، لأنّ الذي يريد أن يشهد يوم القيامة لابدّ أن يكون قد وقف على عمل الإنسان واعتقاداته وأعماله في الدُّنيا بدليل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥). فملك الموت عندما يحضر ويقبض روح الإنسان برفق أو بشدّة، هل يحتاج إلى شاهد يشهد على هذا الإنسان بأنّه كان على الحقّ وعلى الصراط المستقيم؟ أو كان معانداً كافراً فاجراً فاسقاً إلى غير ذلك ؟

الجواب: هنا يبدأ دور النبيّ والأئمّة صلى الله عليهم أجمعين لإثبات هذه الحقيقة ليشهدوا على الإنسان وحقيقة أعماله واعتقاداته في الدُّنيا.

---

(١) تفسير القمّي: ج ٢ ص ٢٢٧؛ بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٨٠.

دفع شبهة

قد يقول قائل: كيف يحضر ملك الموت في أماكن متعدّدة لقبض أرواح أشخاص متعدّدين وكثيرين، وكيف يحضر النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام في أماكن متعدّدة ويموتون في أماكن متعدّدة ؟

وهذه الشبهة صاغها المجلسي فقال: «وما يُقال: من أنّ هذا (أي حضورهم عليهم السلام) خلاف الحسّ والعقل: أمّا الأوّل (أي الحسّ) فلأنّا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً، وأمّا الثاني (العقل) فلأنّه يمكن أن يتّفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعدّدة»[1].

والإجابة على هذا السؤال ودفع هذه الشبهة يستدعي الوقوف عند هذه المقدّمة والتي تتعلّق ببيان بعض الفوارق التي تحكم هذا العالم الذي نعيش فيه، والعالم الذي سوف ننتقل إليه، وحاصله: إنّ من أهمّ خصائص هذه النشأة أنّ الإنسان إذا كان في مكان معيّن لا يستطيع أن يكون في مكان آخر، وإذا كان في زمان معيّن، لا يمكنه أن يكون في زمان آخر، ولذا لا نستطيع أن نجمع بين هذا المكان وذاك المكان لأنّ هذا لا يمكنه أن يأخذ مكان ذاك، ولا ذاك يمكنه أن يأخذ مكان هذا، وهكذا في الأزمنة، فإنّ يوم الخميس يأخذ موقعه ويوم الجمعة يأخذ موقعه، ولا يستطيع يوم الجمعة أن يتقدّم فيأخذ زمان يوم الخمس، ولا العكس.

أمّا عندما نأتي إلى تلك النشأة الآخرة وهي نشأة الملكوت، والغيب... لا نجد الأمر على هذا النحو الذي ذكرناه في عالم الدُّنيا، بل يمكن أن تجتمع

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٠١.

الأمكنة والأزمنة، وهذا ما ورد في مضمون بعض الروايات من أنّه (ليس عند ربّك صباحٌ أو مساء)، بمعنى أنّه كان الله سبحانه ولا يوجد عنده زمان متقدّم وزمان متأخّر، بل هو محيط بالمتقدّم والمتأخّر في موضع واحد.

ومن هنا أسّس الفلاسفة قاعدة فلسفيّة مفادها: «إنّ المتفرّقات في وعاء الزمان مجتمعات في وعاء الدهر». فما هو متفرّق هنا لا يمكنه أن يكون متفرّقاً هناك، بل يكون مجتمعاً، فمثلاً يوم السبت لا يجتمع مع يوم الأحد في الواقع الخارجي، ولكنّك تتذكّر مكاناً قد رأيته، أو كنت فيه قبل عشر سنوات، ومكان آخر أنت فيه الآن فتجمعهما في ذهنك.

فالله تعالى خلق الإنسان وأعطاه نحواً من القدرة، وأوجد في نفسه أمثلة لما يوجد في العالم الآخر، ولذا من عرف نفسه وحقيقتها وأحكامها يستطيع أن يقف على كثير من الأحكام الموجودة في تلك العوالم.

وإذا أردنا أن نعرف عالم البرزخ وعالم الملكوت والعالم الذي نذهب إليه وبم هو محكوم، أبأحكام النشأة الدنيويّة أم بأحكام النشأة الأخرويّة؟ وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام بعد انتقالهم من هذا العالم إلى عالم ما وراء هذا العالم بم محكومون، أبأحكام هذه النشأة الدنيويّة أم بأحكام النشأة الأخرويّة؟ فإنّ ذلك كلّه مرتبط بأحكام هذه النشأة وتلك النشأة.

وحينئذ يأتي السؤال المتقدِّم أو الشبهة المتقدِّمة، فعدم التمييز بين أحكام النشأتين هو الذي أنتج تلك الشبهة.

مضافاً إلى ذلك إنّنا نعتقد أنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام القدرة على الإحاطة والحضور والشهود ليس فقط في تلك النشأة الأخرويّة، بل حتّى في هذه الدُّنيا، بدليل أنّهم يقفون على أعمال الخلائق في

آن واحد ولو كانوا في أماكن متعدّدة، أمّا كيفيّة هذا الحضور فليس من الضروري أن نقدر على الإحاطة والمعرفة بها، بل يكفي في ذلك الإيمان بالأصل الكلّي وهو أصل حضورهم عليهم السلام.

وللعلاّمة المجلسي أجوبة متعدّدة على هذه الشبهة نذكرها للإفادة، حيث قال: «فيمكن الجواب عن الأوّل (أي أنّ حضورهم عند الميّت خلاف الحسّ) بوجوه:

الأوّل: إنّ الله تعالى قادرٌ على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة، كما ورد في أخبار الخاصّة والعامّة في تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥)؛ أنّ الله تعالى أخفى شخص النبيّ صلى الله عليه وآله عن أعدائه، مع أنّ أولياءه كانوا يرونه، وإنكاره يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

الثاني: إنّه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثاليّ لطيف لا يراه غير المحتضر، كحضور ملك الموت وأعوانه، وسيأتي الأخبار في سائر الموتى أنّ أرواحهم في البرزخ تتعلّق بأجساد مثاليّة، وأمّا الحيّ من الأئمّة عليهم السلام فلا يبعد تصرّف روحه لقوّته في جسد مثاليّ أيضاً.

الثالث: إنّه يمكن أن يخلق الله تعالى لكلٍّ منهم مثالاً بصورته وهذه الأمثلة يكلِّمون الموتى ويبشّرونهم من قبلهم عليهم السلام كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل.

الرابع: إنّه يمكن أن يرتسم صورهم في الحسّ المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلّم معهم كما في المبرسم.

الخامس: ما ذكره السيّد المرتضى وهو أنّ المعنى أنّه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم؛ لأنّ المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه

على أنّه من أهل الجنّة، وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنّه من أهل النار، فيكون حضورهم وتكلّمهم استعارة تمثيليّة، ولا يخفى أنّ الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار، بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار، وطعن في الآثار.

وأمّا الجواب عن الوجه الثاني فبأنّه إنّما تتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتّفاق، ومحض الإمكان لا يكفي في ذلك، مع أنّه إذا قلنا بأنّ حضورهم في الأجساد المثاليّة يمكن أن يكون لهم أجساد مثاليّة كثيرة؛ لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة التي بها امتازوا عن سائر البشر.

وفي الوجوه الثلاثة الأخيرة على تقدير صحّتها اندفاع هذا الإيراد ظاهر، والأحوط الأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها، وعدم التعرّض لخصوصيّاتها وتفاصيلها وإحالة علمها إلى العالم عليه السلام.. والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم(١).

الاحتضار أمِن عالم الدُّنيا أم الآخرة؟

حالة الاحتضار وسكرات الموت هي تلك اللحظات التي يعيشها الإنسان مودّعاً فيها عالم الدُّنيا، ويترك فيها المال والولد... ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو أين يقع تصنيف هذه اللحظة؟ أمن لحظات الدُّنيا هي أم الآخرة؟

في الواقع سيأتي لاحقاً أنّ الدُّنيا نشأة، والحشر نشأة، وبين الدُّنيا والحشر الأكبر ثمة نشأة أخرى نصطلح عليها بعالم البرزخ، لها أحكامها الخاصّة. ولكنّ سكرات الموت ليست هي من عالم البرزخ ولا هي من عالم

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٠١.

الدُّنيا، وإنّما هي برزخ بين الدُّنيا وبين البرزخ، بمعنى أنّ فيها بعض الأحكام المرتبطة بعالم الدُّنيا وبعض الأحكام المرتبطة بعالم البرزخ.

وهذه التمثّلات من حضور الملائكة ومخاطبتها للمحتضر، ومن الراحة أو الألم الذي يمرّ على العبد، أو رؤية النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام ونحوها هي أمور مرتبطة بذلك العالم الذي هو بين الدُّنيا والبرزخ.

أمّا عندما نأتي إلى هذا الإنسان المحتضر فلعلّنا نجد أنّ الحياة لم تفارقه بعد، وبعبارة أخرى اصطلاحيّة: إنّ الحياة النباتيّة والحيوانيّة ما زالت موجودة فيه.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ملامح هذه النشأة في آياته الكريمة ومنها: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ (القيامة: ٢٦ ـ ٢٩).

فهذه إشارة إلى سكرات الموت، والإنسان فيها ما يزال موجوداً في هذه النشأة (الدُّنيا)، ولعلّ العين ترى، والأُذن تسمع... ولكنّها لا تلتفت ولا تجيب، لذا أنت تتكلّم مع المحتضر الذي يعاني سكرات الموت، ولكنّك تجده مشغولاً عنك.

لذا نستطيع القول وبجملة واحدة: إنّ العبد في سكرات الموت يعيش حالة برزخيّة بين البرزخ والدُّنيا، يعني أنّه ـ إن صحَّ التعبير ـ واضع لقدم في الدُّنيا، وأخرى في البرزخ.

وهذا ما عبّرت عنه الرواية المرويّة عن الإمام الصادق عليه السلام بأنّه أوّل منازل الآخرة وآخر منازل الدُّنيا.

المبحث السادس

الروح الإنسانيّة

- الإنسان في المنظور الإسلامي
- منشأ النفس أو الروح الإنسانيّة
- الدليل القرآني على كون الروح جسمانيّة الحدوث
- تجرّد الروح الإنسانيّة
- المراد من المادّي والمجرّد
- شواهد نقليّة أخرى
- النفس والروح
- مراتب النفس والروح في القرآن

الإنسان في المنظور الإسلامي

تعتقد النظرية المادّية أنّ الإنسان موجود مادّي من اللحظة التي انعقدت فيها نطفته في رحم أُمّه إلى حين خروجه إلى هذا العالم والكون الرحب، وهو يتكامل في حياته من صباه إلى بلوغه ثمّ إلى شيخوخته وهرمه حتّى يوافيه الموت.

وهذه النظرة نظرة مادّية بحتة وصرفة؛ لأنّ الإنسان وفقاً لها لا يعلم من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين ينتهي؟ وبالتالي فإنّه مهما أعمل ذهنه وعقله للوصول إلى الإجابة عن هذه الأسئلة فلن يستطيع أن يجد لها حلولاً في الرؤية المادّية.

أمّا النظرة الإسلاميّة فهي تذهب إلى خلاف ذلك حيث ترى أنّ الإنسان موجود مركّب من بعدين كما عرفت؛ من جسم وروح، بدن ونفس... إلى غير ذلك من التعابير.

فالإنسان واحد متكامل، وليس فيه تركيب، وحقيقته هي الروح التي تستخدم البدن لقضاء حاجاتها، حيث ترى بالعين، وتسمع بالأذن، والرائي والسامع الحقيقي هي الروح التي تستخدم هذه الأعضاء من أجل إدراك الواقع.

وأشار الفلاسفة الإسلاميّون إلى براهين وحجج كثيرة للدلالة على تجرّد النفس، ومنها هاتان الآيتان الكريمتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون:١٢ـ ١٤).

وقد استدلّ الرازي بهذه الآية على إثبات أنّ النفس ليست بجسم، فقال: «**الحجّة الثالثة:** أنّه تعالى ذكر مراتب الخلقة الجسمانيّة فقال: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ...﴾ إلى قوله: ﴿فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ﴾ ولا شكّ أنّ لجميع هذه المراتب اختلافات واقعة في الأحوال الجسمانيّة، ثمّ إنّه تعالى لمّا أراد أن يذكر نفخ الروح قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾ وهذا تصريح بأنّ ما يتعلّق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيّرات الواقعة في الأحوال الجسمانيّة وذلك يدلّ على أنّ الروح شيءٌ مغاير للبدن...»[1].

فالله تعالى من خلال قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾ يصف هذه المرحلة من خلقة الإنسان بخلق آخر، ويختلف عمّا سبق من مراتب الخلقة، وما هذا إلاّ لوجود اختلاف جوهريّ بين تلك المرحلة وما سبقها من المراحل، فالمراحل الأولى تصوّر الإنسان بأنّه موجود مادّي أشبه بموجود حيّ له حركة طبيعيّة، ولكنّه بعد طيّه لتلك المراحل يصل إلى مرحلة تعلّق الروح به، وفي هذه المرحلة تتبدّل المادّة إلى خلق آخر، وهذا إن دلَّ على شيء فإنّما يدلّ على امتياز تلك المرحلة عن سائر المراحل وليس هو إلاّ تجرّد روحه ونفسه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (السجدة: ١٠).

وفي الآية إشارة إلى شبهة منكري المعاد، وحاصلها: أنّ الموت سببٌ لتفسّخ أعضاء البدن واندثار رميمه في أطراف العالم وأكنافه، وهو يلازم

---

(١) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق: ج ٢١ ص ٥١.

انحلال شخصيّته، ومعه كيف يمكن إعادته ولو بجمع أجزاء بدنه المبعثرة في أصقاع العالم، فإنّ اجتماع الأجزاء المتفرّقة لا يعيد شخصيّته الأولى، بل يضفي عليه شخصيّة جديدة، وهي ليست المسؤولة عن أعمال الإنسان الذي انحلّت شخصيّته.

والجواب عن هذه الشبهة ورد في الآية التالية: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١)، ومفاد الآية: أنّ واقع الإنسان ليس هو البدن المتفرّقة أجزاؤه، بل واقعه أمرٌ محفوظ، وهو الذي يأخذه ملك الموت ويرجعه إلى ربّه، وهو شيء لا يمسّه الانحلال ولا التغيّر ولا التبدّل، فما يتبدّل أو يتغيّر ليس هو واقع الإنسان، وما هو واقع الإنسان فهو في معزل عن التفرّق والانحلال؛ يقول تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر: ٤٢)، أي أنّ الله يأخذ الأنفس حين موتها، وفيما نحن فيه من الآية ينسب التوفّي وأخذ الروح إلى ملك الموت ويرجعه إلى ربّه، ولا تنافي بين النسبتين ـ كما مرّ في الأبحاث السابقة ـ والآية بصراحتها تكشف عن أنّ موت البدن ليس موت الإنسان، بل الإنسان باقٍ بعد الموت يتوفّاه ملك الموت ويحتفظ به إلى قيام الساعة.

وبهذا يتبيّن أنّ الرؤية الإسلاميّة حيال خلقة الإنسان هو أنّه كائن علويّ روحيّ باقٍ بعد الموت عبر القرون إلى يوم القيامة، وأنّ الحياة لا تنقطع بالموت، وإنّما تمتدّ بنشأة أخرى وهي الحياة البرزخيّة، ثمّ الحياة الأخرويّة، فكما أنّ هناك عوامل تسعد الإنسان أو تشقيه في الدُّنيا، فكذلك الحال في الآخرة[1].

---

(١) راجع: **رسالة في التحسين والتقبيح**، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ط١، ١٤٢٠هـ: ص ١٥١.

منشأ النفس أو الروح الإنسانيّة

ذكرنا في بعض أبحاثنا حول النفس الإنسانيّة أنّها من حيث المنتهى مجرّدة عن المادّة وقوانينها، والروح الإنسانيّة في مسيرتها الدنيويّة سوف تنتهي إلى عالم التجرّد.

وقد كثرت الأقوال في هذه المسألة وتعدّدت حتّى بلغت عند بعض ستّة وثلاثين قولاً، وعند بعض أربعين، وعند بعض آخرين مئة، وإن دلَّ هذا التعدّد على شيء فإنّما يدلّ على ما لهذه المسألة من أهمّية بالغة.

وعمدة الأقوال أربعة، وهي:

الأوّل: النفس جسمانيّة الحدوث روحانيّة البقاء.

الثاني: النفس جسمانيّة الحدوث والبقاء.

الثالث: النفس روحانيّة الحدوث والبقاء.

الرابع: النفس روحانيّة الحدوث جسمانيّة البقاء.

وقد اختار صدر المتألّهين وصاحب المنظومة القول الأوّل، ومعنى قولهم (النفس جسمانيّه): أي مادّية حكمها حكم الطبائع المنطبعة في المادّة، وأمّا معنى أنّ (النفس روحانيّة): أي مجرّدة، وبالتالي فالنفس على هذه النظريّة ووفقاً لهذا القول جسمانيّة الحدوث أي هي في ابتداء أمرها مادّية، وروحانيّة البقاء أي تتكامل إلى أن تنتهي إلى التجرّد والروحانيّة[(١)].

وبحثنا هو في الروح من حيث المبدأ ما هي؟ وليس من حيث المنتهى؛ لأنّه سيأتي في الأبحاث اللاحقة أنّ هناك معاداً للروح كما هو الحال بالنسبة

---

(١) راجع للتفصيل: **بحوث في علم النفس**، السيّد كمال الحيدري، بقلم عبدالله الأسد، دار فراقد، ط٤، قم، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م : مبحث غرر في النفس الناطقة، ص٧٤ وما بعدها.

إلى الجسم، فكما أنّ حقيقة الإنسان في هذه النشأة الدنيويّة مركّبة من بُعدين، كذلك في تلك النشأة الأخرويّة هي أيضاً مركّبة من بُعدين: بُعد مادّي وبُعد روحانيّ مجرّد.

فالإنسان هنا في عالم الدُّنيا شيء واحد في الحقيقة، ولكن تفصيل البحث هو في الحقيقة حول كون النفس والروح الإنسانيّة محكومة في كثير من الأحيان بقوانين الجسم والبدن، ولكن في النشأة الآخرة يكون الأمر بالعكس حيث يكون البدن ضيفاً على الروح، ويصبح محكوماً لقوانين الروح، وتفصيل ذلك سيأتي في بحث الحشر الأكبر يوم القيامة.

من هنا يطرح هذا التساؤل : ما هي حقيقة الروح الإنسانيّة من حيث المبدأ؟

توجد في هذه المسألة ثلاث نظريّات أساسيّة، وهي:

النظريّة الأولى: وهي النظريّة المعروفة بنظريّة المشّائين، وهم أولئك الذين يعتقدون بالعقل ومعطياته أوّلاً وأخيراً، والذي يمثّل هذا الاتّجاه هو أرسطو في عصور ما قبل الإسلام، وأمّا من يمثّل هذا الاتّجاه بشكل واضح وحاول أن يبني فلسفته على أساس مباني المشّائين في العصر الإسلامي فهو الفيلسوف ابن سينا.

ويعتقد أصحاب هذا الاتّجاه بأنّ الروح غير موجودة قبل تماميّة البدن، فمثلاً زيد من الناس قبل أن يكتمل بدنه وتوجد فيه قابليّة إفاضة الروح فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق روحاً لهذا البدن الخاصّ. نعم، بمجرّد أن كمُل هذا الموجود من الناحية المادّية ومن الناحية المرتبطة بالبُعد الطيني والمادّي خلق الله تعالى روحاً ليفيضها على بدن زيد أو عمرٍو أو بكر أو خالد.

فالخصوصيّة الأولى في هذه النظريّة أنّ الأرواح غير موجودة قبل الأبدان، وإنّما توجد مع وجود البدن.

والخصوصيّة الثانية في هذه النظريّة هي أنّ الله تعالى عندما يخلق هذه الروح ويفيضها على هذا البدن يخلقها محكومة من أوّل الأمر لقوانين التجرّد، فتكون مجرّدة عن المادّة وقوانينها، وهذا معنى قولهم إنّها (مجرّدة حدوثاً) أو أنّها (مجرّدة حدوثاً وبقاءً).

النظريّة الثانية: تتّفق هذه النظريّة مع النظريّة الأولى في الخصوصيّة الثانية، ويعتقد أصحابها بأنّ البدن عندما يكمل فإنّ الله تعالى يفيض روحاً عليه، وهذه الروح هي أيضاً مجرّدة عن المادّة.

ولكنّها تختلف عن النظريّة الأولى في الخصوصيّة الأولى، حيث يعتقد أصحاب النظريّة الثانية بأنّ الله تعالى خلق الأرواح البشريّة جميعها قبل أن يخلق أبدانهم. فعلى سبيل المثال إذا كان القرار الإلهي بأن يخلق في هذه الأرض عشر مليارات إنسان، فإنّه تعالى يكون قد خلق بعدد هذه الأبدان أرواحاً قبلها.

فهذه النظريّة تعتقد أنّ الأرواح موجودة قبل الأبدان، أمّا النظريّة السابقة فيرى أصحابها أنّ الأرواح توجد مع وجود الأبدان.

ومن هنا ذهب أصحاب النظريّة الثانية إلى القول بأنّ الأرواح قديمة، ولكنّها ليست قديمة بالذات كقِدَم الله تعالى، وإنّما هي قديمة بالغير.

وهذه النظريّة هي نظريّة إفلاطون ما قبل الإسلام، ونظريّة جملة من الفلاسفة أيضاً في العصر الإسلامي.

النظريّة الثالثة: وهي نظريّة صدر المتألّهين الذي يتّفق مع المشّائين بأنّ الأرواح ليست موجودة قبل الأبدان بل هي توجد مع وجود البدن، وبهذا

يختلف عن نظريّة إفلاطون، ولكن صدر المتألّهين اختلف عن المشّائين القائلين بأنّ الروح توجد في أوّل أمرها مجرّدة فخالفهم وذهب إلى القول بأنّها توجد مادّية في بداية أمرها وبعد ذلك تكون مجرّدة، وبهذا خالف أيضاً الإفلاطونيّين القائلين بأنّها من حيث الابتداء تبدأ مجرّدة.

وهذه هي النظريّة المعروفة بجسمانيّة الحدوث وروحانيّه البقاء، بمعنى أنّ الروح الإنسانيّة تبدأ من نشأة المادّة ثمّ تتكامل لتصل إلى نشأة التجرّد.

الدليل القرآني على كون الروح جسمانيّة الحدوث

لا يمكن لأحد أن يدّعي وجود الدليل القرآني على واحدة من النظريّات الثلاث المتقدّمة على نحو الجزم واليقين، وهكذا الحال بالنسبة إلى الاستدلال بالروايات. نعم المعصوم وحده يمكنه أن يدّعي ذلك لأنّه عالم حقيقة، بظاهر القرآن وباطنه، وتأويله وتفسيره، بل بكلّ معارفه.

فالنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام يمكنهم القول بأنّ مراد الآية كذا، أمّا لو تنزّلنا عن درجة ومرتبة المعصومين فإنّ الآراء تخضع لأبحاث الاجتهاد والاستنباط ولذلك تتعدّد الآراء والأقوال والنظريّات، والدليل على ما نقول هو أنّي قد أُقيم برهاناً قرآنيّاً أو روائيّاً على نظريّة ما، فيأتي في المقابل من لا يوافق على دليلي ويقدّم شاهداً مناقضاً لما أُقدّمه.

فغاية ما نقوله هنا في الدليل القرآني هو أنّه من باب الاستفادة القرآنيّة. وهنا ـ في الواقع ـ ظاهر القرآن يشير إلى النظريّة الثالثة حيث يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ...﴾ (المؤمنون: ١٢ـ ١٤) فالآية تشير إلى البُعد المادّي في الإنسان ثمّ تقول بعد ذلك ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ والضمير في «أنشأناه»

يعود على الجسم الذي مرَّ بعدّة مراحل ثمّ تحوّل إلى نشأة أُخرى، ولا يعني ذلك أنّه أُضيفت إليه نشأة أُخرى.

وبناءً على النظريّة الأولى والثانية فكلّ واحدة منهما ترى بأنّ الروح تنضمّ إلى البدن، لا أنّ البدن يتحوّل إلى أمر مجرّد.

وهناك فرق بين أن تُفاض الروح على البدن، وبين أن تنضمّ الروح إلى البدن! ومفاد الآية الكريمة أنّ الإنسان بدأ من مرحلة مادّية، وهي التي تحوّلت إلى خلق آخر بحسب تعبير القرآن ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾.

ولا يعني ذلك أنّ الآية تقول بأنّ حقيقة الإنسان هي المادّة، وإنّما هناك شيء وراء المادّة وهي الروح بحيث تتحوّل إليها المادّة.

وهذا التحوّل ليس على نحو التجافي، وإنّما على نحو التجلّي الصعودي، لا التجلّي النزولي، وبهذا يمكن أن نفهم علاقة هذا البحث وارتباطه بقضايا المعاد في القرآن، إذ إنّ الكلام هنا هو في مسيرة الإنسان التي تبدأ من الطين فيكون هناك روح، ثمّ تنتقل من نشأة إلى نشأة... إلى البرزخ، ثمّ من البرزخ إلى الحشر الأكبر، وهو الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

يبقى أن نشير إلى أنّ تحوّل الأمر المادّي إلى الأمر المجرّد يجري عن طريق أنّ النفس تبدأ جسمانيّة ومادّية ثمّ تتحوّل إلى حالة مجرّدة عن قوانين المادّة، وقانون التحوّل هو المعروف عند صدر المتألّهين بنظريّة الحركة الجوهريّة.

وبيان ذلك بالمثال: لو أخذنا قطعة من الفحم نرى أنّها سوداء ليس لها نور ولا ضياء ولا حرارة، وهذه القطعة إذا وضعناها إلى جانب النار فإنّها بعد فترة تتحوّل إلى جمر أحمر ولا يبقى فيها أيّ شيء من السواد.

فقطعة الفحم ضمن قوانين موجودة في عالم المادّة يمكنها أن تتحوّل إلى شيء آخر، وتختلف أحكامها عمّا كانت عليه قبل ذلك؛ لأنّها قبل وضعها

قرب النار كانت سوداء، باردة، لا نور فيها ولا ضياء، ثمّ صارت حمراء، حارّة.

فإذن يمكن لحقيقة من حقائق هذا العالم ضمن قوانين معيّنة أن تتحوّل من شيء إلى شيء آخر، وهذا التحوّل ليس في أمور خارجة عن ذاتها وعن حقيقتها، وإنّما هو تحوّل في باطن ذاتها.

ولكن ما هو معنى التحوّل في باطن ذاتها ؟ لتوضيح ذلك نقول إنّ التحوّل يكون على نحوين:

الأوّل: إنّ الجوهر والذات له حقيقة ثابتة ولكن أعراضها تتبدّل من حالة إلى أخرى، كالماء الذي له ذات وله أعراض تعرض عليه كالبرودة، وهذه لو زالت عن الماء يبقى الماء ماءً، وكذلك الحرارة تعرض على الماء وإذا زالت عنه يبقى الماء ماءً.

والتفّاحة تبدأ خضراء، ثمّ تكون صفراء، ثمّ تكون حمراء، فأعراضها كاللون والشكل والطعم والرائحة قد تتبدّل، ولكن الذات تبقى ثابتة.

الثاني: أن يقال إنّه ليس الأعراض فقط تتبدّل، وإنّما الذات أيضاً تتبدّل، وحقيقة الشيء وجوهره يتحوّل من شيء إلى آخر، والقطعة من الفحم تتحوّل من شيء إلى آخر.

والنفس الإنسانيّة بما لها من خصوصيّات، لها القدرة على أن تتحوّل من شيء إلى شيء آخر، وليس أعراضها ومظاهرها وظواهرها وأحكامها فقط هي التي تتحوّل، فهذه النفس الإنسانيّة صُمّمت وهُندست من قبل المهندس الحكيم العليم أنّها تملك القدره والقابليّه بإذن الله تعالى أن تتحوّل ذاتها من شيء إلى آخر.

وهذه هي الحركة الجوهريّة التي تدّعي أنّ النفس الإنسانيّة تملك قابليّة

وقدرة التحوّل، تماماً كما هو الحال في القطعة من الحجر التي لو نظرنا إليها بعد مائة سنة أو مائتين أو خمسمائة سنة وتوفّرت لها شروط معيّنة فإنّها تتحوّل وتكون عقيقاً، مع أنّ العقيق له حقيقة وخواصّ غير الخواصّ الموجودة في قطعة الحجر، وهنا تغيّرت الذات ولم يتغيّر فقط الشكل واللون ونحوهما.

وكذلك الأسمدة سواء كانت حيوانيّة أو كيمياويّة إذا وضعناها في التراب لتنمو بها الأشجار، فنفس هذا السماد الذي كان نجساً، وكان ذا رائحة كريهة، يتحوّل بعد زمان ليصبح وردة فيها رائحة زكيّة، فإنّها بذلك تتحوّل في ذاتها من شيء إلى آخر.

والنفس الإنسانيّة بهذه الحركة يمكن أن تتحوّل لتكون جنّة لا أنّها تدخل الجنة فقط، ولذا يقول القرآن الكريم: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (الواقعة: ٨٩). فهو في النشأة الآخرة يكون روحاً وريحاناً وجنّة نعيم، أو يكون قطعة من النار، وجمرة من نار جهنّم.

وما لم نقف على حقيقة نظريّة الحركة الجوهريّة والتحوّل الذاتي الموجود للنفس الإنسانيّة، وهذه الخصوصيّة المهمّة فيها، لا يمكن أن نفهم حقيقة الجنّة ولا حقيقة النار؛ لأنّنا في تصوّرنا للجنّة نعتقد أنّها عبارة عن بستان يدخل إليه الإنسان، ونتصوّر النار على أنّها حفرة يُرمى الإنسان فيها، والبيانات القرآنيّة والأدلّة العقليّة تثبت أنّ الإنسان ذاته تتحوّل من شيء إلى شيء آخر، فيكون بحقيقته إمّا جنّة ودرجة من درجاتها، وإمّا نار ودركة من دركات الجحيم.

وبهذا البيان يظهر الفارق ما بين الأنبياء والأولياء والأوصياء والمؤمنين والمتّقين، وبين الكفّار والفسّاق والملحدين والمشركين، إذ إنّ الفارق ليس

فارقاً عرضيّاً، أو فارقاً في الأمور الخارجة عن الذات، وإنّما هو فارق جوهريّ، ذاتيّ. فذات النبيّ صلى الله عليه وآله وحقيقته شيء، وحقيقة الملحد والمشرك شيءٌ آخر، وليس الفارق بينهما كالفارق بين الماء البارد والماء الحار، فكلاهما يشتركان في المائية، ولكن أحدهما له صفة البرودة والآخر صفة الحرارة، وهذه الصفات يمكن رفعها وإزالتها.

وسائل تغذية الروح

من الأبحاث المهمّة هنا بيان طريق التحوّل من شيء إلى شيء آخر. بمعنى أنّه كيف يمكن أن تتحوّل الروح والنفس الإنسانيّة التي بدأت مادّية وجسمانيّة لتكون بعد ذلك ما فوق المادّة وما فوق الجسم؟

إنّ الذي يغذّي ويحوّل النفس الإنسانيّة تحوّلاً كيفيّاً لا كمّياً من مرحلة إلى أخرى هو العلم والعمل، بشرط أن يكون العلم حقّاً والعمل صالحاً والكلم طيّباً لأنّه هو الذي يُرفع إلى الله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠). أمّا إذا كان الاعتقاد باطلاً وفاسداً، والعمل سيّئاً فبطبيعة الحال لا يؤدّي ذلك بالإنسان إلاّ إلى دركات الجحيم.

بيد أنّ هذا الانتقال ـ باعتبار أنّه انتقال وتحوّل غير مرتبط بنشأة المادّة ـ لا يمكن معرفة زمان وقوعه؛ فهو انتقال من نشأة إلى أخرى، وتعيين الزمان إنّما يكون في موضع إذا كان المنتقل والمنتقل إليه كلاهما في عالم المادّة. أمّا إذا افترضنا أحدهما من عالم المادّة والآخر من غير عالم المادّة، فلا معنى حينئذ لتعيين زمان محدّد لهذا التحوّل والانتقال.

وكذلك تختلف مرحلة التحوّل لدى الناس، فالبعض يجري لهم ذلك في بطون أُمّهاتهم؛ لأنّ إفاضة النفس تكون في تلك المرحلة، وهكذا...

تجرّد الروح الإنسانيّة

في بداية هذا البحث لابدّ من التذكير بنقطتين أساسيّتين أشرنا لهما سابقاً وهما:

النقطة الأولى: إنّ الموت عندما يطلق عند العرف يُراد به انعدام آثار الحياة، فالشيء تكون فيه آثار الحياة من العلم والقدرة والإرادة والإدراك والشعور، ثمّ تنعدم هذه الآثار ـ التي ترتبط بالموت ـ.

ونحن ذكرنا بأنّ هذا الموت هو للبدن بحسب الاصطلاح القرآني والنصوص الروائية، أمّا بالنسبة للروح فليس الأمر كذلك، لأنّ الموت بالنسبة للروح هو انتقالها من دار إلى دار.

النقطة الثانية: إنّ الموت بالمعنى العرفي يختصّ بالبُعد المادّي للإنسان أي ببدنه وجسده (وهو كما قلنا انعدام آثار الحياة في هذا الجسد)، أمّا الروح فلا يشملها هذا النوع من معنى الموت.

والنقاط المتعلّقة بحقيقة الموت وكونه للروح أم للبدن يتوقّف فهمها على حقيقة الروح، وأنّها من سنخ البدن أم أنّها شيءٌ آخر وراء البدن؟

وبتعبير آخر اصطلاحي: هل الروح أمرٌ مرتبط بنشأة المادّة والطبيعة، أم أنّ حقيقتها شيءٌ ما وراء المادّة، وهو الذي يصطلح عليه الفلاسفة بالمجرّد؟

المراد من المادّي والمجرّد

عندما نطلق على أمر ما أنّه مادّي أو مجرّد فماذا نريد من ذلك؟ وكيف نميِّز بين هذين السنخين من الوجود ؟

فمثلاً نحن نعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى ليس بجسم وليس بمادّي،

وكذلك الملائكة، وهذا ما يصطلح عليه القرآن الكريم بعالم الغيب والملكوت، في هذه الأمور كلّها ما هي الفوارق الأساسيّة بين الأمور المادّية المرتبطة بنشأة المادّة والطبيعة وعالم الشهادة وبين الأمور المجرّدة عن المادّة، أو ما يصطلح عليها بأنّها أمور تتعلّق بها وراء الطبيعة وما وراء المادّة، أو ما قبل الطبيعة حسب اختلاف الاصطلاحات ؟

يمكن ذكر فوارق أساسيّة هي:

الأوّل: أنّ المادّي يقبل الانقسام والتجزئة، أمّا المجرّد فلا يقبلها.

ومثاله الورقة الواحدة التي يمكن تجزئتها وتقسيمها إلى قطعتين فتصير ورقتين، وكذلك الماء الواحد إذا جزّأناه ووضعناه في إنائين. فالأمور المادّية عموماً تقبل التجزئة والتقسيم، أمّا الأمر المجرّد فلا يقبل هذه الحالات.

الثاني: أنّ المادّي يقع في الزمان والمكان بمعنى أنّ له زماناً ومكاناً ـ بغضّ النظر عن معنى المكان عند العرف وعند الفلاسفة.

ومثاله: إنّي عندما أجلس في هذا المكان فبطبيعة الحال لا يستطيع شخص آخر أن يأتي ويجلس في نفس هذا المكان، لأنّ المكان إذا امتلأ بشيء لا يقبل أن يمتلئ بشيء آخر، وكذلك في ما يتعلّق بالزمان لأنّ الأشياء المادّية لها زمان معيّن ولذا نقيسها بأزمنة معيّنة.

وهناك فرق بين الزمان الفلسفي والزمان العرفي، فعندما نقول دقيقة أو دقيقتان أو ثلاث، فهذا هو الزمان الاجتماعي والعرفي، وهذا كلّه بالنسبة إلى الأمور المادّية، أمّا الأمور المجرّدة فهي فوق الزمان والمكان، ولذا ورد في الأحاديث أنّ الله تعالى ليس عنده صباح ومساء لأنّه فوق الزمان والمكان، ولا أين له، وهو الذي أوجد المكان والزمان.

الثالث: إنّ الأمور المادّية تقبل التكامل والخروج من نقص إلى كمال،

أمّا الأمور المجرّدة فليست كذلك، إذ إنّ بدأها وحشرها على شيء واحد، فالإنسان يبدأ طفلاً صغيراً ثمّ يكبر ثمّ يبلغ ثمّ يشيب وهكذا...، والله تعالى يقول في هذه النشأة: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ (النحل: ٧٨)، ولكن أعطاه الله عزّ وجلّ القدرة على التعلّم والسمع والبصر و...

بعد الذي تقدّم يأتي هذا التساؤل: إنّ الروح الإنسانيّة التي عبَّر عنها القرآن الكريم بـ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ أهي مرتبطة بنشأة المادّة، فتكون محكومة بأحكام المادّة وقوانينها ونشأتها، أم هي مرتبطة بنشأة أخرى، ومرتبطة بما وراء الطبيعة حيث يكون لها أحكام ما وراء الطبيعة؟

في أبحاثنا حول علم النفس الفلسفي ذكرنا عشرات الأدلّة العقليّة والفلسفيّة التي تثبت تجرّد الروح الإنسانيّة[1].

وهنا نحاول الوقوف على بعض الأدلّة المرتبطة بالبحث القرآني ونذكر بعض الشواهد من الآيات القرآنيّة الدالّة على تجرّد الروح:

الآية الأولى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ (السجدة: ١٠).

من أهمّ شبهات الكفّار المنكرين للمعاد، وسبب ضلالهم ـ كما هو صريح القرآن الكريم ـ : أنّ الأبدان سوف تُبلى وتتبعّض وتتجزّأ، ثمّ تكون ذرّات تنتشر كالتراب وهكذا... فأجزاء الإنسان سوف تضيع وتضلّ، وحينئذ ـ بحسب قول الكفّار ـ كيف يمكن أن تُعاد هذه الذرّات التي

---

(١) راجع **بحوث في علم النفس الفلسفي**، السيّد كمال الحيدري، بقلم عبدالله الأسعد، دار فراقد، قم، ط٤، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م : ص ٩٥، وما بعدها (غرر في ذكر الأدلّة على تجرّد النفس الناطقة).

انتشرت في كلّ مكان فترجع إلى خلق جديد؟ وهذه الخلايا والأجزاء صارت في بدن إنسان آخر، وفي بدن حيوان أو نبات، فكيف يتعقّل إعادتها؟

هذه النقطة أشار إليها القرآن الكريم أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وجواب القرآن الكريم لهؤلاء عن شبهتهم قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١).

والتوفّي في اللّغة هو أخذ الشيء كاملاً، يُقال وفيت بديني أو أخذت ديني أي وفيت الدَّين وأعطيته كاملاً.

وهنا لسان حال القرآن الكريم: أيّها الكافرون لا لن يضلّ منكم أيّ شيء لأنّ ملك الموت يتوفّاكم ويأخذكم بالكامل من دون نقصان، وحقيقتكم هي شيء وراء هذا البدن الذي تفرّق وضاع في هذه الأرض.

ولو كانت الروح أيضاً أمراً مادّياً لضاعت كما ضاع البدن، وبهذا نثبت أنّ الروح أمر مجرّد لا مادّيّ كالبدن.

قال الطباطبائي معلقاً على هذه الآية: «ذكر سبحانه شبهة من شبهات الكفّار المنكرين للمعاد، وهو أنّا بعد الموت وانحلال تركيب أبداننا تتفرّق أعضاؤنا، وتبدّد أجزاؤنا، وتتبدّل صورنا فنضلّ في الأرض، ويفقدنا حواسّ المدركين، فكيف يمكن أن نقع ثانياً في خلق جديد؟

وقد لقّن تعالى رسوله: الجواب عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾.

وحاصل الجواب: أنّ هناك ملكاً موكّلاً بكم هو يتوفّاكم ويأخذكم، ولا يدعكم تضلّوا وأنتم في قبضته وحفاظته، وما تضلّ في الأرض إنّما هي أبدانكم لا نفوسكم التي هي المدلول عليها بلفظ (كم) فإنّه يتوفّاكم».(١)

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥).

الروح ـ على ما يُعرف في اللغة ـ هو مبدأ الحياة الذي به يقوى الحيوان على الإحساس والحركة الإرادية. ويظهر من كلامه تعالى أنّ من الروح:

- ما هو مع الملائكة كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ (النحل: ٢).

لذا ورد عن سعد الإسكاف قال: «أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح، أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «**جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل**»، فكرّر ذلك على الرجل فقال له: لقد قلت عظيماً من القول، ما أحد يزعم أنّ الروح غير جبرئيل. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّك ضالّ تروي عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ والروح غير الملائكة**».(٢)

- ومنه ما هو منفوخ في الإنسان عامّة؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ (السجدة: ٩)، وقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (الحجر: ٢٩)، (ص: ٧٢).

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٥١.

(٢) **الأصول من الكافي**، مصدر سابق: كتاب الحجة، باب الروح التي يسدّد الله بها الأئمة، الحديث ٦، ج ١ ص ٢٧٤.

• ومنه ما ما هو مع المؤمنين، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (المجادلة: ٢٢) ويُشعر به بل يدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ (الأنعام: ١٢٢) فإنّ المذكور في الآية حياة جديدة والحياة فرع الروح.

• ومنه ما نزل إلى الأنبياء عليهم السلام كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ (البقرة: ٨٧) وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢) وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ (الشعراء: ١٩٣ـ ١٩٤).

• ومنه ما تُشعر به الآيات التي تذكر أنّ في غير الإنسان من الحيوان حياة، وأنّ في النبات حياة، والحياة متفرّعة على الروح ظاهراً.

والحاصل أن المستفاد من الآيات ـ بشكل عامّ ـ أنّ الروح خلق من خلق الله، وهو حقيقة واحدة ذات مراتب ودرجات مختلفة.

من هنا وقع الكلام بين الأعلام عن حقيقة الروح، وكيف عرّفها القرآن الكريم؟

والجواب: إنّ القرآن أفاد أنّ الروح من أمره تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (الإسراء: ٨٥)، ثمّ عرّف الأمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(يس: ٨٢ـ٨٣) أي أنّ الروح من الملكوت، وأنّها كلمة «كن».

ثمّ عرف الأمر بتوصيفه بوصف آخر بقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾ (القمر: ٥٠) حيث شبّه أمره ـ بعد عدّه واحدة ـ بلمح بالبصر، وهذا النوع من التشبيه لنفي التدريج، وبه يعلم أنّ في الأشياء

المكوّنة تدريجاً الحاصلة بتوسط الأسباب الكونية المنطبقة على الزمان والمكان، كما هو الحال في بدن الإنسان المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾ (المؤمنون: ١٢ـ١٤) أنّ وراء ذلك جهة معرّاة عن التدريج، خارجة عن حيطة الزمان والمكان، هي من تلك الجهة أمره وقوله وكلمته.

وبهذا يتّضح أنّ الأمر الإلهي، هو كلمة الإيجاد وهي فعله تعالى المختصّ به الذي لا تتوسط فيه الأسباب ولا يتقدّر بزمان أو مكان وغير ذلك. ومعنى ذلك أنّ الأمر ـ ومنه الروح ـ شيء غير جسمانيّ ولا ماديّ، فإنّ الموجودات المادية الجسمانية من أحكامها العامّة أنّها تدريجية الوجود، مقيّدة بالزمان والمكان.

إذن فالروح التي للإنسان ليست بمادّية جسمانية ـ ولو بقاءً ـ وإن كان لها تعلّق بالمادّة مادامت في هذه النشأة الدنياوية. فهي في أوّل وجودها عين البدن (بناءً على نظرية جسمانية الحدوث) ثمّ تمتاز بالإنشاء منه وتستقلّ عنه بالكلية بقاءً (بناءً على نظرية روحانية البقاء) ثمّ تنقطع العلقة بالبدن بالموت.

ممّا تقدّم يتّضح أن قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ السؤال إنما هو عن حيثيّة مطلق الروح الوارد في كلامه سبحانه، وأنّ الجواب مشتمل على بيان حقيقة الروح وأنّه من سنخ الأمر بالمعنى الذي تقدّم.

وأمّا قوله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي ما عندكم من العلم بالروح الذي آتاكم الله ذلك قليل من كثير، فإنّ له موقعاً في الوجود وخواصّ وآثاراً في الكون بحجية بديعة، أنتم عنها في حجاب». [1]

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٣ ص ١٩٨.

إذن فالبدن مرتبط بنشأة والروح بنشأة أخرى، وهي خلق وراء خلق المادّة والبدن. لذا فإنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد أن نفخ فيه الروح ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٢٩) أي إنّما استحقّ آدم السجود لا لكونه بدناً عنصريّاً ماديّاً، بل لأنّه فيه نفخة من الروح الإلهية المرتبطة بالأمر الإلهي.

من هنا ذكرنا مراراً أنّ بموت البدن تنعدم تلك الآثار التي كانت له عند الحياة، أما الروح فإنّها بالموت لا تنعدم آثار الحياة فيها وإنّما تنتقل من نشأة إلى نشأة أخرى.

شواهد نقلية أخرى

ساق صدر المتألهين عدداً من الشواهد النقلية لتجرّد النفس، وصرّح بأنّ الدافع له لسوق هذه الشواهد أمران:

الأول: رعاية لأنس طبقة من الناس بمثل هذه الشواهد، التي هي عبارة عن آيات وروايات وأقوال لحكماء الإلهيين، فهذه الطبقة من الناس تنتفع أكثر ما تنتفع بالسمعيات لا بالعقليات.

الثاني: «حتّى يُعلم أنّ الشرع والعقل متطابقان في هذه المسألة كما في سائر الحكميّات» لا كما يخطر في بال البعض من أنّ الفلسفة في وادٍ والشرع في وادٍ آخر، بل إنّما يُراد للفلسفة أن تكون في خدمة الشرع، «وحاشى الشريعة الحقّة الإلهيّة البيضاء أن تكون أحكامها مصادمة للمعارف اليقينيّة الضروريّة، وتبّاً لفلسفة تكون قوانينها غير مطابقة للكتاب والسنّة»[١].

واعلم أنّ هذه الشواهد التي نسوقها على المطلوب إنّما هي شواهد استللناها من كتاب الأسفار، مع شيء من التعليق والتوضيح بما يتناسب

---

(١) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، مصدر سابق: ج ٨ ص ٣٠٣.

مع مقام هذه الأبحاث.

أوّلاً: شواهد من الكتاب

• **الشاهد الأوّل**: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٥).

فإذا ضممنا إليه قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (يس: ٨٣) ينتج أنّ الملكوت ليس أمراً مادّيّاً؛ لأنّه متقوّم بيده التي ليست بجسم ولا جسماني، فيكون المدرِك الذي يرى الملكوت المجرّد أمراً مجرّداً كذلك؛ إذ لا معنى لإدراك أمر مادّي لأمر غير مادّي سيّما وإنّ العلم والإدراك هو حضور المدرَك للمدرِك، إذن فالرؤية للملكوت ليست رؤية مادّية وإنّما هي رؤية تتناسب مع نشأة المرئي، ورؤية الملكوت هذه ليست حكراً على الأنبياء كإبراهيم عليه السلام، بل الطريق مفتوح أمام الكلّ، غير أنّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ـ سيّما النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله ـ قد بلغوا من هذه الرؤية مبلغاً لا يصل إليه أحدٌ غيرهم.

• **الشاهد الثاني**: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ * ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ... ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ...﴾ (المؤمنون: ١٢ـ ١٤).

محلّ الشاهد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾ فإنّ التعبير بالإنشاء بدل الخلق يدلّ على حدوث أمر حديث غير ما كان في العمليّات التي تواردت عليه سابقاً، حيث إنّ مورد العمليّات من خلق وجعل وإنشاء هو شيءٌ واحد على ما يُفهم من السياق، والذي يؤكّد ذلك أكثر هو وصف هذا المخلوق المنشأ إنشاءً بالآخر «أي بُدِّل وهو مادّة ميّتة جاهلة عاجزة موجوداً ذا حياة وعلم وقدرة... فهو تلك المادّة السابقة فإنّها التي صارت إنساناً، وليس بها؛ إذ لا يشاركها في ذات ولا صفات، وإنّما له نوع اتّحاد وتعلّق بها

يستعملها في سبيل مقاصدها استعمال ذي الآلة للآلة كالكاتب للقلم»[١].

• **الشاهد الثالث**: قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠) فإنّ الاعتقاد هو الكلم الطيّب بقرينة العمل الذي يرفع هذا الاعتقاد، بالإضافة إلى ما هو ثابت في الحكمة المتعالية من اتّحاد العلم والعالم، فإنّ صعود الاعتقاد الذي هو علم هو صعود للمعتقد به الذي هو العالم لاتّحاده به، وهذا الصعود ليس مادّياً مكانيّاً بل هو صعود ما وراء المادّة، فالإنسان صاعداً كان أو نازلاً فهو في مكانه لا يبارحه. وأمّا بناءً على ما هو المشهور من أنّ العلم كيف نفساني متقوّم بموضوع لعرضيّته فإنّه لا يصعد من دون موضوعه وهو العالم.

إذن هناك صعود للعالم تبعاً لصعود علمه، وهو ليس صعوداً مادّياً كما تقدّم، بل هو معنوي، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٧)، فليس المقصودُ بالرفع الرفعَ المادّيَّ المكانيَّ إذ لا ملازمة بين ارتفاع المكان وارتفاع المكانة وبالعكس، بل المقصود به الرفعة المعنويّة، والصعود يكون معنويّاً إذا كان الصاعد كذلك، فالمعتقد الصاعد بصعود معتقده المعنوي لابدّ أن يكون معنويّاً أيضاً.

ثانياً: شواهد من السنّة

أشارت النصوص الروائيّة إلى مسألة تجرّد النفس من خلال تعريف الإنسان بنفسه وأنّها وسيلته للتكامل والرقيّ في درجات القُرب الإلهي، وهذا يحتّم عليه أن يحرص عليها ويهتمّ بها وأن لا يفرّط بها لأنّها سفينة فلاحه إن أراد الفلاح، وهي العدوّ الذي يتربّص به ويتحيّن الفرصة لنهشه وتمزيقه بمخالب الأخلاق الرذيلة والصفات الكدرة، إذن هذا الموجود

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٥ ص ٢١.

الذي بين جنبي الإنسان يلعب دوراً خطيراً ومصيريّاً بالنسبة له. فلا يليق والحال كذلك أن يغفل عنه، بل لابدّ من الإيغال كثيراً في معرفة أحواله وشؤونه للوقوف جيّداً على ما يصلحه وما يفسده، لذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه**»[١] فإنّ معرفة النفس باب يفضي إلى معرفة الربّ جلّ وعلا «فمن عرف نفسه بأنّه خلقها تعالى مثالاً له ذاتاً وصفةً وفعلاً،... يعرف أنّها مجرّدة عن الأحياز والجهات والأزمنة والأوضاع ونحوها، وأنّها لا داخلة في البدن ولا خارجة عنه...»[٢].

وكلّما تعمّقت معرفة الإنسان بنفسه ازدادت معرفته بربّه عمقاً واتّساعاً؛ لذلك قال صلى الله عليه وآله: «**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه**»[٣]، فلا يمكن للمادّي أن يكون وسيلة لمعرفة ما هو مجرّد ذاتاً وفعلاً وصفةً.

• ومن الروايات التي تؤيّد التجرّد قوله صلى الله عليه وآله: «**لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه مَلَكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل**»[٤]، هذه المعيّة التي له صلى الله عليه وآله مع الله عزّ وجلّ معيّة لا شكّ خاصّة لا تكون إلاّ بينه وبين الله عزّ وجلّ، بخلاف المعيّة العامّة حيث إنّ الله مع كلّ شيء مادّيّاً كان أم مجرّداً ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤) فهي المعيّة القيّوميّة العامّة في قِبال المعيّة الخاصّة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

ولابدّ في المعيّة من المسانخة بين المَعَيْن، والله تعالى مجرّد فيكون مَن معه مجرّداً تجرّداً يتناسب مع هذا المقام الخاصّ؛ إذ التجرّد الذي يُراد إثباته

---

(١) **ميزان الحكمة**، محمد الريشهري، قم، دار الحديث، ١٩٩٦م: الحديث ٢٥٩٨، ج٣.

(٢) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**: حاشية السبزواري، رقم ٢، ج ٨ ص ٣٠٥.

(٣) **روضة الواعظين**، الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم: ص ٢٠.

(٤) **بحار الأنوار**، الحديث٦٦، ج١٨ ص٣٦٠.

للنفس ليس على وتيرة واحدة كما تقدّم غير مرّة، فلو كانت نفسه صلى الله عليه وآله موجوداً ماديّاً فلا تكون معيّته هذه خاصّة، مع أنّه صلى الله عليه وآله في مقام إبراز ما له من مقام خاصّ مع الله تبارك وتعالى ليس لغيره.

• ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «**أبيتُ عند ربّي يُطعمني ويُسقيني**»[١]، هذه العنديّة ليست مادّية لأنّه تعالى منزّه عن المادّة ذاتاً وفعلاً وصفةً، فالذي يكون عنده عنديّة خاصّة يكون كذلك لكن بحسب حاله.

• ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «**قلب المؤمن عرش الرحمن**»[٢]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن**»[٣]. ولا شكّ أنّ عرش الله تعالى وأصابعه ليست مادّية فكذلك قلب المؤمن.

• ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «**خلق الله الأرواح قبل الأبدان بألفي عام**»[٤] فللروح نحو وجود يختلف عن وجود البدن، وفيه أنّه يمكن أن يُقال: إنّ الله تعالى خلق الأرواح مادّية ثمّ ارتبطت بالأبدان بعد ألفي عام.

• ومنها قول الإمام عليّ عليه السلام حين سأله حَبر من الأحبار: هل رأيت ربّك حين عبدته؟ فقال عليه السلام: «**ويلك ما كنتُ أعبدُ ربّاً لم أرَه**»[٥] أو قوله: «**ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان**»[٦]، حيث يُعلم منه أنّ هذه الرؤية مجرّدة لأنّ المرئي غير مادّي، إذ لا يرى الرائي المادّيُّ المرئيَّ المجرّد.

---

(١) **عوالي اللآلي**، ابن أبي جمهور الأحسائي، مطبعة سيد الشهداء، قم: ج٢ ص٢٣٣.

(٢) **بحار الأنوار**: ج٥٥، ص٣٩.

(٣) **عوالي اللآلي**: ج١ ص٤٨.

(٤) **بصائر الدرجات**، محمد بن الحسن الصفّار (ت: ٢٩٠هـ)، الأعلمي، طهران: ص١٠٨.

(٥) **الأصول من الكافي**: باب في إبطال الرؤية، الحديث٦، ج١ ص٩٨.

(٦) المصدر نفسه، الحديث ٥.

• ومنها قوله عليه السلام لِمَن رآه يعالج كسرة خبز يابس فلا تنكسر وقد قلع باب خيبر: «**والله ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانيّة ولكن قلعته بقوّة ربّانيّة**»[١] أي لم تكن تلك القوّه من عالَم الأجسام بدليل المقابلة بين الربّانيّة والجسمانيّة، فصاحب تلك القوّة يكون ربّانيّاً لا جسمانيّاً.

• ومنها قوله عليه السلام في بيان شأن العلم: «**كلّ وعاء يضيق بما جُعل فيه إلاّ وعاء العلم فإنّه يتّسع**»[٢]، فلو كان مادّياً لانطبق عليه القانون المادّي بحيث يضيق بما يُجعل فيه، ولكن لمّا لم ينطبق عليه هذا القانون فإنّه يُعلَم أنّه ليس وعاءً مادّياً بل هو وعاء مجرّد عن المادّة.

• ومنها ما نقله أستاذنا الشيخ حسن حسن زاده آملي، عن إمام الملك والملكوت، جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ للجسم ستّة أحوال: الصحّة والمرض، والموت، والحياة، والنوم، واليقظة، وكذلك الروح فحياتها علمها، وموتها جهلها، ومرضها شكّها، وصحّتها يقينها، ونومها غفلتها، ويقظتها حفظها**»[٣]، هذا التعريف يثبت أنّ سنخ الجسم غير سنخ الروح[٤].

النفس والروح

استعمل القرآن الكريم النفس بمعانٍ ثلاثة، واستعمل الروح بمعنى واحد. والمعاني التي ذكرها القرآن للنفس هي:

---

(١) **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، العلاّمة الحلّي (ت: ٧٢٦هـ)، منشورات جماعة المدرّسين، قم: ص٥٢٢.

(٢) **نهج البلاغة**: باب المختار من حكمه، الحكمة رقم ٢٠٥.

(٣) **سرح العيون في شرح العيون**، العلاّمة حسن حسن زاده آملي: ص ٦٤ ـ ٦٥.

(٤) راجع **بحوث في علم النفس**، السيّد الحيدري، مصدر سابق: ص ١٢٠ ـ ١٢٧.

الأوّل: أن يكون المراد من النفس نفس الشيء، فعندما نقول مثلاً: نفس الحجر فإنّ مرادنا هو الحجر وليس شيئاً آخر كالماء وما شابه ذلك، وعندما نقول الماء يكون مرادنا نفس الماء وليس الحجر، وذلك تميّز للشيء عن غيره.

فإذا قيل «النفس» ولم يضف إلى الكلمة شيء آخر لا يكون للنفس أيّ معنى آخر، وبهذا المعنى استعملت «النفس» في الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (آل عمران: ٢٨)، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ١٢)، ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ (المائدة: ١١٦)، فليس المراد هنا أنّ الله تعالى له روح أو نفس وراء البدن والجسم.

الثاني: أن يستعمل النفس ويُراد منها الإنسان المركّب من هذين البُعدين، وهذا الاستعمال هو الذي تبنّاه المتكلّمون وذكره الشيخ الصدوق والعلاّمة المجلسي وغيرهما، وكذلك الأخباريّون.

وفي هذا الموضع اختلف الفلاسفة عن المتكلِّمين والمحدّثين الذين اعتبروا النفس أمراً مادّياً ولكنّه لطيف كالجنّ، لأنّ الجنّ من الأمور المادّية اللطيفة غير الكثيفة، فإذن الاستعمال الثاني للنفس في القرآن هو في الإنسان ببُعديه المادّي وغير المادّي، من قبيل قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ (المائدة: ٣٢) فالمراد من النفس هنا ليس البُعد المعنوي في قِبال البُعد المادّي، وإنّما المراد من النفس في قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا﴾ هو الشخص ببُعديه المادّي والروحاني.

الثالث: أن يستعمل النفس ويُراد منها ذلك البُعد الذي يقع في قِبال البدن، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ (الحجر: ٢٩)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ

مَوۡتِهَا﴾ (الزمر: ٤٢).

ففي هذه الآيات وغيرها استعمل القرآن الكريم كلمة النفس أو الروح في هذا المعنى الثالث. وهنا يكون المراد من النفس والروح معنىً واحداً.

قال السيّد الطباطبائي: «لفظ النفس ـ على ما يعطيه التأمّل في موارد استعماله ـ أصل معناه هو معنى ما أضيف إليه، فنفس الشيء معناه الشيء ونفس الإنسان معناه هو الإنسان ونفس الحجر معناه هو الحجر فلو قطع عن الإضافة لم يكن له معنى محصّل، وعلى هذا المعنى يستعمل للتأكيد اللفظي كقولنا: جاءني زيد نفسه أو لإفادة معناه كقولنا جاءني نفس زيد.

وبهذا المعنى يطلق على كلّ شيء حتّى عليه تعالى كما قال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ (الأنعام: ١٢)، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ (آل عمران: ٢٨)، وقال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ (المائدة: ١١٦).

ثمّ شاع استعمال لفظها في شخص الإنسان خاصّة وهو الموجود المركّب من روح وبدن فصار ذا معنى في نفسه وإن قطع عن الإضافة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩) أي من شخص إنساني واحد، وقال: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ (المائدة: ٣٢)؛ أي من قتل إنساناً ومن أحيى إنساناً، وقد اجتمع المعنيان في قوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ (النحل: ١١١) فالنفس الأولى بالمعنى الثاني والثانية بالمعنى الأوّل.

ثمّ استعملوها في الروح الإنساني لما أنّ الحياة والعلم والقدرة التي بها قوام الإنسان قائمة بها، ومنه قوله تعالى: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ (الأنعام: ٩٣).

ولم يطّرد هذان الإطلاقان ـ أعني الثاني والثالث ـ في غير الإنسان كالنبات وسائر الحيوان إلاّ بحسب الاصطلاح العلمي، فلا يُقال للواحد من النبات والحيوان عرفاً "نفس" ولا للمبدأ المدبّر لجسمه "نفس"، نعم ربّما سمّيت الدم نفساً لأنّ الحياة تتوقّف عليها، ومنه النفس السائلة، وكذا لا يطلق النفس في اللغة بأحد الإطلاقين الثاني والثالث على الملك والجنّ وإن كان معتقدهم أنّ لهما حياة، ولم يرد استعمال النفس فيهما في القرآن أيضاً وإن نطقت الآيات بأنّ للجنّ تكليفاً كالإنسان وموتاً وحشراً، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقال: ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ (الأحقاف: ١٨)، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ (الأنعام: ١٢٨)، هذا ما يتحصّل من معنى النفس بحسب عرف اللغة»[١].

أمّا في اصطلاح العرفاء فإنّ النفس والقلب والروح هي كلمات ثلاث تشير إلى مراتب متعدّدة للنفس الإنسانيّة.

فالنفس: تشير إلى عالم الخيال.

والقلب: يشير إلى مقام التفصيل.

والروح: تشير إلى مقام الإجمال والبساطة.

وأمّا في علم «الأخلاق» فإنّ مرادهم بهذه الألفاظ والأسماء الثلاثة مسمّى واحد وحقيقة واحدة، وهي تلك الحقيقة التي وراء البدن والتي يعبّر عنها بـ «الأنا» وقد تُعرَّف بأنّها تلك اللطيفة الربّانيّة التي قال عنها القرآن الكريم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ (ص: ٧٢) وأنّها ذلك الخلق الآخر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٤ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

قال في الميزان: «فهذا ـ على ما يظهر ـ هو السبب في إسنادهم الإدراك والشعور، وما لا يخلو عن شوب إدراك، مثل الحبّ والبغض والرجاء والخوف والقصد والحسد والعفّة والشجاعة والجرأة ونحو ذلك إلى القلب، ومرادهم به الروح المتعلّقة بالبدن أو السارية فيه بواسطته، فينسبونها إليه كما ينسبونها إلى الروح وكما ينسبونها إلى أنفسهم، يُقال: أحببته وأحبّته روحي وأحبّته نفسي وأحبّه قلبي»[1].

ولهذه الحقيقة المعبّر عنها بألفاظ ثلاثة مراتب متعدّدة هي العاقلة والوهميّة والشهويّة والغضبيّة.

وللآلوسي كلامٌ مفصّل في هذا المجال نذكر بعض ما ورد فيه، قال :

«اختلف الناس في الروح والنفس هل هما شيء واحد أم شيئان؟

فحكى ابن زيد عن أكثر العلماء أنّهما شيء واحد؛ فقد صحَّ في الأخبار إطلاق كلّ منهما على الآخر...

وقال ابن حبيب: هما شيئان فالروح هو النفس المتردّد في الإنسان، والنفس أمرٌ غير ذلك، لها يدان ورجلان ورأس وعينان، وهي التي تلتذّ وتتألّم وتفرح وتحزن وإنّها هي تتألّم وتفرح وتحزن، وإنّها هي التي تتوفّى في المنام وتخرج وتسرح وترى الرؤيا، ويبقى الجسد دونها بالروح فقط لا يلتذّ ولا يفرح حتّى تعود...

وعن آخر أنّ النفس ناسوتيّة والروح لاهوتيّة، وذكر أنّ أهل الأثر على

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٢٥.

المغايرة وأنّ قوام النفس بالروح، والنفس صورة العبد، والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها، ولا عدوّ أعدى لابن آدم من نفسه لا تريد إلاّ الدُّنيا ولا تحبّ إلاّ إيّاها، والروح تدعو إلى الآخرة وتُؤثرها.

وظاهر كلام بعض محقّقي الصوفيّة القول بالمغايرة...»[١].

مراتب النفس والروح في القرآن

أشارت الآيات القرآنيّة إلى حالات ومراتب وقوى للروح والنفس الإنسانيّة، ووصفتها بأسماء مختلفة وهي:

أوّلاً: الأمّارة بالسوء؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (يوسف: ٥٣)، والأمّاره بالسوء هي التي تمشي على وجهها تابعة لهواها.

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٣).

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠).

ثانياً: اللوّامة؛ قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ١ـ ٢). «والمراد بالنفس اللّوامّة، نفس المؤمن التي تلومه في الدُّنيا على المعصية والتثاقل في الطاعة وتنفعه يوم القيامة»[٢].

ثالثاً: المطمئنّة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۞ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصدر سابق: ج ١٥ ص ١٥٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٠٣.

﴿مَّرۡضِيَّةً * فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي * وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٧ ـ ٣٠).

«والنفس المطمئنّة هي التي تسكن إلى ربّها وترضى بما رضي به، فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شرّ أو نفع أو ضرر، ويرى الدُّنيا دار مجاز، وما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أيّ نفع وضرّ ابتلاءً وامتحاناً إلهيّاً، فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلى الطغيان وإكثار الفساد والعلوّ والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر، بل هو في مستقرّ من العبوديّة، لا ينحرف عن صراطه المستقيم بإفراط أو تفريط.

وتوصيفها بالراضية، لأنّ اطمئنانها إلى ربّها يستلزم رضاها بما قدّر وقضى تكويناً أو حكم به تشريعاً، فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضي العبد من ربّه رضي الربّ منه، إذ لا يسخطه تعالى إلاّ خروج العبد من زيّ العبوديّه، فإذا لزم طريق العبوديّة استوجب ذلك رضى ربّه، ولذا عقّب قوله ﴿رَاضِيَةً﴾ بقوله: ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾»[1].

عند ذلك يكون العبد في زمرة عباد الله المخلصين الذين عبّر عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢)، فيستحقّ الدخول إلى الجنّة التي أضافها إلى نفسه حيث قال: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ ولم تضف الجنّة إليه تعالى إلاّ في هذه الآية، وهي تدلّ على تشريف خاصّ ومقام مخصوص لهؤلاء[2].

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ٢٠ ص ٢٨٥.

(٢) **التربية الروحيّة**، السيّد كمال الحيدري، دار فراقد، قم، ط٨، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م: ص٧٧ ـ ٧٩

المبحث السابع

البرزخ: إثباته وأقسامه

- البرزخ في اللغة
- البرزخ في القرآن
- فلسفة الحياة البرزخيّة
- القبر الكلامي والقبر الفقهي
- البرزخ الصعودي والنزولي
- أحكام البرزخ النزولي والصعودي
- الأدلّة القرآنيّة على الحياة البرزخيّة
- العلاقة بين الدُّنيا والآخرة
- معرفة الناس بأحوال أهل البرزخ والعكس
- تمثّل الأعمال في البرزخ
- حقيقة الحياة البرزخيّة
- البدن البرزخي؛ تمايزه وخصائصه
- التكامل البرزخي للإنسان

البرزخ في اللغة

قبل بيان ما ذكره علماء اللغة لمعنى البرزخ نشير إلى قاعدة مهمّة في هذا المجال وهي أنّ المفردات التي استعملها القرآن الكريم يُراد منها معانيها اللغويّة، ولكنّنا عندما نأتي إلى المعنى المُراد من هذه المفردات والمفاهيم نجد الاختلاف في مصاديقها من مورد إلى آخر. فالمفهوم يكون واحداً، وأمّا المصاديق فهي تختلف.

على هذا الأساس فإنّ مفردة البرزخ في القرآن الكريم، تعني في اللغة الحدّ الحاجز والفاصل بين شيئين، بحيث لو وجِد عندنا شيئان وفصل بينهما شيء ثالث فهذا الشيء يسمّى في اللغة «برزخاً».

وفي القرآن الكريم ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: ٢٠) أي فاصل وحاجز فلا يبغي أحدهما على الآخر.

وسنرى أنّ هناك تطابقاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي القرآني.

قال ابن فارس في «المقاييس»: «البرزخ: الحائل بين الشيئين، كأنّ بينهما بِرازاً أي متّسعاً من الأرض، ثمّ صار كلّ حائِل برزخاً فالخاء زائدة؛ لما ذكرنا»[1].

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «البرزخ: ما بين شيئين. وفي الصحاح الحاجز بين شيئين. والبرزخ ما بين الدُّنيا والآخرة: قبل الحشر من

---

(١) **معجم مقاييس اللغة**، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٣٣.

وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ»[١].

والتطابق بين المعنى اللغوي للبرزخ وحقيقة معناه في الاصطلاح ورد في كلمات معظم العلماء ولا سيما العرفاء والفلاسفة فضلاً عن المتكلّمين.

«اعلم أنّ البرزخ عبارة عن أمر فاصل بين أمرين، لا يكون متطرّقاً (متطرّفاً) أبداً كالخطّ الفاصل بين الظلّ والشمس، وكقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩ـ٢٠).

ومعنى «لا يبغيان» أي لا يختلط أحدهما بالآخر، وإن عجز الحسّ عن الفصل بينهما، والعقل يقضي أنّ بينهما حاجزاً يفصل بينهما، فذلك الحاجز المعقول هو البرزخ، فإن أدرك بالحسّ فهو أحد الأمرين ما هو البرزخ، وكلّ أمرين يفتقران إذا تجاوزا (تجاورا) إلى برزخ ليس هو عين أحدهما، وفيه قوّة كلّ واحد منهما.

ولمّا كان البرزخ أمراً فاصلاً بين معلوم وغير معلوم، وبين معدوم وموجود، وبين منفيّ ومثبت، وبين معقول وغير معقول، سمّي برزخاً اصطلاحاً وهو معقول في نفسه، وليس إلاّ الخيال، فإنّك إذا أدركته وكنت عاقلاً تعلم أنّك أدركت شيئاً وجوديّاً، وقع بصرك عليه»[٢].

البرزخ في القرآن

استعمل القرآن الكريم كلمة البرزخ في العديد من آياته وأراد منها نفس المعنى اللغوي، وأمّا من حيث المصداق فالمراد بها بحسب القرآن

---

(١) **لسان العرب**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٨.

(٢) **تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم**، حيدر الآملي، تحقيق محسن الموسوي، منشورات المعهد الثقافي نور على نور، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م: ج ٣ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

الكريم هو تلك الحياة التي تفصل الحياة الدنيويّة الزائلة عن الحياة الأخرويّة الدائمة الباقية الأبديّة.

والله تعالى بيّن في القرآن الكريم أنّ للإنسان حياة ترتبط بهذه النشأة الدنيويّة والتي عبّر عنها بنشأة الشهادة، وأنّ هناك أيضاً حياة أخرى هي الحياة الآخرة الحقيقيّة والتي من صفاتها أنّها أبديّة دائمة متّصلة لا انقطاع لها، والخلود فيها أبديّ في بُعديها، أي البُعد المرتبط بالجنّة والبعد المرتبط بالنار.

فهناك حياة أخرى هي الحياة البرزخيّة التي تقع حاجزاً وفاصلاً يفصل الحياة الدُّنيا عن الحياة الآخرة.

وبهذا فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠)، والوراء في الآية بمعنى الأمام كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا﴾ (الكهف: ٧٩)؛ قال في الميزان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠): «والمراد بكونه وراءهم كونه أمامهم محيطاً بهم، وسمّي وراءهم بعناية أنّه يطلبهم كما أنّ مستقبل الزمان أمام الإنسان، ويُقال: وراءك يوم كذا بعناية أنّ الزمان يطلب الإنسان ليمرَّ عليه، وهذا معنى قول بعضهم: إنّ في «وراء» معنى الإحاطة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا﴾».[(١)]

وقال المولى محسن الكاشاني: «البرزخ هو الحالة التي تكون بين الموت والبعث، وهو مدّة اضمحلال هذا البدن المحسوس إلى وقت العود ـ أعني زمان القبر ـ ويكون الروح في هذه المدّة في بدنها المثالي الذي يرى الإنسان نفسه فيه في النوم: النوم أخ الموت...»[(٢)].

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٥ ص ٦٨.

(٢) **علم اليقين في أصول الدِّين**، مصدر سابق: الباب،٢ ج٢ ص ٨٦٩.

فلسفة الحياة البرزخيّة

إنّ من أهمّ خصائص الحياة الآخرة كونها نتيجة لأعمال الإنسان، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، سواء كانت نعيماً أو شقاءً فهي نتيجة لأعمال الإنسان في الحياة الدُّنيا، وحيث إنّ الحشر الأكبر لم يتحقّق للجميع لكون الحياة ما زالت مستمرّة وما زال فيها أحياء وسيأتي إليها أُناس لم يولدوا بعد، فاقتضت الحكمة الإلهيّة وجود حياة تسبق الحياة الأخرويّة، وهي الحياة التي تكون الوسيط بين الدُّنيا والآخرة.

القبر الكلامي والقبر الفقهي

إنّ الله تعالى يريد أن يعطي للإنسان حظّاً وفرصة كما ورد في بعض الروايات من أنّ الإنسان إذا مات انقطع عمله إلاّ من ثلاث، أو خمس، أو سبع... ولذا قالوا إنّ في الحياة البرزخيّة متمّمات ومكمّلات للحياة الدنيويّة، والحياة الأخرويّة تبدأ من الحشر الأكبر.

ولقد عدّ رسول الله صلى الله عليه وآله القبر أوّل منازل الآخرة، والقبر هو البرزخ، وليس المراد بالقبر هو تلك الحفرة التي يوضع فيها بدن الإنسان الميّت، بل المراد به نفس البرزخ والبُعد المعنوي والروحاني والنفسي والذي قلنا فيه سابقاً أنّه المرتبط بتلك الحقيقة القرآنيّة ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ وهي الحقيقة التي لا ارتباط لها بنشأة المادّة حتّى توضع في الحفرة المادّية.

بتعبير آخر: ليس محلّ بحثنا ههنا ما يتعلّق بالأحكام الفقهيّة وما ذكره الفقهاء من أحكام تتعلّق بالقبر الذي هو تلك الحفرة التي يوضع فيها الميّت، بل بذلك البُعد الذي عبّر عنه القرآن الكريم ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أي روح الإنسان، وهذا هو القبر بالاصطلاح الكلامي لا القبر الفقهي الذي له أحكامه الخاصّة.

ولذا نحن نعتقد أنّ الإنسان الميّت سواء كان له قبرٌ فقهيّ أم لم يكن، فإنّ له قبراً هو البرزخ، كما هو الحال بالنسبة لمن أكلت بدنه الوحوش وسباع الأرض.

وما سنذكره في هذه الأبحاث حول نعيم القبر وعذابه بضغطته، وسؤال منكر ونكير، وسؤال الملائكة، هذه كلّها أحكام القبر الكلامي لا القبر الفقهي، لأنّ البرزخ عالم وراء هذا العالم، مرتبط بالغيب لا بالشهادة، وبعالم الملكوت، وبباطن عالم السماوات والأرض.

والبحث في القبر الفقهي مرتبط بالرسائل العمليّة التي بيَّنت الأحكام الفقهيّة له.

البرزخ الصعودي والنزولي

أشار القرآن الكريم في ضمن آياته إلى أنّ الإنسان بدأ من نقطة وسوف يسير للانتهاء إلى نفس النقطة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦). كما أنّ القرآن عبّر عن الله تعالى أنّ من أسمائه «الأوّل والآخر». فما هو معنى أنّه تعالى الأوّل والآخر؟

إنّ المراد من الأوّليّة والآخريّة ـ وفقاً لبعض الآراء ـ أنّهما صفتان إضافيّتان بالنسبة إلى الإنسان نفسه، فالإنسان بدأ من الله «إنّا لله» وسينتهي إليه من حيث الغاية والمآل «وإنّا إليه راجعون».

وإذ يكون الابتداء منه والأوبة إليه، فهو سبحانه الأوّل وهو الآخر، ولكن بالنسبة إلى الإنسان ونسبته إلى الله، وإلاّ فإنّ الله لا أوّل لأوّليّته ولا آخر لآخريّته.

يمكن تقريب هذا الضرب من التفسير عرفيّاً بحركة الإنسان، فإنّه يتحرّك من نقطة وينتهي إليها بنفسها، ومع ذلك يطلق على نقطة الانطلاق

وصف الأولى، وعلى الثانية وصف الأخيرة مع أنّهما نقطة واحدة.

والمسألة تبدو أوضح في الدائرة، فحينما تريد أن ترسم دائرة فإنّك تبدأ من نقطة ثمّ تنتهي إلى النقطة نفسها، والنقطة التي بدأت منها ثمّ انتهيت إليها هي واحدة، لكن تطلق على مبدأ الانطلاق وصف الأوّل، وعلى النهاية وصف الآخر. والأوّل والآخر يتعلّقان ـ هنا ـ بالإنسان ذاته لا بالنقطة، فبحسب حركة الإنسان صار هناك أوّل وآخر، وإلاّ ليس في النقطة أوّل ولا آخر.

هكذا الحال بالنسبة إلى الله، إذ لا أوّل له ولا آخر، إنّما يرتبط الأمر بحركة الإنسان نفسه الذي يبتدئ من الله وإليه ينتهي ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فهو سبحانه الغاية. لذلك اشتهر عن العرفاء قولهم: إنّ الغايات هي الانتهاء إلى البدايات. فالأوّل أوّل نسبة إلى حركة الإنسان ومسيرته، والآخِر صار آخِراً بالنسبة إليه أيضاً، فالإنسان هو الذي يتحرّك بين مداري البداية والنهاية، في حركة غايته منها الرجوع إلى الله، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(المؤمنون: ١١٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (العلق: ٨).

وهكذا نفهم الأوّليّة والآخريّة كصفتين إضافيّتين بالنسبة إلى الإنسان نفسه، أمّا لو كان في الله أوّل وآخِر لصار محدوداً، لأنّ أوّله غير آخِره وآخره غير أوّله؛ لذلك روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما مضمونه (أنّ كلّ أوّل غيره فهو ليس بآخر، وكلّ آخر غيره ليس بأوّل)؛ لأنّ الشيء إذا صار أوّل، لا يمكن أن يكون آخر، وإذا صار آخِر فليس بأوّل، إلاّ الله سبحانه.

وإذ نفهم الأوّليّة والآخريّة هنا بالنسبة إلى الإنسان في حركته، فيمكن

تقريب ذلك بالموت أيضاً. فقد ذكر الفلاسفة في أحد تعاريفهم للموت أنّه الانقطاع إلى الله.

فالإنسان مشغول في هذه النشأة بالأمور المادّيّة والدنيويّة، بيدَ أنّه ينقطع عنها بالموت ويتّجه إلى الله سبحانه، أي يعود إليه لأنّه غايته، فيكون في مساره الوجودي قد بدأ منه وانتهى إليه، فهو الأوّل وهو الآخِر[١].

إذا كان الأمر كذلك، فإنّ الإنسان بدأ من الله وانتهى إلى هذا العالم، ثمّ يبدأ مسيره من هذا العالم لينتهي إلى الله، وقد قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ (السجدة: ٥) وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ (التين: ٤ ـ ٥).

ثمّ بعد ذلك أُمِر الإنسان بأن يرجع إلى الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠) و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الإنشقاق: ٦). ومن هنا يبدأ السفر.

وهذا ما ورد في تعبيرات العرفاء من أنّ للإنسان قوسين؛ قوس النزول وقوس الصعود، وإنّما جرى تشبيه هاتين الحركتين بقوسي النزول والصعود من أجل تشكيل دائرة من هذين القوسين، وإلاّ لو كانا خطّين مستقيمين فإنّهما لن يلتقيا.

والإنسان قبل مجيئه إلى عالم الدُّنيا، أي إلى هذه النشأة، كان عنده عالم وهو عالم ما قبل عالم النشأة الدنيويّة، ولذا قال الفلاسفة والحكماء بأنّ البرزخ على قسمين.

ففي قوس النزول هناك برزخ، وفي قوس الصعود هناك أيضاً برزخ.

---

(١) راجع للتوسّع: **التوحيد، بحوث في مراتبه ومعطياته**، السيّد كمال الحيدري، بقلم: جواد علي كسّار: ج ١ ص ٧٩.

وبرزخ قوس الصعود هو الحياة التي تفصل الحياة الدنيويّة عن الحياة الأخرويّة، وهو الذي يقع حاجزاً وفاصلاً يفصل بين الدُّنيا والآخرة، والمراد من الآخرة هنا يوم الحشر الأكبر.

وأمّا البرزخ النزولي فهو تلك النشأة التي سبقت النشأة الدنيويّة وقد مرَّ بها الإنسان قبل مجيئه إلى الدُّنيا، والمعبَّر عنها بعالم المثال، وقبل عالم المثال مرَّ بعالم العقل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١)، وهذا ينطبق على الإنسان الذي هو شيء، وقد كان في عالم ونزل منه، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢) وهذه الآية مرتبطة بالإنسان في مرحلة ما قبل هذه النشأة.

والحاصل: أنّه يوجد عندنا عالمان للبرزخ؛ عالم البرزخ المرتبط بقوس النزول، وعالم البرزخ المرتبط بقوس الصعود. وأبحاثنا في مجال البرزخ هي عن عالم البرزخ الصعودي وليست في البرزخ النزولي.

أحكام البرزخ النزولي والصعودي

لعالم البرزخ النزولي أحكامه الخاصّة به، وكذلك عالم البرزخ الصعودي.

فمثلاً ينقسم عالم البرزخ الصعودي إلى قسمين: منعّمين ومعذّبين. ولكن عالم البرزخ النزولي الذي ليس فيه تكليف لا ينقسم إلى هذين القسمين، فالتقسيم إلى منعّم وإلى معذّب مرتبط بالصعود، وبنتيجة أعمال الإنسان، أمّا قبل النزول إلى الدُّنيا فلا يوجد عمل.

وبهذا تتّضح الحقيقة القرآنيّة والتي هي من أهمّ الحقائق، والمتعلّقة بالحديث الذي جرى مع آدم وأُمِر ثمّ خرج من الجنّة، فهذه الوقائع بأيّ

عالم ترتبط؟

الجواب: ترتبط بعالم المثال أو عالم البرزخ النزولي، ومقتضى ذلك أنّ آدم عليه السلام لم يعصِ ولم يترك الأَولى، لأنّ ترك الأولى مرتبط بعالم التكليف، فما حصل من آدم عليه السلام شيء آخر غير المعصية.

ويُضاف إلى ذلك أنّه لا يوجد خلاف بين المتكلِّمين والفلاسفة على مختلف اتّجاهاتهم في وجود برزخ بعد عالم الدُّنيا. أمّا في ما يتعلّق بالبرزخ النزولي أو عالم المثال فثمة خلاف شديد بين الفلاسفة أنفسهم، وبين الفلاسفة والمتكلّمين من جهة أخرى.

الأدلّة القرآنيّة على الحياة البرزخيّة

هناك العديد من الآيات القرآنيّة تحدّثت عن وجود حياة واقعيّة للإنسان في تلك النشأة المسمّاة بالحياة البرزخيّة، نعرض لبعض منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤).

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية: «قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ فيه أقوال:

أحدها ـ وهو الصحيح ـ: أنّهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وقتادة، وإليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، واختاره الجبائيّ والرمّاني وجميع المفسّرين.

الثاني: أنّ المشركين كانوا يقولون: أصحاب محمّد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب، ثمّ يموتون فيذهبون، فأعلمهم الله أنّه ليس الأمر على ما قالوه وأنّهم سيحيون يوم القيامة ويثابون..»[١].

---

(١) **مجمع البيان، الطبرسي**، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٣٣.

وفي الحديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدر كان ينادي المقتولين ويقول: «**هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً**»؟ فقيل: يا رسول الله إنّهم أموات فكيف تناديهم؟ فقال صلى الله عليه وآله: «**إنّهم أسمع منكم**»[(١)].

وقال الرازي بعد نقل ما ذكره الطبرسي من الأقوال واختيار القول الأوّل: «وهذا قول أكثر المفسّرين، وهذا دليل على أنّ المطيعين يصل ثوابهم إليهم وهم في القبر. فإن قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميّتة في القبور فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه؟ قلنا: أمّا عندنا فالبنية ليست شرطاً في الحياة، ولا امتناع في أنّ الله تعالى يعيد الحياة إلى كلّ واحد من تلك الذرّات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلى التركيب والتأليف؛ وأمّا عند المعتزلة فلا يبعد أن يعيد الله الحياة إلى الأجزاء التي لابدّ منها في ماهيّة الحياة، ويحتمل أن يحييهم إذا لم يشاهدوا. ثمّ قال: وأكثر العلماء على ترجيح هذا القول»[(٢)].

أمّا الطباطبائي فبعد تفسيره للآية قال: «فقد تبيّن بما مرّ: أنّ الآية دالّة على الحياة البرزخيّة، وهي المسمّاة بعالم القبر، عالم متوسّط بين الموت والقيامة، ينعم فيه الميّت أو يُعذَّب حتّى تقوم القيامة»[(٣)].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ (غافر: ١١).

والآية تشير إلى تحقّق إحياءَين وإماتتين إلى يوم البعث، وقد تعدّدت آراء المفسّرين بشأن المراد من الآية.

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية: «اختُلف في معناه على وجوه:

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر الأخبار الأئمة الأطهار: ج ٦ ص ٢٠٧.

(٢) تفسير الرازي، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٦١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٤٩.

أحدها: أنّ الإماتة الأولى في الدُّنيا بعد الحياة، والثانية في القبر قبل البعث، والإحياء الأوّل في القبر للمساءلة، والثاني في الحشر، عن السدي وهو اختيار البلخيّ.

وثانيها: أنّ الإماتة الأولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله في الدُّنيا، ثمّ أماتهم الموتة الثانية، ثمّ أحياهم للبعث، فهاتان حياتان ومماتان.

وثالثها: أنّ الحياة الأولى في الدُّنيا، والثانية في القبر، ولم يرِد الحياة يوم القيامة؛ والموتة الأولى في الدُّنيا، والثانية في القبر، انتهى»[1].

واختار الرازي في تفسيره الوجه الأوّل، ثمّ ذكر عليه وجوهاً من الاعتراض وأجاب عنها بالتفصيل.

وبحسب ظاهر الآية فإنّ المراد منها: أنّ الإماتة الأولى هي الإماتة عن الحياة الدُّنيا، والإحياء الأوّل هو الإحياء في الحياة البرزخيّة التي تستمرّ إلى نفخ الصور.

وأمّا الإماتة الثانية فهي عند نفخ الصور كما هو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾(الزمر: ٦٨)، والإحياء الثاني يكون عند نفخ الصور الثاني أيضاً بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (يس: ٥١).

وتعدّد نفخ الصور يستفاد من الآيتين، فيترتّب على الأوّل هلاك مَن في السماوات ومَن في الأرض، إلاّ من شاء الله، وعلى الثاني قيام الناس من أجداثهم، وفي أمر النفخ الثاني يقول سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف: ٩٩).

ويقول سبحانه: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٨٠٤.

(المؤمنون: ١٠١). واختلاف الآثار يدلّ على تعدّد النفخ.

في ضوء هذا فللإنسان حياة بعد الإماتة في الحياة الدُّنيا، وهي حياة برزخيّة متوسّطة بين النشأتين[1].

واعتبر الطباطبائي في الميزان أنّ: «هذه من الآيات التي يستدلُّ بها على وجود البرزخ بين الدُّنيا والآخرة، فإنّها تشتمل على إماتتين، فلو كان إحداهما الموت الناقل في الدُّنيا لم يكن بدّ من تصوير الإماتة الثانية في فرض حياة بين الموتين وهو البرزخ...»[2].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥ـ ٤٦).

ومن الواضح أنّ يوم القيامة لا بكرة فيه ولا عشيّ، إذن فهو يومٌ غير يوم القيامة ولابدّ أن يكون هو البرزخ، وأيضاً بقرينة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ حيث عبّرت الآية عن وجود عذابين والأوّل يكون بالعرْض على النار (في البرزخ) والثاني في الآخرة يوم القيامة.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩ـ١٠٠).

والآية تدلّ على وجود حياة متوسّطة بين الحياة الدنيويّة والحياة بعد البعث. إلى غيرها من الآيات التي ذكرها العلاّمة المجلسي في موسوعة البحار[3].

---

(١) **الإلهيّات على هدى الكتاب والسنّة والعقل**، الشيخ جعفر السبحاني، بقلم الشيخ حسن مكّي، دار الأميرة، ط٦، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: ج٤، ص٢٣٥.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١ ص ١١١.

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٠٢ وما بعدها.

إجماع الأمّة على البرزخ

إنّ عذاب البرزخ وثوابه ممّا اتّفقت عليه الأمّة سلفاً وخلفاً، وقال به أكثر أهل الملل، ولم ينكره من المسلمين إلاّ شرذمة قليلة لا عبرة بهم، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً، والأحاديث الواردة فيه من طرق العامّة والخاصّة متواترة المضمون، وكذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من الملّيّين والفلاسفة، ولم ينكره إلاّ فرقة قليلة كالقائلين بأنّ النفس هي المزاج وأمثاله ممّن لا يعبأ بهم ولا كلامهم، وقد دلّت عليه الأخبار الجليّة، وقد أُقيمت عليه البراهين العقليّة[(١)].

وإليك بعض النصوص والكلمات من علماء الفريقين:

- قال نصير الملّة والدِّين في كتابه التجريد: «عذاب القبر واقع لإمكانه وتواتر السمع بوقوعه»[(٢)].

- وقال العلاّمة الحلّي في شرح التجريد: «نُقل عن ضرار أنّه أنكر عذاب القبر، والإجماع على خلافه»[(٣)].

- وقال الشيخ المفيد في أجوبة المسائل السرويّة حيث سُئِلَ: ما قوله أدام الله تأييده في عذاب القبر وكيفيّته؟ ومتى يكون؟ وهل تردّ الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا؟ وهل يكون العذاب في القبر أو يكون في النفختين؟ «الجواب: الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل. وقد ورد عن أئمّة الهدى عليهم السلام أنّهم قالوا: ليس يعذّب في القبر كلّ ميّت،

---

(١) انظر **بحار الأنوار**: ج ٦ ص ٢٧٢.

(٢) **تجريد الاعتقاد**، المحقّق الطوسي: ص ٣٠٨.

(٣) **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، العلاّمة الحلّي، منشورات جماعة المدرّسين، قم: المقصد السادس، المسألة ١٤ ص ٤٢٤.

وإنّما يعذّب في جملتهم من محَض الكفر محضاً، ولا ينعّم كلّ ماضٍ لسبيله، وإنّما ينعّم منهم من محَض الإيمان محضاً، فأمّا ما سوى هذين الصنفين فإنّه يلهى عنهم، وكذلك روي أنّه لا يسأل في قبره إلاّ هذان الصنفان خاصّة، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه...»[1].

• وقال شارح المقاصد: «اتّفق الإسلاميّون على حقيقة سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفّار وبعض العُصاة فيه، ونسب خلافه إلى بعض المعتزلة؛ قال بعض المتأخّرين منهم: حكي إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو، وإنّما نسب إلى المعتزلة ـ وهم برآء منه ـ لمخالطة ضرار إيّاهم، وتبعه قوم من السّفهاء من المعاندين للحقّ ونحوه»[2].

• وقال في المواقف: «قال المحقّق الدواني في شرح العقائد العضديّة: عذاب القبر للمؤمن والفاسق والكافر حقّ؛

لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ...﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾.

ولقوله صلى الله عليه وآله: **إنّ أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن النار، فيُقال: هذا مقعدك حتّى نبعثك يوم القيامة.**

وقوله صلى الله عليه وآله: **استنزِهوا من البول فإنّ عامّة عذاب القبر منه.**

وقوله: **القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران**»[3].

---

(١) أجوبة المسائل السرويّة (ضمن عدّة رسائل للمفيد): ص ٢١٩.

(٢) نقلاً عن بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٣) المصدر السابق.

العلاقة بين الدُّنيا والآخرة

تشير بعض الروايات إلى أنّ أصحاب القبور والأموات يصل إليهم ثواب بعض الأعمال التي يقوم بها الأحياء لأجلهم.

من ذلك ما ورد من أنّ زيارة القبور توسّع على أصحابها قبورهم، ويفرحون بالزيارة، ويصل إليهم شيء من ثواب أعمال هؤلاء الزوّار، وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **مرَّ عيسى بن مريم عليهما السلام بقبر يُعذَّب صاحبه، ثمّ مرَّ به من قابل فإذا هو ليس يُعذَّب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يُعذّب، ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يُعذّب؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا روح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه**»[(١)].

سؤال وجواب

قد يقال: كيف يمكن التوفيق بين هذا الأمر وبين القاعدة القرآنيّة المستفادة من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم: ٣٩)؟

القرآن الكريم يؤكّد بنحو واضح وجليّ أنّ الإنسان مسؤول عن أعماله بنفسه سواء كانت خيراً أم شرّاً، وهذه الحقيقة ثابتة بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ (فاطر: ٤٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤). فالإنسان ليس مسؤولاً عن أفعال الآخرين سواء في

---

(١) أمالي الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٠م: الحديث ٨، ص ٤١٤.

بُعدها الإيجابي أو السلبي.

ثمّ إنّ العقل والوجدان يؤيّدان هذا المفهوم، إذ إنّ الثواب والعقاب من الأمور التكوينيّة والوجوديّة، وليست من الأمور الاعتباريّة، والإنسان إذا شرب الماء لا يرتفع عطش غيره، وإذا أراد أن يرفع عطش غيره لا يرفعه من خلال شربه للماء بنفسه.

والحال نفسه في الصلاة والصوم والحجّ التي هي من الأمور الواجبة على الإنسان بنفسه، بحيث أنّه يؤدّيها عن نفسه لتعلّق التكليف به، فماذا لو أدّاها عن غيره؟ وماذا لو أهدى ثوابها إلى الأموات، أو قام بها نيابةً عنهم؟ فهل يصل إليهم ثواب هذه الأعمال؟

ولعلّ هذه الإشكاليّة أو هذا التساؤل كان من الأسباب إلى أن تذهب بعض التيّارات والاتّجاهات الإسلاميّة إلى الاعتقاد بأنّ هذا لا يمكن قبوله لأنّه مخالف لصريح القرآن الكريم ـ كما تقدّم ـ وللروايات من قبيل: «**مَن سنّة سُنّةً حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومَن سنَّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**».[(١)]

فكيف يمكن التوفيق بين الروايات التي تثبت بشكل واضح أنّ الإنسان إذا مات انقطع عمله إلاّ من ثلاث أو خمس.. والتي تفيد وصول الثواب إلى الميّت من أعمال الحيّ، وبين مسؤوليّة الإنسان عن أعماله دون غيره؟

يمكن القول بأنّ منشأ الاشتباه وعدم قبول البعض لمسألة القيام بعمل وإهداء ثوابه إلى الغير، أو عدم انتفاع الأموات بأعمال الأحياء لهم، هو عدم تعقّلهم وفهمهم لحقيقة النشأة الآخرة وأحكامها وقوانينها المختلفة عن أحكام وقوانين النشأة الدُّنيا.

---

(١) **الفصول المختارة**، الشريف الرضي، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤هـ: ص١٣٦.

وينبغي أن ندرك أنّ حقائق عالم الآخرة لا يمكن فهمها من خلال القوانين والسنن التي تحكم عالم الدُّنيا.

وعندما نقول عالم الآخرة فإنّ ذلك يشمل عالم البرزخ، وعالم الحشر الأكبر.

وفي سياق آخر فإنّ القرآن الكريم يبيِّن أنّ الإنسان في النشأة الأخرى لا يحمل أوزار نفسه فقط، بل يحمل أوزار غيره الذين أضلّهم، قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (النحل: ٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (العنكبوت: ١٣).

وفي الأبحاث القادمة حول الخلود في النشأة الأخرى سنطلّ على بعض النقاط ذات الصِّلة بهذه المسألة، من قبيل من عصى الله في الدُّنيا خمسين أو ستّين عاماً كيف يمكن أن يخلد في النار، حيث قد يقال إنّه لا انسجام بين العمل وبين الجزاء، وهو مخالف لصريح القرآن ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي كما هو منطوق الآية بأنّه لابدّ أن يكون الجزاء وفق العمل ومنسجم معه؟!

ومن الأجوبة التي يمكن الإشارة إليها في هذا المجال والتي سنفصّل فيها لاحقاً: أنّ حقيقة العمل ترتبط بالنيّة وهي التي تُعطي قيمة أساسيّة للعمل، فالنيّة هي التي تبيّن العمل الصادر من الإنسان سواء كان دائميّاً أو مؤقّتاً، والله تعالى يحاسب الناس ويجازيهم على أساس نواياهم، وما تحويه قلوبهم، ووفقاً لبعض الروايات فإنّ الله تعالى لا ينظر إلى صور الناس ولكن ينظر إلى قلوبهم، وأنّ لكلّ امرىء ما نوى. فمن الروايات التي تؤكّد أهمّية النيّة ودورها في قبول الأعمال، نذكر:

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**نيّة المؤمن خيرٌ من عمله، ونيّة**

الكافر شرٌّ من عمله، وكلٌّ يعمل على نيّته».[(١)]

• عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ الله يحشر الناس على نيّاتهم يوم القيامة»**.[(٢)]

• قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّما الأعمال بالنيّات**» وأنّه «**بالنيّات خلد أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النار في النار»**.[(٣)]

• عن زيد الشحّام قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي سمعتك تقول: نيّة المؤمن خيرٌ من عمله، فكيف تكون النيّة خيراً من العمل؟ قال عليه السلام: **لأنّ العمل ربّما كان رياءً للمخلوقين، والنيّة خالصة لربّ العالمين، فيعطي عزّ وجلّ على النيّة ما لا يعطي على العمل. إنّ العبد لينوي من نهاره أن يصلّي بالليل فتغلبه عينه فينام، فيثبت الله له صلاته، ويكتب نَفَسَه تسبيحاً، ويجعل نومه عليه صدقة»**.[(٤)]

وفي كثير من الأحيان قد يكون العمل إذا ما قيس إلى النيّة أقلّ بكثير منها، فمثلاً ينوي الإنسان في كثير من الأحيان ويريد فعل أعمال الخير الكثيرة، ولكنّه لا يملك أو قد لا يستطيع تحقيقها وفعلها لعدم قدرته على ذلك، كما لو أراد إنفاق المال في سبيل الله وهو لا يملك المال، أو الجهاد في سبيل الله تعالى وهو عاجز...

وفي بعض الروايات أنّ «**مَن رضي عمل قوم حُشر معهم**»، فرغم أنّه لم

---

(١) **الأصول من الكافي**، مصدر سابق: الحديث ٢، ج ٢ ص ٨٤.

(٢) **المحاسن**، مصدر سابق: الحديث ٩٢٩، ج ١ ص ٤٠٩.

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦٧ ص ٢١٢.

(٤) **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م: الحديث ١، ج ٢ ص ٥٢٤.

يعمل ما عمله من سوء ـ مثلاً ـ ولكنّه لمجرّد أن رضي بذلك العمل فهو كمَن عمله.

قال الله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٨٣).

ومحلّ الشاهد في الآية قوله تعالى: ﴿**قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي ... فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ**﴾ إذ إنّ الأولاد والأجيال اللاحقة المخاطبين بالآية لم يقتلوا الأنبياء، بل آباؤهم هم القَتَلة، ومع ذلك فإنّ القرآن ينسب إليهم فعل القتل للأنبياء لأنّ الأولاد رضوا بذلك.

وهذا نفسه ما ورد في قضيّة الإمام المهدي عليه السلام الذي سيقتصّ من بعض الظالمين الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء حيث يقتل ذراريهم لأنّهم رضوا بما فعل آباؤهم.

• عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّما خلد أهل النار في النار، لأنّ نيّاتهم كانت في الدُّنيا: أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدُّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خلد هؤلاء وهؤلاء**، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿ **قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ**﴾ (الإسراء: ٨٤) قال: **على نيّته**»[1].

فالله تعالى يعلم أنّ الإنسان المطيع لو بقي في الدُّنيا مليون سنة أو مليار أو إلى الأبد فهو سيطيعه ويعبده ولن يعصيه أبداً، وهكذا العكس بالعكس.

وعلى هذا الأساس نستطيع توجيه مسألة الثواب والعقاب، ومسألة أنّه **مَن سنَّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومَن سنَّ**

---

(١) الأصول من الكافي، الحديث ٥، ج ٢ ص ٨٥.

سنّةً سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، لأنّ ذلك كلّه مرتبط بالنيّة.

وبهذا ندرك معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم: ٣٩)، والمراد بسعيه هو نفس النيّة، والسُنَّة ـ مثلاً ـ وإن كانت دائرتها من حيث الزمان والمكان ضيّقة، ولكنّ نيّته كانت أن تستمرّ هذه سواء في الحسنات أو السيّئات.

فعلى المؤمن أن يتوجّه إلى أهمّية النيّة قبل أن يتوجّه إلى مسألة العمل، لأنّ العمل من حيث الزمان والمكان والحجم والكمّ والعدد متناهٍ، ولكن الذي يعطي للعمل قيمة لا متناهية هو النيّة التي وراء العمل، وهذا هو السبب في تركيز الآيات والروايات على النيّة وأهمّيتها.

وأعمال الناس قد تكون من حيث الظاهر والشكل متساوية ولا يختلف بعضها عن بعض، فهي متماثلة ومتوازية، فالصلاة التي أصلّيها بالقياس إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله من حيث العدد والكمّ والوقت متقاربة.. ولكن أين صلاتي من صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حيث النيّة الكامنة وراءها المعرفة الإلهيّة التي تعطي للعمل القيمة الفعليّة ؟

ومن هذا القبيل نزول آية من القرآن الكريم بحقّ الإمام عليّ عليه السلام عندما تصدّق بالخاتم أثناء الصلاة، مع أنّ هناك الكثيرين ممّن تصدّق بما يفوق قيمة الخاتم بمئات بل ألوف المرّات ومع هذا لم ينزل فيهم حرف من القرآن الكريم.

معرفة الناس بأحوال أهل البرزخ والعكس

تشير بعض المرويّات إلى أنّ أهل البرزخ يعلمون بمَن أتاهم فيفرحون به ويستوحشون له إذا انصرف عنهم.

وهذه المسألة ذات بُعدين، هما:

أوّلاً: هل يمكن لأهل الدُّنيا الاطّلاع على أحوال الناس في البرزخ؟

ثانياً: هل يمكن لَمَن هم في البرزخ أن يطّلعوا على أحوال أهل الدُّنيا؟

في ما يتعلّق بالبُعد الأوّل فلا شبهة أنّ الأنبياء والأوصياء والأئمّة يمكنهم الوقوف على أحوال الناس في البرزخ، والروايات كثيرة في هذا المجال والتي تؤكّد هذه الحقيقة:

• منها الرواية التي أخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله أُمّ سعد **بأنّ سعداً قد أصابته ضمّة في القبر**(١).

• ومنها ما أخبر به الإمام الصادق عليه السلام عن رجل في قبره حيث قال: «**أقعد رجلٌ من الأخيار في قبره، فقيل له: إنّا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله، فقال: لا أطيقها، فلم يزالوا به حتّى انتهوا إلى جلدة واحدة، فقالوا: ليس منها بدّ، قال: فبما تجلدونيها؟ قالوا: نجلدك لأنّك صلّيت يوماً بغير وضوء، ومررت على ضعيف فلم تنصره، قال: فجلدوه جلدةً من عذاب الله عزّ وجلّ فامتلأ قبره ناراً**»(٢).

• ومنها ما رواه حبّة العرنيّ قال: «خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة، ثمّ طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال: **يا حبّة إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته**. قال: قلت: يا أمير

---

(١) **بحار الأنوار**: ج ٦ ص ٢١٧ و ٦ ص ٢٢٠.

(٢) **علل الشرائع**، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦م : باب ٢٦٢، ج ١ ص ٣٠٩.

المؤمنين وإنّهم لكذلك؟ قال: **نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين**[١] **يتحادثون**، فقلت: أجسامٌ أم أرواح؟ فقال: **أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنّها لبقعة من جنّة عدن**»[٢].

- ومنها ما رواه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج، وغيرها الكثير من الروايات الواردة في هذا المضمون والتي تشير إلى معرفة المعصومين عليهم السلام بما يجري على أهل البرزخ، والاطّلاع التفصيلي على أحوالهم.

وهذا ما يرتبط بمقام العصمة الذي ثبتت فيه هذه الحقيقة، أمّا عموم الناس العاديّين ـ غير المعصومين ـ فالطريق لهم لمعرفة أحوال هذا العالم مغلق بنسبة تسعة وتسعين في المئة.

والسبب في ذلك واضح إذ إنّ الله تعالى ستّار العيوب، ولا يسمح لأحد أن يطّلع على أحوال الناس في البرزخ، نعم في الحشر الأكبر يختلف الأمر، فهو يوم الخزي والندامة والفضيحة، وهو بتعبير القرآن الكريم ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ (الطارق: ٩)، ففيه يمكن أن يطّلع كثير من الناس على أحوال الآخرين، وهذا من الفوارق الأساسيّة بين عالم البرزخ وبين الحشر الأكبر.

ويستثنى من ذلك إخفاء عيوب بعض الناس عن الآخرين، وهم الذين ستروا على عيوب الناس في هذه الدُّنيا، وما ذلك إلاّ جزاء من الله تعالى وإثابة منه لَمَن كان ستّاراً لعيوب الآخرين في الدُّنيا.

---

(١) **الاحتباء**: الاشتمال، وحبى المسيل دنا بعضه إلى بعض. **لسان العرب**: ج ٣ ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) **الأصول من الكافي**، مصدر سابق: الباب ١٦١، الحديث ١، ج ٣ ص ٣٤٣.

وإنّما قيّدنا النسبة بـ «تسعة وتسعين في المئة» لأنّ بعض الأشخاص قد يدّعي المعرفة بأحوال البرزخ، لكن نحن لا يمكننا الوثوق بكلامهم وأقوالهم لأنّها قد تحتمل الخطأ والاشتباه.

أمّا فيما يتعلّق بالبُعد الثاني، وهو أنّ أهل البرزخ هل يمكن لهم الاطّلاع على أحوال الدُّنيا وأهلها؟ فالأنبياء والأئمّة عليهم السلام لا إشكال ولا شبهة في أنّهم يقدرون على ذلك، ولا يخفى عليهم بعد رحلتهم وذهابهم عن هذا العالم أيّ شيء في أحواله وأموره. والنبيّ صلى الله عليه وآله سوف يكون شاهداً على أعمال الأنبياء والأمم السابقة إلى يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقال: ﴿وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١).

فممّا لا إشكال فيه عند أحد من المسلمين أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ليس فقط مطّلعاً على أعمال أُمّته، بل على أعمال جميع الأمم، وعلى أعمال الأنبياء السابقين، فضلاً عن أُمّته والأمم التي تأتي بعده إلى يوم القيامة.

وبحسب مباني مدرسة أهل البيت فإنّ هذا المقام موجود أيضاً للأئمّة عليهم السلام، وذلك بنصّ الآية الكريمة: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥)، والروايات الصريحة الكثيرة والمستفيضة الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام من طرقنا وطرق غيرنا تُثبت المراد، وأنّ «المؤمنين» يُقصد بهم في الآية أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

والكلام كلّ الكلام في غير الأنبياء والأوصياء والأئمّة وأنّهم هل يطّلعون على أحوال الناس في الدُّنيا؟

الروايات تثبت ذلك بشكل صريح وواضح؛ نذكر منها:

• عن إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: «سألته عن الميّت يزور أهله؟ قال: **نعم**. فقلت: في كم يزور؟ قال: **في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته**»[1].

• عن إسحاق بن عمّار، عن عبد الرحيم القصير قال: «قلت له (للإمام الكاظم عليه السلام): المؤمن يزور أهله؟ فقال: **نعم يستأذن ربّه فيأذَن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم**»[2].

• عن إسحاق بن عمّار قال: «قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام: يزور المؤمن أهله؟ فقال: **نعم**. فقلت: في كم؟ قال: **على قدر فضائلهم، منهم مَن يزور في كلّ يوم، ومنهم مَن يزور في كلّ يومين، ومنهم مَن يزور في كلّ ثلاثة أيّام**. قال: ثمّ رأيت في مجرى كلامه يقول: **أدناهم منزلةً يزور كلّ جمعة**. قال: قلت: في أيّ ساعة؟ قال: **عند زوال الشمس ومثل ذلك**. قال: قلت: في أيّ صورة؟ قال: **في صورة العصفور أو أصغر من ذلك، يبعث الله عزّ وجلّ معه ملكاً فيُريه ما يسرّه، ويستر عنه ما يكره، فيرى ما يسرّه ويرجع إلى قرّة عين**»[3].

وفي هذه المسألة أبعاد تربويّة وعقائديّة وأخلاقيّة وهي أنّ الإنسان إذا أراد أن يبقى بعد الموت على ارتباط بأهله وعياله فإنّ عليه أن يعدّ المقدّمات اللازمة لذلك في هذا العالم، وهذه المقدّمات لا يمكن تهيئتها في عالم البرزخ، ولكن القضيّة المهمّة في هذه المسألة هي أنّ المؤمن عند زيارته لأهله

---

(١) **الفروع من الكافي**: الباب ١٥٧، الحديث ٣، ج ٣، ص ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ٤.

(٣) المصدر نفسه: الحديث ٥.

بعد الموت أيمكنه الاطّلاع على كلّ أحوالهم أو على بعضها أم لا يطّلع على شيء؟

بحسب الروايات فإنّ الناس (الأموات) على درجات؛ فبعضهم يطّلع على جميع أحوال أهله وأصدقائه وعياله و...، وبعضهم يطّلعون على بعض الأمور دون البعض الآخر، وهذه الدرجات تكون تبعاً لمقدار منزلتهم وعلى قدر فضائلهم.

• عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ المؤمن يزور أهله فيرى ما يحبّ ويستر عنه ما يكره، وإنّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحبّ**»؛ وقال: «**ومنهم مَن يزور كلّ جمعة، ومنهم مَن يزور على قدر عمله**»[1].

ولعلّ الفائدة في هذه الزيارة هي أنّ الميّت يستغفر لأهله بعد اطّلاعه على أحوالهم، ويطلب لهم المغفرة من الله تعالى.

والحاصل والنتيجة من هذا البحث كلّه هي أنّ الإنسان بعد رحيله عن هذه النشأة الدنيويّة لا تنقطع علاقته بها.

تمثّل الأعمال في البرزخ

يعتقد الحكماء والفلاسفة وكثير من المتكلّمين في مسألة تمثّلات أعمال الإنسان في عالم البرزخ أو ما يسمّى عندهم بتجسّم الأعمال يوم القيامة أنّ الحقائق أو الأعمال من قبيل الصلاة والصوم والحجّ ونحو ذلك من الأعمال التي نقوم بها في عالمنا، لها وجود آخر في عوالم أخرى، ولها حقيقة أخرى في عالم الملكوت.

ولتقريب الفكرة نستعين ببعض الأمثلة التي أشار إليها القرآن الكريم،

---

(١) **الفروع من الكافي**، مصدر سابق: الباب ١٥٧، الحديث ١، ج ٣ ص ٢٣٠.

وخصوصاً في ما يرتبط بتعبير الرؤى والأحلام، ومن هذه الأمثلة:

المصداق الأوّل: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤).

فالنبيّ يوسف عليه السلام رأى في حالة الرؤيا أحد عشر كوكباً والشمس والقمر قد سجدوا له، وهذه الحقيقة كانت في الرؤيا، ونفس هذه الحقيقة في عالم الدُّنيا أخذت لباساً وصورة مختلفة عبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ...﴾ (يوسف: ١٠٠).

المصداق الثاني: قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٣٦).

والآية تبيّن أنّ كلّ ما يقوم به الانسان أو ما يراه في النوم له تأويل، أي يوجد شيء يؤول إليه، وهناك شيء يمثّل حقيقته وباطنه وملكوته.

وفي جواب يوسف عليه السلام عن تأويل الرؤيا يقول القرآن الكريم: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف: ٤١).

فالصورة في حالة النوم ليست هي نفسها في عالم الدُّنيا والشهادة، وهي تأخذ لباساً آخر مخالفاً لما كانت عليه في حالة النوم.

فكلتا الصورتين تعبّران عن حقيقة واحدة، ولكن الحقيقة الواحدة لها صور وأشكال متعدّدة مع اختلاف تناسب العوالم.

المصداق الثالث: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي

﴿فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣).

والنبي يوسف عليه السلام يقول في تأويل هذه الرؤيا كما ورد في القرآن الكريم: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ (يوسف: ٤٧ ـ ٤٨).

المصداق الرابع: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم: ٢٤). فالروايات تبيّن أنّ هذه الكلمة الطيّبة هي كلمة التوحيد.

وفي الآية أيضاً إشارة إلى ما ذكرناه عن التكامل البرزخي، وأنّ الإنسان عند انتقاله إلى النشأة الأخرى لن ينقطع عن أعماله الحسنة وكذلك السيّئة، فما عمله في الدُّنيا من أعمال حسنة سيلحقه ثوابها في البرزخ، وهكذا بالنسبة إلى الأعمال السيّئة.

وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ...﴾ تعني أنّ الثمر لن يتوقّف، وذلك كلّه مشروط بأن يبدأ العمل من الدُّنيا، وهذا هو الفارق بين الاستكمال الدنيوي والاستكمال الأخروي، ففي الاستكمال الدنيوي يبتدئ العمل ويبقى موجوداً، أمّا في الاستكمال المربوط بعالم البرزخ فهو من حيث الابتداء غير ممكن لأنّه ليس للإنسان القدرة على البدء بالعمل من جديد، أمّا من حيث البقاء فهو باق.

المصداق الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠).

فالأكل لمال اليتيم كان في الدُّنيا يبدو لذيذاً، ولكن القرآن الكريم يؤكّد خلاف هذه الحقيقة في عالم الآخرة، حيث تتحوّل هذه القضيّة من الأكل

اللذيذ إلى أن تكون ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ فالظاهر كان أكلاً لذيذاً، والباطن هو أكل النار، والإنسان إذا استطاع أن يفتح عين بصيرته في هذه النشأة فباستطاعته أن يرى ليس فقط ظاهر الأعمال، بل بواطنها ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (التكاثر: ٥ ـ ٦). ولهذا نحن نعتقد أنّ المعصوم نبيّاً كان أو إماماً لا يفكّر حتّى بالمعصية فضلاً عن الإتيان بها؛ وذلك لأنّه يرى باطن المعصية.

وبالعودة إلى محلّ البحث عن الأعمال التي يقوم بها الإنسان في هذه الدُّنيا، فإنّه بحسب قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧ ـ ٨) فهو يرى نفس العمل، ولكن ليس العمل الذي كان في الدُّنيا؛ لأنّه كان في زمان ومكان معيّنين، بل يرى باطن العمل وملكوته وحقيقته التي صارت أثراً مؤثّراً في النفس. وعند ذلك تبقى ما دامت النفس باقية، وكلّما كانت النفس باقية، فهذا العمل سيكون باقياً معها، خيراً كان أو شرّاً.

فالمراد من «العمل» في قولنا: «تمثّل الأعمال» ليس ما يقابل العقيدة فقط، بل العمل الذي هو أعمّ من الاعتقاد، أي العمل الجوارحي (المرتبط بالجوارح) والجوانحي (المرتبط بالقلوب والاعتقادات والإيمان)، فليس مرادنا إذن من تمثّل الأعمال في البرزخ الصلاة والصوم والحجّ ونحوها، بل الولاية أيضاً التي هي من الاعتقادات، والتوحيد، والإيمان باليوم الآخر... فهذه كلّها لها تمثّلاتها الخاصّة بها.

أمّا في مجال الروايات فهي قد استفاضت في تأكيد هذه الحقيقة بنحو واضح، وأنّ جميع أعمال الإنسان سوف تتمثّل له في البرزخ، وستتجلّى له، وكلّ عمل سوف تكون له صورة تناسبه؛ من هذه الروايات:

• عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**إنّ للقبر كلاماً في كلّ يوم يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار**»(١).

• عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**إنّ المؤمن إذا أُخرج من بيته شيّعه الملائكة إلى قبره يزدحمون عليه، حتّى إذا انتهي به إلى قبره، قالت له الأرض: مرحباً بك وأهلاً...**»(٢).

• وعنه عليه السلام قال: «**إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبرّ مطلّ عليه،** قال: **فيتنحّى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة: دونكما صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه**»(٣).

فالخطابات المذكورة في هذه الروايات، خطاب الأرض، والقبر، والصبر، هي خطابات واقعيّة وليست خطابات مجازيّة، وهذه تمثّلاتها وحقيقتها وملكوتها.

وفي بعض الروايات نجد خصوصيّة مهمّة لبعض الاعتقادات ولبعض الأعمال، مثل مسألة الولاية التي تعتبر الأصل وما عداها من الأعمال هي الفروع، فهي كالصلاة إن قُبلت قُبل ما سواها، وإن رُدّت رُدَّ ما سواها.

• عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن، أهوالهنّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر** (البرزخي وليس الفقهي)، **وعند النشور، وعند الكتاب،**

---

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: الباب ١٦٠، الحديث ٢، ج ٣ ص ٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه: الباب ١٥٩، الحديث ١٢، ج ٣ ص ٢٣٩.

(٣) المصدر نفسه: الباب ١٥٩، الحديث ١٣، ج ٣ ص ٢٤٠.

وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط»[١].

• وفي «المحاسن» عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّ صور، فيهنّ صورة هي أحسنهنّ وجهاً، وأبهاهنّ هيئة، وأطيبهنّ ريحاً، وأنظفهنّ صورة.**

قال : **فتقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجليه، وتقف التي هي أحسنهنّ فوق رأسه، فإن أتي عن يمينه، منعتْه التي عن يمينه، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست.**

قال : **فتقول أحسنهنّ صورة: من أنتم جزاكم الله عنّي خيراً ؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة ، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحجّ والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك، ثمّ يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئة، فتقول: أنا الولاية لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين»**.[٢]

ومن أبرز وأوضح مصاديق تمثّلات الأعمال في البرزخ قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران»**[٣].

فالقبر يكون كذلك، لأنّ هذه هي تمثّلات أعمال الإنسان واعتقاداته،

---

(١) **الخصال**، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين، قم، ١٤٠٣هـ : ص ٣٩٠.

(٢) نقلاً عن **تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد**، السيد عبدالله شبر، تحقيق: السيد أحمد الحسيني والشيخ رضا أستادي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٩٣ هـ : ص ٩٣.

(٣) **بحار الأنوار**: ج٦ ص٢٧٥.

فإذا كانت حقّة وصحيحة، فسوف تكون تمثّلاتها روضة من رياض الجنّة، وإن كانت بالعكس فسيكون القبر حفرة من حفر النيران.

وفي رواية عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يُبيِّن فيها تمثّلات الأعمال والاعتقادات الباطلة للإنسان في عالم القبر والبرزخ، وتحوّلها إلى حيّات:

- في ما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر:

«يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوامّ، والقبر روضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حفر النار، إنّ العبد المؤمن إذا دُفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، قد كنت ممّن أحبّ أن تمشي على ظهري، فإذا ولّيتك فستعلم كيف صنيعي بك، فيتّسع له مدّ البصر. وإنّ الكافر إذا دُفن قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً لقد كنت من أبغض مَن يمشي على ظهري فإذا ولّيتك فستعلم كيف صنيعي بك، فتضمّه حتّى تلتقي أضلاعه، وإنّ المعيشة الضنك التي حذّر الله منها عدوّه عذاب القبر، إنّه يسلّط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنّيناً فينهشن لحمه، ويكسرن عظمه، يتردّدن عليه كذلك إلى يوم يُبعث؛ لو أنّ تنّيناً منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعاً.

يا عباد الله إنّ أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبّ الله واتركوا ما كره الله»[١].

---

(١) أمالي الطوسي، محمّد بن الحسن أبو جعفر الطوسي، تحقيق مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ: ج ١ ص ٢٧.

وحول كلام الإمام عليه السلام وتخصيصه عدد التنّين بـ (تسعة وتسعين) قال المجلسي: «قال بعض أصحاب الحال: ولا ينبغي أن يتعجّب من التخصيص بهذا العدد، فلعلّ عدد هذه الحيّات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد والحقد وسائر الأخلاق والملكات الرديّة، فإنّها تنشعب وتتنوّع أنواعاً كثيرة، وهي بعينها تنقلب حيّات في تلك النشأة»[1].

حقيقة الحياة البرزخيّة

يرتبط موضوع حقيقة الحياة البرزخيّة بصورة مباشرة بجملة من النقاط التي أشرنا إليها في مطاوي الأبحاث المتقدِّمة، وهي:

أوّلاً: ما بيّناه من أنّ المراد من القبر في هذه الأبحاث هو القبر الكلامي وليس الفقهي، باعتبار أنّ القبر الفقهي هو تلك الحفرة التي يوضع فيها بدن الميّت والمسمّاة بالقبر، أمّا القبر الكلامي فهو البرزخ الذي لا علاقة له ببدن الإنسان الميّت وجسده، وإنّما أحكامه لها علاقة بروح الإنسان ونفسه.

ثانياً: إنّ حقيقة الإنسان هي أنّه مركّب من جزئين؛ فله بُعدٌ مادّيّ لكونه مأخوذاً من تراب الأرض، وبُعدٌ روحيّ لكونه قد نُفخ فيه من روح الله.

وعلى هذا فحقيقة الموت هي الانفصال بين البُعد المادّي والبُعد الملكوتي بعد أن كانا في هذه النشأة الدنيويّة يُشكّلان معاً حقيقة الإنسان.

أمّا الحياة البرزخيّة فليست هي الحياة الدنيويّة المركّبة من بُعدين، ولا الحياة الأخرويّة التي أيضاً للإنسان فيها بدن كما سيتّضح في البحث عن

---

(١) راجع **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢١٩.

كون المعاد روحانيّاً وجسمانيّاً. فالإنسان يوم القيامة وبعد الحياة البرزخيّة يُحشر ببُعدين هما الجسماني والروحي أو الملكوتي. ولكن البدن في يوم القيامة ليس هو كالبدن الدنيوي إذ إنّه يصبح منسجماً مع تلك الحياة الأبديّة غير الزائلة التي لن تنتهي، فهو بدنٌ آخر لا يوجد فيه موتٌ ولا مرض ولا عاهة ولا تعب ولا ما إلى ذلك. فالحياة البرزخيّة لا هي حياة دنيويّة ولا هي حياة أخرويّة، لأنّه قد اتّضح أنّ الحياة الدنيويّة وكذلك الأخرويّة كلتيهما يوجد فيهما بدن، لكنّه إمّا بدن دنيوي أو بدن أخروي، أمّا الحياة البرزخيّة فهي روحٌ بلا بدن، وهي ذلك البُعد الملكوتي من غير أن يصاحبه أيُّ بُعد جسماني، لا جسم دنيوي ولا جسم أخروي.

ومن الروايات القيّمة التي تبيِّن لنا حقيقة الحياة البرزخيّة ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّما صار الإنسان يأكل ويشرب بالنار، ويبصر ويعمل بالنور، ويسمع ويشمّ بالريح، ويجد الطعام والشراب بالماء، ويتحرّك بالروح** ـ وساق الحديث إلى أن قال ـ :

فهكذا الإنسان خلق من شأن الدُّنيا وشأن الآخرة، فإذا جمع الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت، تردّ شأن الأخرى إلى السماء؛ فالحياة في الأرض، والموت في السماء، وذلك أنّه يُفرّق بين الأرواح والجسد، فردّت الروح والنور إلى القدس الأولى، وترك الجسد لأنّه من شأن الدُّنيا، وإنّما فسد الجسد في الدُّنيا لأنّ الريح تنشف الماء... والموت رحمة من الله لعباده المؤمنين، ونقمة على الكافرين»[1].

وقوله عليه السلام: «**فإذا فرّق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت**» تأييد لما ذكرناه من أنّ الموت ليس انعداماً، بل انتقال الروح من دار إلى دار.

---

(١) **علل الشرائع**، مصدر سابق: الباب ٩٥، الحديث ٥ ص ١٠٧.

البدن البرزخي: حقيقته وخصائصه

الحياة البرزخيّة هي سنخ حياة لا هي حياة دنيويّة بكلّ خصائصها، ولا هي حياة أخرويّة بكلّ مقوّماتها، ذلك أنّ من أهمّ خصائص الحياة الدُّنيا أنّ الروح فيها مع البدن الدنيوي، ومن أهمّ خصائص الحياة الأخرويّة أنّ الروح فيها مع البدن الأخروي.

أمّا الروح في نشأة البرزخ فليس فيها البدن الدنيوي ولا الأخروي، فالحياة البرزخيّة هي حياة للروح التي كانت حيّة وموجودة بشكل آخر في الدُّنيا، والإشارة لها في الدُّنيا تكون من خلال الجسد والبدن، وكذلك الإشارة لها في عالم الآخرة من خلال الجسد الأخروي، والسؤال المطروح هنا كيف يحصل هذا التمايز في الحياة البرزخيّة حيث لا بدن فيها حتّى يحصل هذا التمايز؟

وللوقوف على هذه الحقيقة لابدّ من التعرّض لما ذكره الفلاسفة في تقسيمهم لنشآت الوجود الإمكانيّة حيث جعلوها ثلاث نشآت:

النشأة الأولى: نشأة العقل.

النشأة الثانية: نشأة المثال المنفصل.

النشأة الثالثة: نشأة المادّة والدُّنيا.

وتوضيح هذا المطلب بالبيان التالي:

حيث إنّ لمعرفة هذه النشآت الثلاث ارتباطاً وثيقاً بالتعرّف على شكل وكيفيّة الحياة البرزخيّة التي توجد للروح، لذا نقول:

للبدن في نشأة الحياة الدُّنيا حجم من طول، وعرض، وعمق، وهذا ما يجعله يشغل حيّزاً ومكاناً. فالكتاب ـ مثلاً ـ إذا كان موجوداً في مكان ما فإنّه يشغل حيّزاً ممّا يجعل الكتاب الثاني لا يشغل نفس هذا الحيّز، لأنّه من

غير المعقول أن يوجد جسمان متماثلان في مكان واحد وفي آن واحد.

وهذا الأمر هو من أهمّ خصائص الإنسان في نشأة الدُّنيا، وهي أنّ له آثار وهي المكان المعيّن والزمان المعيّن، فيوم السبت لا يمكن أن يكون في يوم الأحد، وهكذا العكس. أمّا نشأة العقل فهي عالم الملائكة المقرّبين (جبرئيل وميكائيل...) فهذه الموجودات هي سنخ موجودات لا حجم معيّن لها حتّى تشغل مكاناً (طولاً وعرضاً وعمقاً) ولا شكل لها، فلا يمكن تصويرها ولا أن نرسم لها الوجه وما شابه ذلك.

ونشأة المثال المنفصل هي النشأة التي يوجد فيها بعض خصائص المادّة أو النشأة الدنيويّة وبعض خصائص النشأة العقليّة، فيوجد لها شكل، وطول وعرض، ولها صورة، ولكن لا يوجد لها حجم، وهذا أمرٌ يمكن تعقّله؛ أي أن يوجد لها شكل وصورة ولكن لا يوجد لها حجم، ومثال ذلك: الصورة في المرآة، فعندما تقف أمامها ترى كامل شكلك وصورتك وزوايا وقسمات وجهك، وملابسك وجسدك و...، ولكن هذا الشكل الموجود في المرآة ليس له حجم.

وبهذا تتميّز الصورة أو الوجود المثالي عن الوجود العقلي وعن الوجود المادّي. فنشأة المثال فيها شيءٌ من عالم العقل وشيءٌ من عالم المادّة.

والسؤال المطروح هنا، هو: أنّ الروح وهي في عالم البرزخ وجودها مادّي أم عقلاني، أم مثالي، فأيّ واحدة من هذه الوجودات ينطبق عليها؟

النصوص الروائيّة تؤكّد أنّها من سنخ الوجود المثالي، ومثالها الصورة في المرآة، فالإنسان عندما يرى نفسه في المرآة يقول هذا أنا مشيراً بذلك إلى صورته، ومقصوده بقوله (هذا أنا) هو الحقيقة لا المجاز، وهذه الصورة ليس لها حجم، ولكنّها باعتبار أنّها تشاكل وتماثل صاحب الصورة في كلّ

الجهات يقول صاحبها هذا أنا.

ويمكن أيضاً تمثيل وتشبيه الحياة البرزخيّة بما يراه النائم في النوم، وهذا ما أشارت إليه روايات أهل البيت عليهم السلام.

• عن الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام «قال: **إنّ الأحلام لم تكن في ما مضى في أوّل الخلق، وإنّما حدثت**، فقلت: وما العلّة في ذلك؟ فقال: **إنّ الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا؟ ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزّنا عشيرة، قال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار، فقالوا: وما الجنّة والنار؟ فوصف لهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متّم. فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً. فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عزّ وجلّ فيهم الأحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا في ذلك.**

فقال: إنّ الله عزّ ذكره أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم وإن بُليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان»[1].

• ومن الشواهد على حقيقة الروح وشكلها ما ورد عن ابن ظبيان قال: «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فقال: **ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم؟** قلت: يقولون: في حواصل طيور خضر، فقال: **سبحان الله المؤمن أكرم على الله من ذلك، إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة الله عزّ وجلّ المقرّبون، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد، وللنبيّ صلى الله عليه وآله بالنبوّة، والولاية لأهل البيت شهد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعلم ما في**

---

(١) الروضة من الكافي، الحديث ٥٧، ج ٨ ص ٩٠.

قلبه من ذلك فشهد به، وشهد على شهادة النبيّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من الله أفضل السلام، ومن حضر معهم من الملائكة، فإذا قبضه الله إليه صيّر تلك الروح إلى الجنّة في صورة كصورته فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدُّنيا»(١).

فالرواية تبيِّن أنّ الحشر في البرزخ يكون في صورة هي نفس الصورة في الدُّنيا، بحيث إنّ القادم عليهم يعرفهم بتلك الصورة التي كانوا عليها في الدُّنيا.

• وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنّة يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربّنا أقم لنا الساعة، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحِق آخرنا بأوّلنا**»(٢).

• عن أبي ولاّد الحنّاط، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت له: جُعلت فداك يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش؟ قال: **لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم**»(٣).

فتعبير الإمام عليه السلام: «**لكن في أبدان كأبدانهم**» إشارة إلى أنّهم في أبدان ولكنّها ليست هي الأبدان الدنيويّة وإلاّ لما عبّر بالتشبيه بالكاف، وهذا هو البدن المثالي.

• عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّا نتحدّث عن أرواح المؤمنين أنّها في حواصل طير خضر ترعى في الجنّة وتأوي إلى قناديل

---

(١) **أمالي الطوسي**، مصدر سابق: الحديث ١٤ ص ٣٤١.

(٢) **الفروع من الكافي**: الباب١٦٢ ، الحديث٢، ج٣ ص٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه: الحديث ١.

تحت العرش؟ فقال: **لا، إذا ما هي في حواصل طير**. قلت: فأين هي؟ قال: **في روضة كهيئة الأجساد في الجنّة**»[(١)].

ومن أوضح الروايات التي تؤكّد أنّ الحياة البرزخيّة هي حياة روحانيّة وليست مادّية بحسب الدُّنيا والآخرة ما ورد عن حبّة العرني قال: «خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثمّ طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال: **يا حبّة إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته**؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين وأنّهم لكذلك؟ قال: **نعم ولو كُشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون**، فقلت: أجسامٌ أم أرواح؟ فقال: **أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنّها لبقعة من جنّة عدن**»[(٢)].

كان هذا الكلام كلّه في تمايز البدن البرزخي، فماذا عن تمايز الأرواح بعد مفارقتها البدن، عن هذا التساؤل يُجيب الآلوسي في تفسيره، فيقول: «البحث الخامس: في تمايز الأرواح بعد مفارقتها الأبدان:

نصّ ابن القيّم على أنّ كلّ روح تأخذ من بدنها صورة تتميّز بها عن غيرها، وأنّ تمايز الأرواح أعظم من تمايز الأبدان، إلاّ أنّه زعم أنّه لا يمكن التمايز بينها على القول بأنّها جوهر مجرّد عن المادّة، وفيه نظر فإنّ القائلين بذلك قائلون بالتمايز أيضاً باعتبار ما يحصل لها من التعلّق بالبدن أو بنحو

---

(١) الفروع من الكافي، الباب ١٦٢، الحديث ٧ ج ٣ ص ٢٤٥.

(٢) المصدر نفسه: الباب ١٦١، الحديث ١، ج ٣ ص ٣٤٣.

آخر من التمايز، وذكر الشيخ إبراهيم الكوراني في بعض رسائله أنّ الأرواح بعد مفارقتها أبدانها المخصوصة تتعلّق بأبدان أُخر مثاليّة حسبما يليق بها، وإلى ذلك الإشارة بالطير الخضر في حديث الشهداء ـ ثمّ ذكر الأحاديث الكثيرة في هذا المضمون...»[1].

التكامل البرزخي للإنسان

ذكرنا في الأبحاث السابقة أنّ الفلاسفة قسّموا النشآت الوجوديّة والإمكانيّة إلى ثلاثة أقسام، إلاّ أنّ البحث يدور هنا حول ما بيّنه القرآن الكريم في هذا المجال، ثمّ بيان معنى التكامل والاستكمال وأنّه هل يشمل عالم البرزخ؟

ففيما يتعلّق بنشآت الوجود عندما نرجع إلى القرآن الكريم نجده يقسّم عالم الوجود الإمكاني إلى عالمين هما عالم الغيب والشهادة، أو عالم الملك والملكوت أو عالم الظاهر والباطن، وليس غرضنا هنا البحث في تعداد العوالم المرتبطة بالغيب، ولكن يكفينا أن نعرف أنّ العالم الإمكاني وهو عالم خلق الله تعالى الذي يمكن تصنيفه إلى نشأتين هما نشأة الشهادة ونشأة الغيب.

فهناك نشأة يمكن إدراك الكثير من حقائقها بالحواسّ الخمس، وهناك عالم آخر وهو عالم الغيب والملكوت لا يمكن إدراك حقائقه من خلال هذه الحواسّ ولذا يسمّى عالم الغيب، كروح الإنسان على سبيل المثال، لأنّ الروح الإنسانيّة مرتبطة بسنخ عالم الملكوت.

فعندما نتساءل عن التكامل والاستكمال وشموله لكلّ نشآت عالم

---

(١) روح المعاني، مصدر سابق: ج ١٥ ص ١٦١.

الوجود (عالم الغيب والشهادة) فالجواب هو أنّه مختصّ ببعضها دون الآخر ـ كما سيأتي ـ.

أمّا المراد من التكامل والاستكمال فهو بحسب الاصطلاح الفنّي والفلسفي يعني أنّ الشيء يكون في حالة وفيه استعداد أن يكون في حالة أخرى، كالماء الذي فيه استعداد أن يكون في حالة أخرى وهي «البخاريّة» فالتكامل للشيء هي أن يترك مرحلة دانية وينتقل إلى مرحلة أعلى. وهذه المرحلة الأعلى ليس المراد منها ما هو في علم الأخلاق والكلام، لأنّه في الفلسفة عندما نقول مرحلة أشدّ وأعلى وجوداً فليس من الضرورة أن تكون هذه الأعلائيّة في طريق سعادة الإنسان، إذ لعلّها تكون أعلائيّة في طريق التسافل للإنسان، وإن كانت تسمّى بمعنىً آخر تكاملاً.

فالإنسان الذي فيه القابليّة لأن يقتل إنساناً ويملك هذه المرتبة من الخبث الباطني والعناد والاستكبار والاستعداد للقتل وبالمقايسة مع شخص آخر يقتل ألفاً من الناس، فهذان القاتلان كلاهما فيه خبث، ولكن أحدهما أعلى درجة في الخبث. فالتكامل إذن قد يكون أيضاً في البُعد السلبي. وبلغة القرآن الكريم قد يكون التكامل في درجات الجنّة، وقد يكون التكامل في دركات الجحيم، وكلاهما بحسب المنطق الفلسفي يسمّى استكمالاً وتكاملاً. نعم، بحسب المنطق الشرعي والأخلاقي والكلامي لا نعبّر عن هذا التكامل بأنّه تكامل بل هو تسافل.

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦) هذا الكدح مستمرّ ومن كلا الفريقين، فريق أهل الجنّة وكذلك فريق أهل النار والسعير، فالاثنان في صراط التكامل وفي حركة تكامليّة فلسفيّة وليست حركة تكامليّة دينيّة أخلاقيّة كلاميّة.

ومثال التكامل والاستكمال يظهر أيضاً جليّاً في القرآن الكريم في الحركة الجوهريّة للتراب الذي يتحوّل ليكون نطفة الإنسان ثمّ لتكون زيداً مثلاً، وهذا ما ذكرناه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

والمثال الآخر في العقيق الذي كان قبل ذلك تراباً ثمّ ـ وضمن مواصفات كيميائيّة ـ معيّنة تحوّل إلى حجر... وهكذا كلّ نظام عالم المادّة ونشأة الدُّنيا التي نعيش فيها، فيها هذه القابليّة.

وكذلك الحال في القطعة من الورق المدفونة في التراب حيث يتحوّل ترابها إلى نبات، والنبات يأكله الحيوان، ثمّ يأكل الإنسان الحيوان، وذلك الحيوان يكون نطفة ثمّ إنساناً، ويمكن أيضاً للنباتات أن تكون أوراداً وأزهاراً طيّبة. فالله تعالى في هذا النظام الأحسن الذي وضعه في العالم أراد لكلّ شيء أن يتحوّل، وليس الطريق مغلقاً أمام أيّ شيء في هذا العالم.

وكلّ هذا هو ضمن النشأة الدنيويّة التي نعيش فيها. وليس الأمر كذلك في نشأة الغيب، فالملائكة خلقت بنحو تبقى فيه إلى الأبد على حالها، وليس لها حركة تكامليّة، ولا حالات متغيّرة ومتعدّدة تنتقل فيها من حال إلى حال.

بعبارة أوضح: إنّ بدو الملائكة وحشرهم شيء واحد، فلا يزدادون علماً ولا عملاً، والملائكة ينقسمون إلى أقسام متعدّدة، ولهم درجات مختلفة، بعضهم عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: ٢١)، وهناك ملائكة تحت أوامر الملائكة المقرّبين، والباب مغلق أمام من هم أدنى

ليرتقوا إلى المرتبة الأعلى من الملائكة، وهذا بخلاف الإنسان في الدُّنيا، فالمؤمن يمكن أن يتحوّل إلى كافر ومنافق، وهكذا العكس.

والحاصل من هذا البحث: أنّ عالم الدُّنيا هو من أهمّ العوالم التي يقع فيها التكامل والاستكمال، ولذلك كان التكليف، والثواب والعقاب، والامتحان والابتلاء، والرسائل السماويّة، والرسل والأنبياء، وهذا كلّه غير موجود للملائكة.

ومن خصائص التكامل والاستكمال الدنيوي بالنسبة إلى خصوص الإنسان أنّ الله تعالى خلقه في النشأة الدنيويّة وزوّده بكلّ ما يحتاج إليه للوصول إلى كماله اللائق به؛ قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠) أي هداه إلى غايته وإلى الهدف الذي من أجله خُلق، لأنّنا نؤمن ونعتقد أنّه سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً عبثاً وجزافاً ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ (المؤمنون: ١١٥). فالرجوع إلى الله هو الغاية الأساسيّة من خلق الإنسان.

ولذا قال أهل المعرفة: «الغايات هي الرجوع إلى البدايات».

إذن الإنسان واقع في صراط الهداية، والله تعالى عندما خلقه هيّأ له كلّ ما يحتاج إليه للوصول إلى الهدف الأسمى كما قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**كلٌّ ميسّر لِما خُلق له**».(١)

والإنسان أمامه طرق أساسيّة هي بنحو عام طريقان؛ الأوّل يؤدّي به إلى البُعد عن رحمة الله الخاصّة، والثاني يؤدّي به إلى القُرب منه تعالى والوصول إلى دار رحمته.

وفي تقسيم آخر يمكن أن نقسّم هذه الطرق التي يمرّ بها الإنسان إلى

---

(١) روح المعاني، مصدر سابق: ج ١٥ ص ١٦١.

تقسيم رباعي:

الأوّل: هو الذي به يستطيع الإنسان بما زوِّد من إمكانات وقابليّات أن يصل إلى مقام الملائكة، بل يتجاوزهم، وهذا الطريق ينبغي فيه أن يكون طاهراً مقدّساً ليصل إلى المقام المذكور في القرآن الكريم وهو مقام ﴿**دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**﴾ (النجم: ٨ ـ ٩)، ومقام أن يقول فيه جبرئيل للإنسان الكامل: «**لو دنوت قيد أُنملة لاحترقت**».[١]

• يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقلُه شهوته فهو خيرٌ من الملائكة، ومَن غلبت شهوتُه عقله فهو شرٌّ من البهائم**»[٢].

ومن الأخطاء الشائعة القول بأنّ الإنسان أفضل من الملائكة، والصحيح هو أنّ الإنسان ليس أفضل من الملائكة، بل فيه قابليّة أن يكون أفضل من الملائكة، وإلاّ لكان فرعون الطاغية أفضل من الملائكة.

الثاني: هو طريق الشيطنة والخداع والحيلة، بحيث يصل الإنسان إلى مرحلة يكون فيه شيطاناً، بل الشيطان الأكبر، ومعلّماً للشياطين، ولذا قال تعالى: ﴿**شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ**﴾ (الأنعام: ١١٢).

الثالث: طريق السبعيّة والغضبيّة، والذي يؤدّي بالإنسان ليكون سبعاً مفترساً وذئباً ضارياً، فالذئاب لو وضعت بين البشر تقتل واحداً أو اثنين أو ثلاثة، وبعد أن تشبع تترك الآخرين، وهكذا كلّ الوحوش، أمّا الإنسان فإنّه عندما يقع في طريق السبعيّة فمن الممكن أن يقتل ملايين البشر.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب (ت: ٥٨٨هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف: ج١ ص١٥٥.

(٢) نهج البلاغة، المستدرك: ص ١٧٢.

الرابع: طريق الشهوة والبهيميّة، بحيث ينقاد الإنسان إلى شهوته وبهيميّته ليصل إلى مقام: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤)، وفي بعض الأمثلة القرآنيّة عن مثل هذا النوع من البشر يقول تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة: ٥)، ويقول: ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ (الأعراف: ١٧٦).

والحقّ تعالى جعل من نفسه ممدّاً لكلّ من يريد السير في إحدى هذه الطرق؛ قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: ٢٠).

هذا كلّه عن عالم الدُّنيا، فماذا عن التكامل والاستكمال في عالم الآخرة؟

مرادنا من عالم الآخرة عالم الحشر الأكبر ـ وليس البرزخ ـ والعالم الذي تتطاير فيه الكتب، والمرحلة النهائيّة التي فيها إمّا الجنّة أو النار الأبديّة.

في تلك النشأة الأخرويّة من المحتوم به أنّه لا يوجد أيّ تكامل واستكمال، لأنّها ليست نشأة العمل، بل هي جزاء العمل، وبتعبير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**الدنيا مزرعة الآخرة**»[(١)] ففي الدُّنيا يزرع والنتيجة في الحياة الأخرى، أو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل**».[(٢)]

أمّا بالنسبة إلى الشفاعة فهي ليست عملاً، بل هي نتيجة العمل، والموالي لأئمّة أهل البيت عليهم السلام من خلال الولاء والتسليم لهم يحصل على الثمرة من ذلك في النشأة الأخرويّة.

وهنا نصل في خاتمة المطاف إلى البحث الأساس وهو عن التكامل

---

(١) عوالي اللآلي، مصدر سابق: ج١ ص٢٦٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٤٢.

والاستكمال في عالم البرزخ فماذا يوجد فيه من هذه الناحية ؟

من الواضح أنّ الحياة البرزخيّة ليس فيها قدرة على ابتداء العمل، بمعنى أن يبدأ فيها الإنسان عملاً ثمّ يتحوّل إلى عمل آخر.

ففي هذه الحياة يوجد استكمال، ولكنّه استكمال للعمل الذي بدأه الإنسان في النشأة الدنيويّة، وهو ليس بعمل جديد، فإذا كان الإنسان قد بدأ بعمل الخير في الدُّنيا ففي الحياة البرزخيّة يمكن أن يستكمل هذا العمل ولكن بأيّ معنى؟

هو بمعنى أن تصل إليه نتائج هذا العمل وهو في البرزخ. ولا فرق في ذلك بين أن يكون هذا العمل إيجابيّاً «**مَن سنّة سنّةً حسنة**» وأن يكون سلبيّاً «**مَن سنَّ سنّةً سيّئة**».

فالنشأة البرزخيّة فيها تكامل واستكمال، ولكنّه لتتميم العمل الذي بدأه في الدُّنيا، وليس لابتداء عمل جديد، وإلى هذا أشارت الكثير من الروايات ومنها:

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مرَّ عيسى بن مريم عليهما السلام بقبر يُعذَّب صاحبه، ثمّ مرَّ به من قابل فإذا هو ليس يُعذَّب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يُعذّب، ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يُعذّب؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا روح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل إبنه**»[1].

فالميّت الذي كان يُعذَّب لم يكن مستطيعاً للاستغفار لأنّ هذا عمل ابتدائيّ، ولكنّه أدرك له ولدٌ صالح، وصدر منه عمل في الدنيا فوصلت إليه آثار ذلك العمل.

---

(١) **أمالي الصدوق**، مصدر سابق: الحديث ٨ ص ٦٠٣.

وهناك أيضاً روايات أُخرى في هذا المجال، ومنها الروايات التي ورد في مضمونها أنّه ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث خصال: صدقةٌ أجراها في حياته، وهذه تجري بعد موته إلى يوم القيامة، وسنّة هُدى سنّها وكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره، وولدٌ صالحٌ يستغفر له. وهذا يعني أنّ الإنسان يلحقه بعد موته شيءٌ من الأجر والثواب، ومنها:

• عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث خصال: صدقةٌ أجراها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة، صدقةٌ موقوفة لا تورث؛ أو سنّة هدى سنّها، وكان يعمل بها، وعمل بها من بعده غيره، أو ولدٌ صالح يستغفر له**».(١)

• عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**ستّ خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولدٌ صالح يستغفر له، ومصحفٌ يُقرأ فيه، وقليب يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنّة حسنة يؤخذ بها بعده**».(٢)

• عن معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيّ شيء يلحق الرجل بعد موته؟ قال: «**يلحقه الحجّ عنه، والصدقة عنه، والصوم عنه**».(٣)

• عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**خير ما يلحقه الرجل بعده ثلاثة: ولدٌ بارٌّ يستغفر له، وسنّة خير يُقتدى به فيها، وصدقة تجري من بعده**».(٤)

وهذه المصاديق الثلاثة نجد أنّها تعرِض لأعمال بدأها الإنسان في الدُّنيا لا أنّه يستطيع أن يبدأها في الآخرة.

---

(١) **الخصال**، مصدر سابق: الحديث ١٨٤ص ١٥١.

(٢) المصدر السابق : الباب ٦، الحديث ٩، ص ٣٢٣.

(٣) **المحاسن** ، مصدر سابق: الحديث ١٥٢ ص ٧٢.

(٤) **أمالي الطوسي**، مصدر سابق: ص ٢٤٢.

المبحث الثامن

النفخ في الصور

- القرآن والنفخ في الصور
- نفخة واحدة أم متعدّدة
- أشراط الساعة والنفخ في الصور
- حقيقة النفخ
- حال الإنسان بين النفختين
- المستثنون من النفخة

القرآن والنفخ في الصور

وردت مسألة النفخ في الصور في العديد من آيات الكتاب الكريم، منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف: ٩٩).

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه: ١٠٢).

٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١).

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: ٨٧).

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٥١ـ٥٣).

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

إلى غيرها من الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر النفخ في الصور.

وفي كتب التفسير أسهب المفسِّرون وأطنبوا في شرح وبيان معنى النفخ في الصور، وعدد النفخات التي تحصل، وآثار هذا النفخ على العالمين، ومن هو الذي ينفخ في الصور، وهل هناك من يستثنى من النفخ، وغير ذلك من

الأمور المتعلّقة بهذا البحث.

وممّا ذكره الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ قال: «اختُلف في الصور فقيل: هو قرن ينفخ فيه، وقيل: هو جمع صورة فإنّ الله يصوّر الخلق في القبور كما صوّرهم في أرحام الأُمّهات، ثمّ ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم في أرحام أُمّهاتهم؛ وقيل: إنّه ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات:

الأولى: نفخة الفزع.

والثانية: نفخة الصعق التي يصعق مَن في السماوات والأرض بها فيموتون.

والثالثة: نفخة القيام لربّ العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم ﴿فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ أي حشرنا الخلق كلّهم يوم القيامة في صعيد واحد»(١).

أمّا عن الاستثناء من النفخة الوارد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فقال: «من الملائكة الذين يثبّت الله قلوبهم وهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل: هم الشهداء فإنّهم لا يفزعون في ذلك اليوم»(٢).

وقال القرطبي: «النفخ في الصور، وإنّما هما نفختان، يموت الخلق في الأولى منهما ويحيون في الثانية.. والذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام، وقد قيل: إنّه يكون معه جبرئيل...»(٣).

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٧٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٣) **الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي**، محمّد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ: ج ١٥ ص ٢٧٩.

وقال الشيخ الطوسي في تفسيره (التبيان) في معنى النفخ في الصور:

«وقال الحسن وقتادة: الصور صور الخلق. وقال مجاهد: هو قرن كالبوق ينفخ فيه. وقيل النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لربّ العالمين.. وقيل: وجه النفخ في الصور أنّه على تصوّر ضرب البوق للاجتماع على المسير إلى أرض الجزاء بالحال التي تعرف في دار الدُّنيا، ومن ذهب إلى أنّه جمع صورة، قال: المعنى نفخ الأرواح في الأجساد بردّها إلى حال الحياة التي كانت عليها...»[(١)].

وقال الطباطبائي في تفسيره: «النفخ في الصور كناية عن إعلام الجماعة الكثيرين كالعسكر بما يجب عليهم أن يعملوا به جمعاً كالحضور والارتحال وغير ذلك، والفزع كما قال الراغب: انقباض نفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع..»[(٢)].

وفي تفسير الأمثل حول النفخ في الصور قال: «يتّضح بصورة جيّدة من هذه الآية أنّ حادثتين تقعان مع نهاية العالم وعند البعث، في الحادثة الأولى يموت الأحياء فوراً، وفي الحادثة الثانية ـ التي تقع بعد فترة من وقوع الحادثة الأولى ـ يعود كلّ الناس إلى الحياة مرّةً أخرى، ويقفون بانتظار الحساب.

القرآن المجيد عبّر عن هاتين الحادثتين بـ «النفخ في الصور»، وهذا التعبير كناية عن الحوادث المفاجئة والمتزامنة التي ستقع، و«الصور» بمعنى البوق الذي يُتّخذ من قرن الثور، ويكون مجوّفاً عادةً حيث يستخدم مثل

---

(١) التبيان، الطوسي، تصحيح وتعليق: الشيخ أحمد قصير، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، قم، ١٤٠٩: ج ٨ ص ١٢٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٥ ص ٣٩٩.

هذا البوق في حركة القوافل أو الجيش وتوقّفها، وطبعاً هناك تفاوت بين النفخة للحركة والنفخة للتوقّف.

كما يبيّن هذا التعبير بسهولة الأمر ويوضح كيف أنّ الباري عزّ وجلّ ـ من خلال أمر بسيط وهو النفخ في الصور ـ يُميت كلّ مَن في السماء والأرض، وكيف أنّه يبعثهم من جديد بنفخة صور أخرى...»(١).

وفي بعض الآيات عبّر القرآن الكريم عن النفخ بالصور بـ «الصيحة» كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (يس: ٤٩).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ (ص: ١٥).

وكذلك عبّر عنه في بعض الآيات بالنقر في الناقور، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثّر: ٨ ـ ١٠).

أمّا عن كيفيّة هذا الصور وشكله وحجمه، فقد أشارت الروايات الكثيرة إلى ذلك، ومنها:

- عن ثوير بن أبي فاختة، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «سُئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: **ما شاء الله**. فقيل له: فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: **أمّا النفخة الأولى فإنّ الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدُّنيا ومعه صور [الصور]، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كلّ رأس منهما ما بين السماء والأرض.** قال: **فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا: أذن الله في موت أهل الأرض.** قال: **فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى**

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م: ج ١٥ ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

في الأرض ذو روح إلاّ صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلاّ صعق ومات إلاّ إسرافيل. قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مُت؛ فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثمّ يأمر الله السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير...»[١].

نفخة واحدة أم متعدّدة؟

بعد أن ذكرنا آراء بعض المفسّرين وأقوالهم في عدد النفخات يمكن لنا القول بأنّ القرآن الكريم بيّن لنا بشكل صريح أنّ النفخة ليست واحدة بل هناك نفختان على الأقلّ، ومعنى ذلك هو أنّه بنفخة واحدة يموت كلّ حيّ، والنفخة الثانية لقيام الناس إلى ربّهم سبحانه وتعالى لأجل الحساب والجزاء الأخروي.

والقرآن الكريم لم يتعرّض في آياته الكريمة ولم يحدّد عند ذكره للنفخة أهي الأولى أم الثانية.

ويمكننا أن نتبيّن ذلك من القرائن ومضامين الآيات، ولكن سورة الزمر صرّحت بذلك وأشارت إلى هاتين النفختين، فالأولى هي في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وأمّا الثانية فهي في قوله تعالى وفي تتمّة الآية: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨)، ومن الآيات التي أشارت للنفخة الثانية قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (يس: ٥١)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (النمل: ٨٧).

وفي بعض الأقوال كما ذكر الطبرسي أنّ النفخات ثلاث ـ كما تقدّم ـ.

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

أشراط الساعة والنفخ في الصور

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ (محمّد: ١٨).

قال المفسِّرون بأنّ المراد من «الساعة» في هذه الآية وفي غيرها من الآيات التي ورد فيها ذكر قيام الساعة هو «يوم القيامة» الذي يأتي على الناس بغتةً وفجأةً، ولكن يكون قبل ذلك شروط وعلامات تُنذر الناس بهذا الأمر. والشَرَط ـ بالتحريك ـ: العلامة، والجمع أشراط، وأشراط الساعة هي أعلامها(١).

والحاصل: المراد من أشراط الساعة هو العلامات والآيات التي تخبر عن اقتراب ودنوّ يوم القيامة وقربه.

ومن الواضح ـ كما ذكر القرآن الكريم ـ أنّ قيام الساعة من الأمور التي يجهلها البشر وليس لهم أن يبلغوا إلى مثل هذا العلم ـ باستثناء النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام كما حقّقنا ذلك في محلّه ـ ولذا:

- قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ (الأعراف: ١٨٧).
- وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٥).
- وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (فصّلت: ٤٧).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (غافر:٥٩).
- وقال: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (الحج: ٧).

---

(١) لسان العرب: ج٧ ص ٣٢٩، انظر مادّة: شرط.

- وقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ (القمر: ٧٦).
- وقال تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ (الكهف: ٢١).

ولكن ما هو المقصود من أشراط الساعة، وما هو الارتباط بينها وبين النفخ في الصور؟

إذا أردنا أن نقسِّم المراتب والمراحل التي يمرّ بها الإنسان بعد قوس النزول فنستطيع أن نقول بأنّه يمرّ بمرحلتين أساسيّتين:

المرحلة الأولى: هي المرحلة التي يعيش فيها في هذه الدُّنيا وتتمّات هذه الدُّنيا، ونحن ذكرنا في الأبحاث السابقة بأنّ البرزخ له نوع من الارتباط بهذه النشأة ومتمّماتها، ولذا فإنّ عمل الإنسان لا ينقطع وهو في البرزخ، وإن كان له حياته الخاصّة في الحياة البرزخيّة.

المرحلة الثانية: هي المرحلة التي يمرّ بها الإنسان خلال الحشر الأكبر والقيامة الكبرى، وهو اليوم الذي عبّر عنه القرآن الكريم بيوم لا ريب فيه؛ قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (آل عمران: ٩).

ويعتبر القرآن الكريم أنّ الحشر الأكبر له أشراط، ولعلّنا لا نجد في القرآن الكريم ما يشير إلى هذه الأشراط إلاّ في آية واحدة في سورة «محمّد» في قوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ** ﴾ (محمّد: ١٨).

فالساعة في هذه الآية هي واحدة من أسماء يوم القيامة الكبرى، وإن كان للقيامة أقسام متعدّدة قد تصل إلى خمسة أقسام، ونحن إنّما نبحث هنا عن الحشر الأكبر والقيامة الكبرى واليوم الذي يجمع الله الناس فيه دون سائر الأقسام.

فهذا اليوم له أشراط؛ لأنّه ليس هناك أيّ معنى بأن ينتقل الإنسان إلى ذلك اليوم في الحشر الأكبر دون أن يمرّ على هذه النشأة الدنيويّة.

فإذن الأشراط هي الأمور التي تقع وتحصل قبل القيامة الكبرى والحشر الأكبر، وإن كانت هذه الأشراط أشراطاً بعيدة، وبدون هذه الأشراط لا يمكن أن يحدث الحشر الأكبر وفقاً للقاعدة العقليّة والأصوليّة القائلة «إنّ المشروط عدمٌ عند عدم شرطه» خصوصاً في الأمور التكوينيّة.

ومن أشراط الساعة وقيام القيامة الكبرى النفخ في الصور، وهذا ما أشارت إليه الآيات التي ذكرناها في مقدّمة هذه الأبحاث، والتمعّن في هذه الآيات يفيد يقيناً العلاقة الوثيقة بين أشراط الساعة والنفخ في الصور، وأنّه من المسلّمات القرآنيّة أن لا تحصل القيامة قبل النفخ في الصور.

حقيقة النفخ

لم يتعرّض القرآن الكريم إلى بيان حقيقة النفخ في الصور، وأوكل بيان هذه الحقيقة إلى الروايات التي أشارت بالتفصيل إلى حقيقة النفخ وما يجري على الناس في حينها، والحوادث التي تقع عند حصوله، ومن هنا صرّح الكثير من العلماء والمحقّقين بأنّه من الضروري الإيمان بحصول النفخ في الصوري، وأنّه من أشراط الساعة، وليس من الواجب الإيمان بكلّ التفاصيل المتعلِّقة به.

قال العلاّمة المجلسي: «وأمّا الصور فيجب الإيمان به على ما ورد في النصوص الصريحة، وتأويله بأنّه جمع للصورة ـ كما مرّ من الشيخ الطبرسي وقد سبقه المفيد ـ فهو خروج عن ظواهر الآيات بل صريحها...»[1].

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦ ص ٦٣٦.

فكيفيّة النفخ، وصيغته، وصورته... كلّ هذه من الأمور التي ليست داخلة في صلب الاعتقاد بحصول النفخ في الصور قبل القيامة الكبرى، وهي من القضايا التي قد نقف على حقيقتها وقد لا نقف.

أمّا من أراد الاطّلاع على حقيقة هذه المسائل فيمكنه ذلك من خلال الرجوع إلى النصوص الروائيّة التي اختلف العلماء في تفسيرها وتأويلها، وقبِلها البعض وردّها البعض الآخر. ونحن ذكرنا في ما تقدّم رواية عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام ورد فيها بيان كيفيّة النفخ وما إلى ذلك.

حال الإنسان بين النفختين

من الحقائق التي وصلنا إليها في هذه الأبحاث أنّ الحياة البرزخيّة سنخ حياة تختلف عن الحياة الدنيويّة، وإن كان هناك بعض المشتركات بينهما، ولكن ماذا عن حياة الإنسان في الفترة الواقعة بين النفخة الأولى وبين النفخة الثانية؟

القرآن الكريم أشار إلى وجود إماتتين وإحياءين في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ (غافر: ١١).

وفي تفسير الآية قال الشيخ البهائي: «وتقريره أنّه سبحانه حكى عنهم على وجه يشعر بتصديق الاعتراف بإماتتين وإحياءين، فإحدى الإماتتين في الدُّنيا، والأخرى في القبر بعد السؤال، وأحد الإحياءين فيه للسؤال، والآخر في القيامة؛ وأمّا الإحياء في الدُّنيا فإنّما سكتوا لأنّ غرضهم الإحياء الذي عرفوا فيه قدرة الله سبحانه على البعث...»[1].

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢١١.

والإماتة غير الموت، فالموت ليس بالضرورة أن يكون مسبوقاً بالحياة لأنّ الذي لم يكن حيّاً يصدق عليه أيضاً وصف الميّت، أمّا الإماتة فلا تصدق إلاّ على حيّ ثمّ مات. والآية في سورة غافر تشير إلى إماتتين كما ذكرنا.

ومعنى ذلك أنّه لا يمكننا أن نفترض أنّ الإماتة الأولى كانت قبل حياة الإنسان في الدُّنيا لأنّ ذلك كان موتاً وليس إماتة.

فالإماتة لا تتحقّق إلاّ بحياة، والحياة الأولى للإنسان هي في هذه الدُّنيا، والإماتة الأولى تكون بالانتقال من الدُّنيا إلى البرزخ، ثمّ تكون الإماتة الثانية في النفخ الأوّل باعتبار أنّه كان يحيا حياةً برزخيّة.

وبالعودة إلى الجواب عن السؤال المتقدّم نقول: إنّ الحياة البرزخيّة هي الحياة التي تكون قبل النفخة الأولى، والإماتة الثانية تكون عن حياة سابقة هي الحياة البرزخيّة، أمّا الإماتة الأولى فهي التي تكون بعد الحياة الدنيويّة.

وما نبتغي الوصول إليه من خلال هذه المقدّمات هو القول بأنّ للإنسان بعد الحياة الدُّنيا إماتة وينتقل من خلالها من حياة دنيويّة إلى حياة أخرى هي الحياة البرزخيّة ـ وهذا ما تقدّم بيانه ـ وكذلك توجد للإنسان أيضاً إماتة وانتقال من الحياة البرزخيّة وذلك يكون قبل أن يدخل في الحياة الأخرويّة وقبل الحشر الأكبر والقيامة الكبرى.

فإذن هناك فترة وفاصلة هي المعبَّر عنها في القرآن الكريم بأنّها الواقعة بين النفختين، وقد بيّنا أنّ النفخة الأولى هي للإماتة، والنفخة الثانية هي للإحياء لأجل القيام لربّ العالمين حيث الحساب والجزاء، والمآل والمصير إمّا إلى الجنّة أو النار.

والكلام المطروح هنا: ما هو حال الإنسان ما بين النفختين؟ وفي الجواب عن ذلك توجد نظريّتان:

النظريّة الأولى: تدّعي أنّ الإنسان يُعدم انعداماً محضاً ولا يكون بعد ذلك أيّ شيء، ويبطل وجوده بعد النفخة الأولى. فكما أنّ الإنسان لم يكن شيئاً، فكذلك هذا حاله بعد النفخة الأولى، وبعد النفخة الثانية يُعاد إيجاده من جديد.

وإلى هذه النظريّة ذهب أكثر المتكلِّمين من الفريقين، وهذا هو منشأ البحث الفلسفي عن إعادة المعدوم حيث طرحت هذه القضيّة وهي أنّ الإنسان بعد أن يُعدم هل يُعاد بعينه أم لا يُعاد؟

وهنا أيضاً اختلفت كلمات الفلاسفة عن المتكلّمين، فقال المتكلّمون بأنّه يُعاد بعينه، وقال الفلاسفة بأنّ إعادة المعدوم ممتنعة، محالة، غير ممكنة.

النظريّة الثانية: وهي نظريّة الفلاسفة والحكماء الذين قالوا بأنّ الإنسان بعد النفخة الأولى لا يُعدم، ولا يكون عدماً محضاً، وإنّما يكون له نحو من الوجود، ونحو من الحياة.

وهاتان النظريّتان أشارت إليهما الروايات الواردة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ومن الروايات التي استدلّ بها أصحاب النظريّة الأولى ما ورد عن هشام بن الحكم في خبر الزنديق الذي سأل الإمام الصادق عليه السلام عن مسائل إلى أن قال:

أيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال عليه السلام: «**بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حسّ ولا محسوس، ثمّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين**»[1].

فقوله عليه السلام: «**فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى...**» يفيد نفس

---

(١) الاحتجاج: ص ٣٥٠؛ بحار الأنوار: الحديث ١٥، ج ٦ ص ٣٣٠.

المضمون الذي قال به أصحاب النظريّة الأولى، وأنّ الأشياء بعد النفخة الأولى تكون عدماً محضاً، وبعد النفخة الثانية تُعاد من جديد.

وفي مناقشتنا للرواية لن نتعرّض لصحّة سندها أو عدم صحّته، بل نقاشنا هو في مضمونها وعرضها على كتاب الله تعالى. فإن وافق الكتاب أخذنا بها، وإلاّ كانت زخرفاً وضربنا بها عرض الجدار.

لقد قالت الرواية بأنّ الإنسان بعد النفخ الأوّل يُعدم ويفنى، فماذا يقول القرآن الكريم؟ قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ (ق: ٤٢).

فهنا نسأل: الأشياء لو كانت معدومة كيف لها أن تسمع وتشعر بالنفخة الثانية يوم الخروج (القيامة)، فهؤلاء إذن كان فيهم نحو من الحياة، وإلاّ لو كانوا معدومين، متلاشين، باطلين بطلاناً محضاً... فلا معنى حينئذ بأن يقول عنهم القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ فهل المعدوم له سمعٌ حتّى يسمع؟ وكيف له أن يستجيب لنداء إسرافيل؟ وهذا النقاش كلّه بحسب ظاهر الرواية.

أمّا لو تأمّلنا في ذيل الرواية فسيتبيّن لنا بأنّه ليس المراد من بطلان الأشياء هو العدم، فقوله عليه السلام: «**وذلك أربعمائة سنة يسبت فيها الخلق**» إشارة إلى أنّه ليس هناك انعدام وإنّما هناك حالة سبات المشابهة نوعاً ما لحالة الشجرة عندما تيبس فهي لا تكون ميّتة بمعنى الانعدام، ولا هي حيّة لأنّ آثار الحياة غير موجودة فيها بحسب الظاهر، فلها حالة وسطيّة بين الموت والحياة، وهكذا حال الإنسان ما بين النفختين حيث يعيش حالة السبات، فإذا جاءت الصاخة تفزعه من الحالة التي هو فيها، ومن النوم...

والآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ تبيّن أنّ هناك درجة من درجات الحياة موجودة، وهناك قابليّة لسماع الصيحة في النفخة الثانية.

المستثنون من النفخة

ذكرت بعض الآيات الكريمة التي تعرّضت للنفختين استثناءً للبعض من هاتين النفختين، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧).

فمن هم هؤلاء المستثنون من النفخ ؟

في بعض الروايات أنّهم الملائكة الذين يثبّت الله قلوبهم وهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل: هم الشهداء فإنّهم لا يفزعون في ذلك اليوم[1].

وهذا الاستثناء يحصل في النفخة الأولى بدليل قوله تعالى في الآية المتقدّمة بعد الاستثناء: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

والاستثناء كما هو صريح الآية ليس فقط إلاّ من الفزع من الصقعة الناتجة عن النفخ في الصور، أمّا ما ذكرته بعض الروايات عن شمول الموت للجميع بمن فيهم المستثنون في الآية، فلا يتعارض مع هذا الاستثناء، ومن هذه الروايات: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ نعى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله نفسه فقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

ثمّ أنشأ يحدّث فقال: إنّه يموت أهل الأرض حتّى لا يبقى أحد، ثمّ يموت أهل السماء حتّى لا يبقى أحد إلاّ ملك الموت وحَمَلة العرش وجبرئيل وميكائيل، قال: فيجيء ملك الموت حتّى يقوم بين يدي الله عزّ وجلّ فيُقال له: مَن بقي؟ ـ وهو أعلم ـ فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت وحملة العرش

(١) مجمع البيان، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

وجبرئيل وميكائيل، فيُقال: قُل لجبرئيل وميكائيل: فليموتا، فيقول الملائكة عند ذلك: يا ربّ رسولاك وأميناك، فيقول: إنّي قد قضيت على كلّ نفس فيها الروح الموت؛ ثمّ يجيء ملك الموت حتّى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيُقال له: مَن بقي؟ ـ وهو أعلم ـ فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش فليموتوا، قال: ثمّ يجيء كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه، فيُقال له: مَن بقي؟ فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت، فيُقال له: مُت يا ملك الموت. فيموت. ثمّ يأخذ الأرض بيمينه والسماوات بيمينه، ويقول: أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً؟ أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر؟»[1].

---

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: الحديث ٢٥، ج ٣ ص ٢٥٦.

المبحث التاسع

المعاد الجسماني والروحاني

- تمهيد
- مكمن النزاع
- نظريات الأعلام في حقيقة المعاد
  - النظرية الأولى: أنّه لا فرق بين الدنيا والآخرة
  - النظرية الثانية: أنّ حقائق ذلك العالم صور مثالية
  - النظرية الثالثة: أنّ الآخرة نشأة أخرى وراء هذه النشأة
  - النظرية الرابعة: أن المعاد الجسماني لا مادّي
- حقيقة الجسم المحشور يوم النشور
- دفع بعض الشبهات التي ترد على القول بالمعاد الجسماني
  - الأولى : شبهة الآكل والمأكول
  - الثانية: شبهة العينية والمثلية
  - الثالثة: شبهة بعض الملاحدة

تمهيد

اختلفت كلمة الفلاسفة والمتكلّمين في كيفية المعاد، بعد أن اتّفقوا على أصل ثبوت النشأة الأخرى الباقية، وحصيلة الاتجاهات في ذلك ثلاثة:

١ـ المعاد جسمانيّ فقط؛ وهذا ما نسب إلى جمهور الإسلاميين وعامّة الفقهاء وأصحاب الحديث، وذلك لأنّ النفس عندهم جسم لطيف سارٍ في البدن سريان النار في الفحم، والماء في الورد. فالإنسان ـ بحسب الحقيقة ـ ليس مركّباً من روح وجسم، بل حقيقته أنّه جسم، ولذا حصروا المعاد في الجسماني فقط دون غيره.

٢ـ المعاد روحاني فقط؛ وهذا ما نسب إلى جمهور الفلاسفة، حيث حصروا المعاد بالروحاني دون الجسماني، واستدلوا لذلك بوجوه ذكروها.

٣ـ المعاد جسماني ورحاني معاً؛ وهو مذهب المحقّقين من أكابر الحكماء ومشايخ العرفاء وأعاظم المتكلمين من الإمامية وغيرهم، وهو القول الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال صدر المتألّهين: «اتّفق المحقّقون من الفلاسفة والملّيّين على أحقّيّة المعاد، وثبوت النشأة الباقية، لكنّهم اختلفوا في كيفيّته، فذهب جمهور الإسلاميّين وعامّة الفقهاء وأصحاب الحديث إلى أنّه جسماني فقط، بناءً على أنّ الروح عندهم جسم سار في البدن سريان النار في الفحم، والماء في الورد، والزيت في الزيتونة، وذهب جمهور الفلاسفة وأتباع المشّائين إلى أنّه روحانيّ أي عقليّ فقط؛ لأنّ البدن ينعدم بصُوَرِه وأعراضه لقطع تعلّق النفس بها، فلا يعاد بشخصه تارةً أخرى، إذ المعدوم لا يُعاد، والنفس

جوهر باقٍ لا سبيل للفناء إليه، فتعود إلى عالم المفارقات؛ لقطع التعلّقات بالموت الطبيعي.

وذهب كثير من أكابر الحكماء ومشايخ العرفاء وجماعة من المتكلّمين كالغزالي والكعبي والحليمي والراغب الأصفهاني وكثير من أصحابنا الإماميّة كالشيخ المفيد، وأبي جعفر الطوسي، والسيّد المرتضى، والمحقّق الطوسي، والعلاّمة الحلّي، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى القول بالمعادين، ذهاباً إلى أنّ النفس مجرّدة تعود إلى البدن»[1].

وقال الفخر الرازي: «اختلفت أقوال أهل العلم في أمر المعاد على وجوه:

١ـ أنّ المعاد ليس إلا للنفس، وهو مذهب الجمهور من الفلاسفة.

٢ـ إنّ المعاد ليس إلا لهذا البدن، وهو قول نفاة النفس الناطقة، وهم أكثر أهل الإسلام.

٣ـ إنّ المعاد للأمرين، وهم طائفة كبيرة من المسلمين»[2].

مكمن النزاع

إنما يرجع النزاع والاختلاف في المعاد في كونه جسمانيّاً أو روحانيّاً أو هما معاً، إلى الاختلاف في حقيقة الإنسان في هذه النشأة.

فالذي يعتقد بأن هوية الإنسان وحقيقته هي جسمه لا شيء آخر، فلابدّ أن يحصر المعاد بالجسماني دون غيره.

وأمّا الذي حصر هويّة الإنسان وحقيقته بروحه لا بجسده، فإنّ المعاد

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، مصدر سابق: ج٩ ص ١٦٥.

(٢) نهاية العقول، نقلاً عن بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ج ٧ ص ٤٣.

سيكون عنده روحانيّاً ليس إلاّ، إذ العود للشيء وشيئيّة الشيء بحقيقته وهويّته وهي روحانيّة، فمعاده لا يكون إلاّ روحانيّاً.

بينما الذي وجَد أنّ الإنسان في الدُّنيا حقيقة واحدة ذات بُعدين أحدهما روحاني وهو روحه التي بين جنبيه، والآخر بدنه الذي يعتبر آلة تنجز روحُه من خلاله الأفعال، ووجد أنّ لكلّ من هذين البُعدين أحكامه الخاصّة به، فالجسم محكوم بالزمان والمكان والحركة والمقدار، بينما الروح فغير محكومة بمثل هذه الأحكام، فهي ثابتة لا تتغيّر غير محدودة بزمان ولا مكان ولا مقدار له، ولكلٍّ منهما كمالاته الخاصّة به، ونقائصه أيضاً، فأمراض الروح غير أمراض البدن، ولذائذ الروح غير البدن، إذن فحقيقة الإنسان في هذه النشأة مزيج من بُعدين يوجدان بوجود واحد، فالذي يعتقد بمعاد هذه الحقيقة لابدّ أن يقول بمعاد مزيج لها، فتلتذّ بلذائذ حسّية وأخرى روحانيّة، والحسّية لابدّ لنيلها من جسم، وكذلك الروحانيّة لا تُنال إلاّ بمبدأ يتناسب مع طبيعته، فلو كان المعاد روحانيّاً فقط لحرم الإنسان في النشأة الآخرة من اللذائذ الحسّيّة، وأكثر الخلق إنّما يكون همّهم في الدُّنيا مثل هذه اللذائذ فيُحرمون في الآخرة من اللذائذ. ولو كان جسمانيّاً فقط لحرم الأولياء والمقرّبون من اللذائذ العقليّة الروحانيّة التي جاهدوا في سبيلها الجهاد الشاقّ والمضني في الدُّنيا لكي يصلوا إلى لذّة القُرب الإلهي ولذّة العلم والمعرفة، فحرموا أنفسهم من مُتع الحياة في سبيل الحصول على تلك اللذّة، بل قد عرّض البعض نفسه للمهالك والمخاطر لأجل لذّة علميّة ومتعة عقليّة. إذن فيكمن النزاع في معرفة حقيقة الإنسان في الدُّنيا وما له من لذائذ.

نظريات الأعلام في حقيقة المعاد

النظرية الأولى: أنّه لا فرق بين الدنيا والآخرة

تعتقد هذه النظرية أنه لا فرق بين الدنيا والآخرة غير الوجود للمرّة الثانية، بمعنى أنّ كل ما نراه اليوم من شمسٍ وقمر وأرض، يتكرّر على ما هو عليه مرّة أخرى، بنفس الأنظمة والخصوصيات. والفرق الوحيد بين الأثنين أنّ هذه هي المرتبة الأولى لوجود العالم، وتلك الحياة التي هي في الآخرة هي المرتبة الثانية، والكلام ذاته ينطبق على الإنسان وعلى جميع موجودات هذا العالم.

ولأنّ أكثرية هذا الفريق يؤمن بالروح، فقد ذهبوا إلى أنّ روح الإنسان تنفصل عن البدن بالموت، ومادمنا نعتقد أنّ الأموات يبعثون من القبور، فلابدّ أن يكون معنى ذلك هو عودة الأرواح لهذه الأبدان. وبهذا يكون المعاد الجسماني من وجهة نظرهم معاداً ماديّاً كاملاً للعالم بجميع أنظمته وخصوصياته.

قال الرازي في «نهاية العقول»: «وغرضنا إثبات المعاد البدني، وللناس فيه قولان؛ أحدهما: أنّ الله تعالى يعدم أجزاء الخلق ثم يعيدها. وثانيهما: أنه تعالى يميتهم ويفرّق أجزاءهم، ثمّ إنّه تعالى يجمعها ويردّ الحياة إليها».(١)

وهذه هي النظرية التي عبّر عنها صدر المتألّهين في الأسفار بقوله: «اعلم أنّ لأهل الإيمان والاعتقاد بحقيقة الحشر والمعاد وبعث الأجساد حسب ما ورد في الشريعة الحقّة مقامات:

المقام الأول: أدناها في التصديق وأسلمها عن الآفات، مرتبة عوامّ أهل الإسلام وهو أنّ جميع أمور الآخرة من عذاب القبر والضغطة والمنكر

---

(١) نقلاً عن بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ج ٧ ص ٤٨.

والنكير والحيّات والعقارب وغيرها، أمور واقعة محسوسة من شأنها أن تحسّ بهذه الباصرة لكن لا رخصة من الله في إحساس الإنسان ما دام في الدنيا؛ لحكمة و مصلحة من الله في إخفائها عن عيون الناظرين، كما يدلّ عليه ظاهر بعض الآيات و صورة الروايات».(١)

إلا أنّ من أهمّ الاعتراضات التي يمكن أن توجّه لهذه النظرية أنّه: إذن لماذا تنطوي الحياة في الدنيا على الكهولة والهرم والموت؟ ولماذا لا يكون لهذا أثر في تلك الحياة؟ ولماذا يوجد هنا تكليف ولا تكليف هناك؟ ولماذا يكون هناك خلود ولا خلود هنا؟ فإذا كان هذا العالم هو عين ذاك، وذاك هو عين هذا، فلماذا هذه الفوارق بينهما؟

إذن: دعوى أنّ تلك النشأة هي عين هذه النشأة، لا يمكنها أن توجّه كثيراً من الأحكام والقوانين التي تحكم تلك النشأة، مضافاً إلى أنّه لا ينسجم مع جملة من الظواهر القرآنيّة، إلا أن يقال بالإرادة الجزافية، وأنّ مشيئته تعالى اقتضت أن تكون هذه الدنيا دار تكليف وعمل، وحركة وتغيير، وموت وفناء، وأن تكون تلك الدار دار جزاء لا تكليف ولا عمل، ولا موت ولا هرم، كما قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: «**وإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل**».(٢)

النظرية الثانية: إنّ حقائق ذلك العالم صور مثالية

إنّ تلك الأمور الموعود بها أو المتوعّد عليها في عالم الآخرة، هي مثل ما يُرى في المنام، كلّها أمور خيالية وصور مثالية لا وجود لها في الخارج. كما لا

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، مصدر سابق: ج ٩ ص ١٧١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٤٢.

وجود عينياً لما يراه الإنسان في نومه من الحيّات والعقارب التي تلدغه، إلا أنه كثيراً ما يتألّم منها في النوم، حتى نراه يصيح في نومه، ويعرق وينزعج من مكانه انزعاجاً شديداً، وكذا في جهة اللذة، فإنّه ربما يلتذّ بشيء في النوم التذاذاً شديداً لا يلتذّ مثل هذا الالتذاذ والسرور في اليقظة.

«كلّ ذلك يدركه النائم من نفسه و يتأذّى أو يلتذّ به ويشاهد كثيراً من الصور والأشكال ويفعل أفاعيل خياليّة وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا يُرى حواليه حيّة موجودة وهي موجودة في حقّه والعذاب حاصل في حقّه ولكنّه غير مشاهد.

وإذا كان العذاب في ألم اللدغ، فلا فرق بين حيّة تُتخيّل أو تُشاهد، وكذا الحال في الجنّات والأشجار والأنهار ومواضع النزهة والأشخاص الكريمة التي يراها ويسرّ بها في نومه، حاصلة له، موجودة في حقّه، إدراكاً ذهنيّاً لا عينيّاً خارجيّاً ولا مشاهدة بالحواسّ الظاهرة».(١)

إلا أنّ هذه النظرية مما يقطع بخلافها من الظواهر القرآنيّة، كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨ ـ ٧٩) لذا أجمعت كلمة الملّيين على المعاد الجسماني.

قال العلّامة الدواني في شرحه على العقائد العضدية: «والمعاد ـ أي الجسماني ـ فإنّه المتبادر عن إطلاق أهل الشرع؛ إذ هو الذي يجب الاعتقاد به، ويكفر من أنكره ـ حقّ بإجماع أهل الملل الثلاثة، وشهادة نصوص القرآن في الموضع المتعدّدة، بحيث لا يقبل التأويل ـ».(٢)

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، مصدر سابق: ج ٩ ص ١٧٢.
(٢) نقلاً عن بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ج ٧ ص ٤٨.

وقال المجلسي في البحار: «اعلم أنّ القول ممّا اتفق عليه جميع الملّيين، وهو من ضروريات الدين، ومنكره خارج عن عداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصّة لا يقبل تأويلها، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردّها والطعن فيها».(١)

وقال الشيرازي في «شرح الهداية الأثيرية» : «ثمّ اعلم أنّ إعادة النفس إلى بدن مثل بدنها الذي كان لها في الدنيا، مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه، في القيامة، كما نطقت به الشريعة من نصوص التنزيل، وروايات كثيرة متظافرة لأصحاب العصمة والهداية، غير قابلة للتأويل؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨ـ٧٩)؛ ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (يس: ٥١)؛ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ (القيامة: ٣ـ٤) أمر ممكن غير مستحيل، فوجب التصديق بها، لكونها من ضروريات الدين، وإنكارها كفر مبين».(٢)

وفي هذا الإطار يأتي كلام الشيخ ابن سينا، حيث يرى أنّ المعاد الذي يثبته العقل هو الروحاني فقط، وأمّا المعاد الجسماني فلا طريق عقليّ لإثباته، وإن كنّا نؤمن به لأنّ الصادق أخبرنا عنه.

قال في «إلهيات الشفاء» : « وبالحري أن نحقّق هاهنا أحوال الأنفس الإنسانيّة إذا فارقت أبدانها وأنّها إلى أيّة حال ستصير، فنقول: يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو منقول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق

---

(١) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**: ج ٧ ص ٤٧.

(٢) **الهداية الأثيرية**، صدر الدين الشيرازي، الطبعة الحجرية، في بيان إعادة النفس في الآخرة: ص ٣٨١.

الشريعة وتصديق خبر النبوّة وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج إلى أن تُعلم وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتانا بها نبيّنا وسيّدنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وعلى آله حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن.

ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدّقته النبوّة وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالقياس، اللتان للأنفس، وإن كانت الأوهام هاهنا تقصر عن تصورهما الآن لما نوضّح من العلل».[1]

النظرية الثالثة: إنّ الآخرة نشأة أخرى وراء هذه النشأة

هذه النظرية نسبها صدر المتألهين إلى الراسخين في العرفان، الجامعين بين الذوق والبرهان. وحاصلها: «هو الإذعان اليقينيّ بأنّ هذه الصور التي أخبرت بها الشريعة، وأنذرت بها النبوّة، موجودات عينيّة وثابتات حقيقيّة، وهي في باب الموجوديّة والتحقّق أقوى وأتمّ وأشدّ وأدوم من موجودات هذا العالم (وهي الصور المادّية) بل لا نسبة بينهما في قوّة الوجود وثباته ودوامه وترتّب الأثر عليه، وهي على درجات بعضها صور عقلية (هي جنّة الموحّدين المقرّبين) وبعضها صور حسيّة ملذّة (هي جنّة أصحاب اليمين وأهل السلامة والمسلمين) أو مؤلمة (هي جحيم أصحاب الشمال من الفاسقين أو الضالّين والمكذّبين بيوم الدين) .

لكن ليست محسوساتها كمحسوسات هذا العالم، بحيث يمكن أن ترى بهذه الأبصار الفانية والحواسّ الداثرة البالية، كما ذهب إليه الظاهريون المسلمون، ولا أنّها أمور خياليّة وموجودات مثاليّة لا وجود لها في العين، كما يراه بعض أتباع الرواقيّين وتبعهم آخرون، ولا أنّها أمور عقليّة أو

---

(١) الشفاء، الإلهيات، الفصل الثامن من المقالة التاسعة: ص ٤٦٠.

حالات معنويّة وكمالات نفسانيّة، ليست بصور وأشكال جسمانيّة وهيئات مقداريّة كما يراه جمهور المتفلسفين من أتباع المشائيين.

بل إنّما هو صور عينيّة جوهريّة موجودة لا في هذا العالم الهيولانيّ، محسوسة لا بهذه الحواسّ الظاهرة، بل موجودة في عالم الآخرة محسوسة بحواسّ أخرويّة. وعالم الآخرة جنس لعوالم كثيرة، كلّ منها ـ مع تفاضلها ـ أعظم وأشرف من هذا العالم، وكذلك للإنسان وحواسّه نشآت كثيرة غير هذه النشأة الهيولية المستحيلة ـ أي المتحوّلة ـ الكائنة الفاسدة.

ولذلك قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (الواقعة: ٦١)، وقال: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء: ٢١)، وقال تعالى بعد خلق النطفة والعلقة والمضغة ـ وهي أطوار طبيعيّة مادّية ـ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤) إشارة إلى شرف نشأة الروح، وقال تعالى: ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ (نوح: ١٤)».[1]

إلا أنّ هذه النظرية وإن ارتضاها جملة من المحقّقين استناداً إلى بعض الشواهد القرآنيّة والروائيّة، إلا أنّ كثيراً من الأعلام لم يرتضها، ومنهم العلاّمة محمد تقي الآملي في تعليقته على شرح منظومة السبزواري حيث قال: «هذا غاية ما يمكن أن يقال في هذه الطريقة، لكنّ الإنصاف أنّه عين انحصار المعاد بالروحاني.

لكن بعبارة أخرى، فإنّه بعد فرض كون شيئية الشيء بصورته، وأنّ صورة ذات النفس هو نفسه، وأنّ المادّة الدنيوية لمكان عدم مدخليتها في قوام الشيء لا تحشر، وأنّ المحشور هو النفس.. غاية الأمر، إما مع إنشائها لبدن مثاليّ قائم بها قياماً صدورياً مجرّداً عن المادة ولوازمها، إلاّ المقدار كما

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ج ٩ ص ١٧٤.

في نفوس المتوّسطين من أصحاب الشمال أو أصحاب اليمين، وإما بدون ذلك أيضاً كما في المقرّبين.

ولعمري إنّ هذا غير مطابق مع ما نطق به عليه الشرع المقدّس على صادعه السلام والتحية». [1]

النظرية الرابعة: إنّ المعاد جسمانيّ لا ماديّ

وهي النظرية التي تعتقد بأنّ الجسم بما له من الخصوصيات من الطول والعرض والعمق والحجم ونحوها هو المحشور يوم النشور، إلا أنّه لا توجد فيه خواصّ المادّة الدنيويّة وهي الاستعداد والحركة والنمو ونحو ذلك. فالمعاد جسمانيّ بالمعنى الدنيويّ لا ماديّ بالمعنى الفلسفي.

ولعلّه بهذا يمكن الجمع بين ظواهر الشريعة الناطقة بالحقّ من المعاد الجسماني: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾(القيامة: ٣) وبين أنّها نشأة أخرى لها قوانينها ونظامها الخاصّ بها ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الواقعة: ٦١).

وهذا ما أشار إليه القدماء في كلماتهم حيث ميّزوا بين المادّة والجسم، فقالوا عن الجسم: إنه تلك الحقيقة التي توجد لها أبعاد (الطول والعرض والعمق) وأما المادّة (أي الفلسفية لا الفيزيائية) فهي حقيقة أكثر ستراً وخفاءً من الجسم، ولا يمكن الحصول عليها عبر التجزئه المجتزية بل يكشف عنها بدليل العقل.

فالمادّة ليست أكثر من حقيقة يتمثّل فيها الاستعداد والقابلية للحركة والتغيير، وبالتالي فإنّ ذلك العالم عالم جسمانيّ بيد أنّه ليس مادّياً، ومعنى

---

(١) **درر الفوائد**، وهو تعليقة علي شرح المنظومة للسبزواري، تأليف: الحاج شيخ محمد تقي الآملي، مؤسسة دار التفسير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ: ج ٢ ص ٤٦٥.

العالم الجسماني أنه كما لنا هنا أبعاد جسمية، كذلك الحال هناك، ولكنّها ليست ماديّة، إذ سلب من الأشياء الاستعداد والقوّة للصيرورة شيئاً أخر عبر الحركة والتغيير.

والحاصل أنّ هذه النظرية تعتقد أنّ الحياة الجسمية موجودة في تلك النشأة ـ كما في هذه النشأة ـ ولكن ثمّة كلام حول المادّة وفيما إذا كانت موجودة بالمعنى المتقدّم أم لا. والصحيح أنها غير موجودة؛ لأنها لو كانت موجودة لأصبح العالم ذاك دار عمل لا دار جزاء.

ثمّ إنه في عين كون الجسم موجوداً إلا أنه لا إمكان لتغييره من حال إلى حال، أي بالخروج من القوّة إلى الفعل، وإنما كلّ ما هو موجود هناك هو إبداع، بمعنى أنّ بمقدور أيّ موجود أن يبدع من الأشياء ويوجد ـ بإذن الله ـ بقدر يتناسب مع مرتبته الوجودية، إلا أنه لا يستطيع أن يغيّر ذاته من وضع لآخر. وسيأتي مزيد توضيح لهذه الحقيقة في المباحث الآتية.

وبهذا تنتهي هذه النظرية إلى أنّ القيامة ليست تكراراً صرفاً لهذا النظام الدنيوي كما هو الحال في النظرية الأولى، وإلا إذا كانت الآخرة تكراراً لهذا النظام الدنيوي فمن المحال أن يفقد خاصّيته، وإذا كان كذلك لوجد فيه الهرم والموت والتكليف ونحوها.

نعم لو ثبت أنّ العالم الجسماني ليس له إلا نحو واحد من الوجود، وهو ما نشاهده في نشأة الدنيا، لما أمكن المصير إلى هذه النظرية، إلا أنّ هذا الأصل لم يقم عليه أيّ برهان عقليّ أو دليل نقليّ، بل يمكن أن نتصوّر عوالم جسمانية متعدّدة، تختلف من حيث أحكامها بنحو الموجبة الجزئية، فيصحّ قوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. عند ذلك يكون مقتضي بعضها التكليف والعمل، ومقتضى الآخر الحساب والجزاء.

وهذا ما جاء في بعض كلمات الشيرازي أيضاً حيث قال: «ولا يلزم أن يكون حدوث لياقته واستعداده لتعلّق النفس بالبدن، مما يحصل شيئاً فشيئاً، وبلوغ قامته إلى كماله قليلاً قليلاً، ككونه أوّلاً نطفة ثمّ علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم طفلاً إلى تمام الخلقة، على حسب ما يقتضيه التوالد والتناسل، فإنّ ذلك نحو خاصّ من الحدوث. والحدوث لا ينحصر للإنسان في هذا النحو، لجواز أن يتكوّن دفعة تامّاً كاملاً، لأجل خصوصية بعض الأزمنة والأوقات. والاوضاع الفلكية يرجّح إرادة الله تعالى في إيجاد الناس وتكوين أجسادهم دفعة واحدة، ونفخ أرواحهم في أجسادهم المتكوّنة نفخة واحدة بتوسّط بعض ملائكته، فردّ الله تعالى بواسطة واهب الصور تلك الصور إلى موادّها لحصول المزاج مرّة أخرى».(١)

ولعلّ في بعض النصوص ما يؤيّد هذا النحو من الحشر للأبدان يوم النشور، منها:

• عن ابن أبي عمير عن جميل بن درّاج: عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «**إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم**».

• وقال: «**أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذه فأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر، فصوّت بصاحبه فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية يمسح التراب عن وجهه وهو يقول: الحمدلله والله أكبر، فقال جبرئيل: عُد بإذن الله، ثمّ انتهى به إلى قبر آخر فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل مسودّ الوجه وهو يقول، يا حسرتاه يا ثبوراه، ثمّ قال له جبرئيل: عُد إلى ما كنت بإذن الله، فقال: يا محمد هكذا يحشرون يوم القيامة، والمؤمنون**

---

(١) شرح الهداية الأثيرية، مصدر سابق: ص ٣٨١.

يقولون هذا القول، وهؤلاء يقولون ما ترى»[١].

حقيقة الجسم المحشور يوم النشور

اتّضح ممّا سبق أنّ القائلين بالمعاد الجسماني اختلفوا في أنّ البدن الأخروي أعنصريّ هو أم مثاليّ؟ وعلى كلّ من القولين، هل هو عين البدن الدنيويّ أم مثله؟ وكلّ من العينية والمثلية هل هو باعتبار كلّ واحد من الأعضاء والأشكال والتخاطيط؟

الظاهر أنّ هذا الأخير ـ أي اعتبار كلّ في الكلّ لم يوجبه أحد؛ لما ورد من أنّ **أهل الجنّة جرد مرد** ـ كما سيأتي ـ وأنّ **ضرس الكافر مثل جبل أحد**، وأنّ **مخالف الإمام في الصلاة عمداً يحشر ورأسه رأس الحمار**، وغير ذلك ممّا يدلّ على أنّ الناس يحشرون على صور أعمالهم حسنة أو قبيحة.

على هذا لا يمكن دعوى العينية والمثلية في كلّ واحد واحد من الأعضاء. والصحيح أنّ البدن الأخروي هو عين البدن الدنيوي، بحيث كلّ من رآه يقول هذا هو الذي كان في الدنيا بعينه وشخصه، في عين كون خواصّ كل نشأة من لوازمها. فمادّة الموادّ مثلاً التي هي خاصّية هذه النشأة، لو كانت في البدن الأخروي لكانت تلك النشأة هي دنيا ثانية كما عرفت.

قال الشيخ كاشف الغطاء في معرض السؤال عن معنى المعاد الجسماني، وأإن عين البدن الدنيوي يعود أم غيره؟ : «إنّ معنى المعاد الجسماني ـ كما في بعض الأخبار ـ أنّك لو رأيته لقلت: هذا هو فلان بعينه، وكما أنت لو رأيت شخصاً في الدنيا ـ وهو صحيح سليم الأعضاء ـ ثم رأيته بعد عشر سنين مثلاً مقطوع الإصبع أو اليد أو قد ذهبت عينه أو أذنه تقول: هو فلان

---

(١) **بحار الأنوار**: كتاب العدل والمعاد، باب إثبات الحشر، الحديث ٨، ج ٧ ص ٣٩.

بعينه، ولا يقدح في شخصيته فقدان يده أو عينه، فكذلك في الآخرة لا يقدح في وحدته وتشخّصه كونه كان في الدنيا بصيراً ويحشر في الآخرة أعمى، وهذا العمى هو العمى الحقيقي الذي كان له في الدنيا، وهو عمى البصيرة، وحيث إنّ الدار الآخرة هي الدار التي تبلى فيها السرائر وتظهر الحقائق، فلا محيص من أن يحشر الكافر والفاسق أعمى، ويعرف أهل المحشر أن هذا هو الذي كان أعمى في الدنيا حقيقة، وإن كان بصيراً صورة وقد حشره الله بصورته الحقيقية في الآخرة التي هي دار الحقّ والحقيقة».[١]

فتحصّل إلى هنا أنّ للإنسان معادين، روحانيّاً وجسمانيّاً معاً، بمعنى أنّ الإنسان في الآخرة هو الإنسان الذي كان في الدنيا، فكما أن له في الدنيا لذائذ حسّية وأخرى عقلية، كذلك في الآخرة.

قال الحكيم السبزواري في «شرح الأسماء»: «المعاد جسمانيّ وروحانيّ، فمن قائل بالجسمانيّ فقط ومن قائل بالروحانيّ فقط ومن قائل فحل بهما جميعاً، وهو الحقّ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والأول مذهب أكثر أهل الظاهر والقشريين؛ بناءً على أن الروح عندهم جسم سارٍ في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد وأن العالم منحصر في عالم الصورة، وأن اللّذة والألم منحصران في الحسّيين.

والثاني مذهب جمهور الفلاسفة؛ بناءً على أنّ البدن كائن، وكلّ كائن فاسد، والباقى إنّما هو الروح فقط. وانسانيّة الإنسان بروحه لا بجسده وأنّ اللذّة إنّما هي اللذّة الروحانيّة من مشاهدة المفارقات العقلية النوريّة ومبدأ المبادي والابتهاج بها ونيل رَوْح وصالها ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت

---

(١) **الفردوس الأعلى**، سماحة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مع تعليقات السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، دار المحجّة البيضاء، ط١، ١٤٢٢ هـ، بيروت، لبنان: ص ٩٧.

ولا خطر على قلب بشر. واللذات الحسيّة ممّا لا يعبأ بها العقلاء.

والثالث مذهب المحقّقين من أكابر الحكماء ومشايخ العرفا وأعاظم المتكلّمين من الإماميّة ومن غيرهم؛ بناءً على كون الإنسان ذا نشأتين الجسد والروح، ولكلّ منها غاية وكمال، والعالم عالمان: عالم الحقائق وعالم الرقائق، وعالم المعاني وعالم الصورة.

ثمّ عالم المعاني عالمان: عالم المعاني الغير المتعلّقة بالعبارات كالعقول، وعالم المعاني المتعلّقة بها كالنفوس. وعالم الصورة أيضاً عالمان: عالم الصور الصرفة والأشباح البحتة، وهى الـمُثُل المعلّقة العريّة البريّة من الموادّ، وعالم الصور الماديّة، وهى المشوبة بالموادّ القائمة بها لا بذاتها.

واللذات غير منحصرة في الروحانيات، كيف ولو كان كذلك لزم كون أكثر الخلق محرومين؛ لعدم وصولهم إلى الحقائق».[1]

ولعلّ من أهمّ الأدلة التي يمكن الاستناد إليها لإثبات الحقيقة المتقدمة: أنّ الإنسان مركّب حقيقة من صورته الباطنة، أي ما به الشيء بالفعل وهي النفس، وصورته الظاهرة وهي البدن، وكلتاهما باقيتان في الآخرة، وهذيّته محفوظة.

وبتعبير آخر: إنّ حدّ الإنسان التامّ إنّما هو: الحيوان الناطق، وإن عرّفناه بالأجزاء الخارجية نقول: بأنه نفس وبدن، مع كون البدن أعمّ من البدن الطبيعي والبرزخي والأخروي، وإن كانت النفس أعظم ركنيه وبعديه، كما أنّ في البدن صورته أفخم شطريه.

---

(١) **شرح الأسماء الحسنى**، شرح دعاء الجوشن الكبير، للحكيم المتألّه المولى هادي السبزواري، ١٢١٢ ـ ١٢٨٩، تحقيق: الدكتور نجف قلي حبيبي، انتشارات جامعة طهران: الفصل ٩٤، شرح قوله: «**يا أوّل كل شيء وآخره**»، ص ٧٤٥.

وهنا لابدّ أن يشار ـ إجمالاً وسيأتي تفصيله في المباحث اللاحقة ـ كما أنّ الناس متفاوتون في دنياهم، فهم كذلك في أخراهم «فالناس في الدنيا ما بين مستغرق بالصور الدنيوية الداثرة واللذات العاجلة والغايات الوهمية الفانية، وما بين من غلب على تفكيره ما في الجنّة من لذّات آجلة باقية كنكاح الحور وسكنى القصور، وما بين مستغرق يرجو النظر إلى كرامة الله وشهود جماله و جلاله، فإذا كان الناس متفاوتين هذا التفاوت في الدُّنيا ـ وهو واضح ـ فلا يعقل أن ينالوا نفس الدرجة من الجزاء الأخروي، فالصنف الأوّل من الناس يكون مصيره الحسرة والندامة، والنكال والوبال؛ وذلك لأمرين: أحدهما من جهة انفصاله ممّا يؤنسه من اللذّات العاجلة والنِّعم الداثرة، وثانيهما من جهة حرمانه من اللذّات الآجله والنِّعم الباقية ممّا يخصّ بالمقرّبين وأصحاب اليمين»(١).

وأمّا الصنف الثاني من الناس فمآله إلى النعيم وإلى ما تنتهي إليه همّته، بينما الذين تعلّقوا باللذّات العقليّة فمآلهم إلى الانخراط في سلك العقول المجرّدة والقيام في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

دفع بعض الشبهات التي ترد على القول بالمعاد الجسماني

الأولى: شبهة الآكل والمأكول

تقريرها: قال صدر المتألّهين رحمه الله: «إذا صار إنسان غذاءً لإنسان آخر، فالأجزاء المأكولة إمّا أن تُعاد في بدن الآكل أو في بدن المأكول، وأيّاً ما كان لا يكون أحدهما بعينه معاداً بتمامه، وأيضاً إذا كان الآكل كافراً والمأكول مؤمناً، يلزم إمّا تعذيب المطيع وتنعيم الكافر أو يكون شخصٌ

---

(١) درر الفوائد.. تعليقة على شرح المنظومة للسبزواري: ج٢، ص٤٣٥.

واحدٌ كافراً معذّباً أو مؤمناً منعّماً؛ لكونهما جسماً واحداً، وهذه التوالي كلّها باطلة فالمقدّم مثله وهو بطلان المعاد الجسماني». (١)

والجواب عنها أنّه: لقد تقدّم مراراً أنّ حقيقة الشيء بصورته وفصله الأخير، وهو ممّا لا يؤكل، وإنّما الذي يؤكل هو الجسم لا البدن، لأنّ البدن هو الجسم المدبَّر من النفس، ولعلّنا فرّقنا بين الجسم والبدن في ما مضى، لذلك فإطلاق البدن على جثّة زيد المتوفّى مثلاً فإنّما هو على نحو المجاز لا الحقيقة؛ وذلك باعتبار ما كان، فالإنسان عندما يريد أكل إنسان آخر مثلاً فإنّ هناك بدناً قبل الأكل، وأمّا أثناء الأكل فلا بدن بل جسم، إذ البدن متقوّم بصورة ونفس وهو ممّا لا يُؤكل، فالإنسان لا يأكل إنساناً ولا حيواناً ولا نباتاً؛ لعدم إمكان أكل ما يكون به الحيوان حيواناً، وما به النبات نباتاً وهو الصورة الحيوانيّة والنباتيّة.

إذن فالشبهة قائمة على أساس منهار لا ينهض بها، وبعبارة أخرى: إنّ بدنيّة البدن تنشأ من خلال ارتباط جسم بنفس من الأنفس، فإذا ارتبط جسم ما بنفس زيد وأصبح مدبّراً لها فهذا الجسم بدن لزيد ولا يكون لغيره، فإذا أمكن نقل هذا الجسم بجميع أعضائه إلى نفس عمرو فإنّه يكون بدنَ عمرو لا زيد، لأنّه صار مدبَّراً لنفسه.

إذن فما أُكل ليس ببدن زيد فضلاً عن كونه زيداً، وما هو بدن زيد لم يؤكل فترد الشبهة. قال صدر المتألهين: « إنّ كلّ مركّب بصورته هو هو لا بمادّته، فالسرير سرير بصورته لا بمادّته، والسيف سيف بحدّته لا بحديده، والحيوان حيوان بنفسه لا بجسده، وإنّما المادّة حاملة قوّة الشيء وإمكانه وموضوعة انفعالاته و حركاته». (٢)

---

(١) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، مصدر سابق: ج ٩ ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق : ج ٩ ص ١٨٤.

ثم أسّس على ذلك «أنّ تشخّص كلّ إنسان إنّما يكون بنفسه لا ببدنه، وأنّ البدن المعتبر فيه أمر مبهم لا تحصّل له إلا بنفسه، وليس له من هذه الحيثيّة تعيّن ولا ذات ثابتة، ولا يلزم من كون بدن زيد مثلاً محشوراً أن يكون الجسم الذي منه صار مأكولاً لسبع أو إنسان آخر محشوراً بل كلّ ما يتعلّق به نفسه هو بعينه بدنه الذي كان.

فالاعتقاد بحشر الأبدان يوم القيامة هو أن يبعث أبدان من القبور إذا رأى أحد كلّ واحد واحد منها يقول: هذا فلان بعينه، وهذا بهمان بعينه، أو هذا بدن فلان و هذا بدن بهمان ـ على ما مرّ تحقيقه».(١)

وهذا ما أشار إليه كاشف الغطاء بقوله: «ومن القواعد المسلّمة عند الحكماء، بل عند كلّ ذي لبّ: أنّ الشيء بصورته لا بمادّته، إذن فأين تقع شبهة الآكل والمأكول؟ وكيف يمكن تصويرها وتقريرها، فضلاً عن الحاجة إلى دفعها والجواب عنها؟

ويزيدك وضوحاً لهذا المعنى: أنّ جميع المركّبات العنصرية يطّرد فيها ذلك الناموس العامّ، ناموس التحوّل والتبدّل والدثور والتجدّد. انظر حبّة العنب مثلاً، فهل هي إلّا ماء وسكر؟ وهل فيها شيء من الخمر أو الخلّ أو الكحول؟ ولكنها بالاختمار تصير خلّا، ثمّ خمراً، ثم غازاً أو بخاراً، وهكذا. أترى أنّ العنب صار جزءاً من الخلّ، والخلّ صار جزءاً من الخمر؟

إذن فمن أين جاءت شبهة الآكل والمأكول التي لا يدفعها إلّا من كان من الفحول؟ ومن أين اتّجه القول بأن لحم الكافر يصيراً جزءاً من بدن المؤمن، ولحم المؤمن جزءاً من بدن الكافر؟ لا أدري».(٢)

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٠٠.

(٢) **الفردوس الأعلى**: ص ٢٤٨، دفع شبهة الآكل والمأكول.

الثانية: شبهة العينية والمثلية

أشار القرآن في مواضع إلى أنه تعالى قادر على أن يخلق مثل الإنسان، في معرض حديثه عن المعاد والنشأة الآخرة قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ * قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ ثمّ قال: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (يس: ٧٨ـ٨١).

وقال أيضاً: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا * أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ﴾ (الإسراء: ٩٨ـ٩٩).

من هنا قد يقال: إذا كان الإنسان الأخرويّ هو مثل الإنسان الدنيويّ لا عينه، كما صرّح القرآن بذلك، إذن فكيف يمكن توجيه العقاب، لأنّ الذي يستحقّه هو الإنسان الدنيوي ـ والمفروض أنّه غير معاد ـ وما يعاقب هو الإنسان الأخروي ـ وهو مثله لا عينه ـ فكيف يستحقّ العقاب؟

والجواب: إنّ المماثلة التي ذكرت في الآيتين، إنّما هي من جهة مقايسة البدن الجديد الأخروي مع البدن الأول الدنيوي، مع قطع النظر عن النفس التي هي الحافظة لوحدة الإنسان وشخصيته، ولا ينافي ذلك كون الإنسان الأخروي عين الإنسان الدنيوي لا مثله، لأنّ ملاك الوحدة والشخصية هي النفس الإنسانية ـ وهي محفوظة غير باطلة ولا معدومة ـ التي انتقلت من نشأة إلى نشأة أخرى ـ كما تقدّم بيانه ـ وإذا تعلّقت هذه النفس بالبدن المخلوق جديداً كان هو الإنسان الدنيوي، كما أنّ الإنسان في الدنيا واحد شخصيّ باقٍ علي وحدته الشخصية مع تغيّر البدن بجميع أجزائه حيناً بعد حين ـ كما أثبتت البحوث الطبّية ذلك ـ.

والدليل على أنّ النفس ـ التي هي حقيقة الإنسان ـ محفوظة مع تفرّق أجزاء البدن وفساد صورته الظاهرية، قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾ (السجدة: ١٠ـ١١) حيث استشكلوا في المعاد بأنّه تجديد الخلق بعد فناء الإنسان بتفرّق أجزاء بدنه، فأجيب عنه بأنّ ملك الموت يتوفّى الإنسان ويأخذه كاملاً فلا يضلّ ولا يتلاشى وإنّما الضالّ بدنه، ولا ضير في ذلك فإنّ الله يجدّده.

والشاهد على أنّ الإنسان المبعوث هو عين الإنسان الدنيويّ لا مثله: جميع آيات القيامة الدالّة على رجوع الإنسان إليه وبعثه وسؤاله وحسابه ومجازاته بما عمل. فهذا كلّه خير شاهد على أنّ المراد بالمماثلة ما ذكرناه، وإنّما تعرّض لأمر البدن حتى ينجرّ إلى ذكر المماثلة محاذاة لما استشكلوا به من قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴾ فلم يضمّنوا قولهم إلا شؤون البدن لا النفس، وإذا قطع النظر عن النفس كان البدن مماثلاً للبدن وإن كان مع اعتبار النفس عينه.

قال الطباطبائي: «والمتحصّل من كلامه تعالى أنّ النفس لا تموت بموت البدن، وأنّها محفوظة حتى ترجع إلى الله سبحانه.

فالبدن اللاحق من الإنسان إذا اعتبر بالقياس إلى البدن السابق منه، كان مثْله لا عينه، لكن الإنسان ذا البدن اللاحق، إذا قيس إلى الإنسان ذي البدن السابق كان عينه لا مثله؛ لأنّ الشخصية بالنفس و هي واحدة بعينها.

ولما كان استبعاد المشركين في قولهم: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ راجعاً إلى خلق البدن الجديد دون النفس، أجاب سبحانه بإثبات إمكان خلق مثلهم، وأمّا عودهم بأعيانهم فهو إنّما يتمّ بتعلّق النفوس والأرواح المحفوظة عند الله بالأبدان المخلوقة جديداً، فيكون الأشخاص الموجودون

في الدنيا من الناس بأعيانهم، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (الأحقاف: ٣٣) فعلّق الإحياء على الموتى بأعيانهم فقال: ﴿عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ولم يقل: على أن يحيي أمثال الموتى».(١)

وقال صدر المتألهين : «ولا يضرّنا أيضاً كون البدن المعاد غير البدن الأوّل بحسب الشخص؛ لاستحالة كون المعدوم بعينه معاداً.

فإن قيل: فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذّات والآلام الجسمانيّة غير من صدرت منه الطاعات والخيرات وارتكب المعاصي والشرور.

قلنا: العبرة في ذلك بالجوهر المدرك (وهو النفس) ولو بواسطة الآلات (وهي باقية بعينها) وكذا المادّة والنسخ كالأجزاء الأصلية في البدن أو غيرها، ولهذا يقال للشخص مع انتقاله من الصبوية إلى الشيخوخة والتجدّدات والاستحالات الواقعة فيما بين: إنه هو بعينه وإن تبدّلت الصور والهيئات وكثير من الأعضاء والآلات. ولا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب أنه عقاب لغير الجاني».(٢)

ولعلّ في بعض النصوص الروائية ما يشير إلى ذلك.

• عن هشام بن الحكم «أنّه قال الزنديق للصادق عليه السلام: أنّى للروح بالبعث، والبدن قد بُلي، والأعضاء قد تفرّقت؟ فعضو في بلدة تأكلها سباعها، وعضو بأخرى تمزّقه هوامها، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط؟

قال: **إنّ الذى أنشأه من غير شيء وصوره على غير مثال كان سبق إليه،**

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٧، ص ١١٣.

(٢) **شرح الهداية الأثيرية**، مصدر سابق: ص ٣٨١.

قادر أن يعيده كما بدأه[(١)].

قال: أوضح لي ذلك.

قال عليه السلام: **إنّ الروح مقيمة في مكانها: روح المحسنين في ضياء وفسحة، وروح المسيئين في ضيق وظلمة. والبدن يصير تراباً كما منه خُلق، وما تقذف به السباع والهوامّ من أجوافها؛ فما أكلته ومزّقته كلّ ذلك في التراب، محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها.**

وإنّ تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض، فتربو الأرض ثمّ تمخض مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غُسل بالماء، والزبد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تراب كلّ قالب، فينقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيئتها وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً».[(٢)]

الثالثة: شبهة بعض الملاحدة

أشارت بعض النصوص إلى شبهة أوردها ابن أبي العوجاء حيث سأل الصادق من آل محمد صلّى الله عليه وعليهم أجمعين «قال له: ما تقول في هذه الآية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: ٥٦) هب هذه الجلود عصت فعذّبت، فما ذنب الغير؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: **ويحك هي هي، وهي غيرها**. قال: أعقلني هذا القول. فقال له: **أرأيت لو أنّ رجلاً عمد إلى لبنة فكسرها، ثمّ صبّ عليها الماء وجبلها، ثمّ ردّها إلى هيئتها**

---

(١) اشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (يس: ٧٨).

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الحديث ٥، ج ٧ ص ٣٧.

الأولى، ألم تكن هي هي، وهي غيرها؟ فقال: بلى، أمتع الله بك».[(١)]

فكأنّ السائل يقول: إنّ الجلود العاصية هي الجلود الأصلية، فيكون تعذيب الجلود الجديدة مخالفاً للعدل الإلهيّ، فكيف صحّ ذلك؟

وأصل هذا الإشكال إنّما يتمّ على مبنى من لا يرى وراء الجسم في الإنسان ولا غيره شيئاً موجوداً، ولذا كان الإنسان ـ عند أصحاب هذا الاتّجاه ـ مجموع الأجزاء والأعضاء فقط، ولهذا أشكل أمر العينية عليهم مع تبدّل بعض الأعضاء والأجزاء. ولعلّ هذا هو السبب في نسبة ابن أبي العوجاء المعصية إلى الجلود، ثمّ الاعتراض بالعذاب مع التبديل بأنّه عذاب لغير العاصي.

وحاصل ما أجاب به عليه السلام: أنّ المعصية للإنسان، لا لأجزاء بدنه بالضرورة، فالعاصي هو الإنسان لا جلده، فالمعذّب هو الإنسان ـ وهو الروح ـ لكن بواسطة الجلد. والجلد الثاني وإن كان غير الجلد الأوّل إذا أخذا وحدهما، لكنّهما من جهة أنهما جلدان لإنسان واحدٍ يعذّب به الإنسان، فهو هو، وليس هو.

ثم مثّل عليه السلام باللبنة، فأعقله أنّ الموضوع الجوهري فيها هو المقدار المأخوذ من الطين الكذائي المتشخّص بنفسه، وشكل اللبنة عارض عليه ومن توابع وجوده، وإذا قيس الشكل إلى الشكل كان غيره، وإذا أخذا من حيث إنّهما للبنة كانا واحداً. فالإنسان ـ المعبّر عنه بأنا ـ هو الأصل المتشخّص

---

(١) **الأمالي**، الشيخ الطوسي، نقلاً عن **البرهان في تفسير القرآن**، تأليف: العلامة المحدّث السيد هاشم البحراني، حقّقه وعلّق عليه لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصّائيين، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩: الحديث ٣٤، ج ٢ ص ٢٤٨.

بنفسه، بمنزلة جوهر اللبنة، والأعضاء والأجزاء من جلد ولحم ودم وغيرها بمنزلة الأشكال الطارئة على اللبنة، وهي تتشخّص بالأصل لا بالعكس.

وهذا ما أشير إليه في نصّ آخر عن علي بن إبراهيم قال: «قيل لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: كيف تبدّل جلوداً غيرها؟ قال: **أرأيت لو أخذت لبنة فكسرتها وصيّرتها تراباً، ثمّ ضربتها في القالب أهي التي كانت، إنّما هي تلك، وحدث تغيير آخر والأصل واحد**»(١).

لذا قال ابن عاشور التونسي: «وتبديل الجلد مع بقاء نفس صاحبه لا ينافي العدل، لأنّ الجلد وسيلة إبلاغ العذاب وليس هو المقصود بالتعذيب، ولأنّه ناشئ عن الجلد الأوّل. كما أنّ إعادة الأجسام في الحشر بعد اضمحلالها لا يوجب أن تكون أناساً غير الذين استحقّوا الثواب والعقاب لأنّها لمّا أودعت النفوس التي اكتسبت الخير والشرّ فقد صارت هي هي»(٢).

في الختام

لابدّ من الإشارة إلى أنّ تحقيق القول بالمعاد الجسماني يحتاج إلى دراسات أوسع وأعمق، وهذا ما سنتوفر عليه ـ إن شاء الله تعالى ـ في مباحث شرح الجزء التاسع من الأسفار، وإلا فالمسألة عويصة ومعقّدة إلى حدّ جعل الكبار من الحكماء عاجزين عن الدخول فيها إلا من باب الوحي، لذا فقد أوكلوا كثيراً من تفاصيل المعاد إلى ما أخبر به الصادق صلى الله عليه وآله، ولم

---

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ١٤٩.

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي، تأليف: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ: ج ٤ ص ١٥٩.

يعقدوا لمثل هذه المسائل بحوثاً عقلية مستقلّة، كما تقدّم صراحة عن الشيخ الرئيس ابن سينا، حيث قال: « يجب أن يُعلم أنّ المعاد، منه ما هو منقول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلّا من طريق الشريعة و تصديق خبر النبوّة وهو الذي للبدن عند البعث ... وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتانا بها نبيّنا وسيّدنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وعلى آله حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن».

إذن فليس كلّ شؤون المعاد قابلة للبحث العقليّ، فهذه الأبدان ما هو مصيرها بعد الموت؟ أتعدم أم لا؟ أو تعذّب أم تنعّم؟ ثمّ إذا كانت تحشر في الحشر الأكبر، فأيّ أبدان الإنسان المتعدّدة هي التي تحشر لتعذّب أو تنعّم؟

فهذه الأسئلة وكثير غيرها، لا يمكن للعقل أن يجيب عليها، وهذا ما يفسّر لنا قول المجلسي في البحار: «الأحوط الأولى التصديق بما تواتر في النصوص وعُلم ضرورة من ثبوت الحشر الجسماني وسائر ما ورد من خصوصياته، وعدم الخوض في أمثال ذلك، لأنّه قد يفضي التفكّر فيها إلى القول بشيء لم يطابق الواقع، ولم نكن معذورين في ذلك، والله الموفّق للحقّ والسداد في المبدأ والمعاد».[1]

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ج ٧ ص ٥٣.

المبحث العاشر

خصائص الحياة الأخروية

- خصائص النشأة الأخروية
- خصائص الأبدان الأخرويّة
- حقيقة الحياة الأخروية
- هل الحياة الأخرى موجودة الآن؟

خصائص النشأة الأخرويّة

من الأبحاث المتقدِّمة يظهر لنا أنّ هناك اتّجاهين في فهم حقيقة النشأة الأخرى:

الاتّجاه الأوّل: هو الذي يعتقد أنّ الآخرة دنيا ثانية، وعلى هذا الأساس فالأحكام والقوانين التي تحكم النشأة الأخرويّة هي نفسها الأحكام والقوانين التي تحكم النشأة الدنيويّة، فالجوهر والحقيقة في الحياتين واحد إلاّ في بعض الأمور الثانويّة.

الاتّجاه الثاني: وهو الذي تبنّاه جملة من الأعلام ومال إليه صدر المتألهين ومن تبعه، والذي يرى أنّ الفوارق بين النشأتين هي فوارق حقيقيّة وجوهريّة بحسب ما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في العديد من آياته: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ** ﴾ (إبراهيم: ٤٨) و﴿**وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (الواقعة: ٦١)، فلو كانت النشأة الأخرويّه هي دنيا ثانية، ودنيا مكرّرة مع بعض التغييرات لم يكن هناك معنى لقوله تعالى: ﴿**وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ بل ننشئكم في ما تعلمون.

هذا فضلاً عن الأدلّة العقليّة التي تثبت ذلك.

قال الطباطبائي في الميزان: «إنّ الآخرة بنعيمها وجحيمها وإن كانت مشابهة للدنيا ولذائذها وآلامها، وكذلك الإنسان الحالّ فيها وإن كان هو الإنسان الذي في الدنيا بعينه ـ على ما هو مقتضى ظواهر الكتاب والسنّة ـ غير أنّ النظام الحاكم في الآخرة غير النظام الحاكم في الدنيا، فإنّما الآخرة دار أبديّة وبقاء، والدنيا دار زوال و فناء، ولذلك كان الإنسان يأكل

ويشرب وينكح ويتمتّع في الجنّة فلا يعرضه ما يعرضه هذه الأفعال في الدنيا، وكذلك الإنسان يحترق بنار الجحيم ويقاسي الآلام والمصائب في مأكله ومشربه ومسكنه وقرينه في النار، ولا يطرأ عليه ما يطرأ عليه معها وهو في الدنيا، ويعمر عمر الأبد ولا يؤثّر فيه ذلك كهولة أو شيباً أو هرماً وهكذا.

وليس إلا أن العوارض والطوارئ المذكورة من لوازم النظام الدنيوي دون مطلق النظام الأعمّ منه ومن النظام الأخروي، فالدنيا دار التزاحم والتمانع دون الآخرة».[(١)]

وقال صدر المتألّهين الشيرازي: «لو سأل سائل أإنّ الدار الآخرة مع هذا الدار منتظمتان في سلك واحد، والمجموع عالم واحد، أم أنّ كلاً منهما عالم بتمامه مباين الجوهر والذات للآخر، غير منسلك معها في سلك واحد لا يجمعهما دار واحدة. وأنت تعلم أنّ الحقّ هو الثاني».[(٢)]

على أساس ذلك فإنّ العلاقة التي تحكم الدنيا بالآخرة ليست علاقة امتدادية بحيث تنتهي الدنيا ثمّ تبدأ الآخرة، كما هو الحال في أيام الأسبوع مثلاً، فإن انتهاء يوم الأحد يعني بداية يوم الاثنين. وإنّما العلاقة هي علاقة ظهور وبطون، فهناك حقيقة واحدة لها ظهور وبطون.

ويترتّب على ذلك أنّ عالم الآخرة من العوالم المرتبطة بالغيب والملكوت لا بالشهادة والملك.

ومن أهمّ الفوارق بين هاتين النشأتين: أن عالم الشهادة والأمور المرتبطة به يمكن للإنسان أن يقف عليها بيسر وسهولة من خلال حواسّه ـ

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢٢.

(٢) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، مصدر سابق: ج ٩ ص ٢٠٣.

إما مباشرة أو من خلال آثارها ـ التي يتعامل فيها مع عالم الطبيعة والشهادة، بخلاف عوالم الغيب ـ وهي كثيرة جدّاً ـ فإنّ الأدوات الموجودة عندنا من اللامسة والسامعة والشامّة والذائقة والباصرة غير قادرة على إيجاد الارتباط بيننا وبين تلك الحقائق، بل نحتاج في ذلك إلى أدوات ووسائل خاصّة بها ـ كما سنقف عليها لاحقاً إن شاء الله تعالى ـ.

قال السبزواري في حواشيه على الأسفار: «فليست الآخرة في عرْض هذا العالم ولا زمانها في تلو هذا الزمان تلواً زمانياً؛ ولذا من يسأل عن الساعة أيّان مرساها، لا يمكنه فهم الجواب، إذ لم يأت البيت من الباب، حيث ترقّب خاصّية نشأة من نشأة أخرى تخالفها مرتبة. فمع أنّه يجاب بجواب شافٍ وهو أنّ علمها عند ربّي، لا يتفطّن، إذ ليس له مقام العندية. فلا يعلم أنّ العوالم ـ التي هي النهايات والغايات إلى غاية الغايات ـ وهي درجات الآخرة، إنما هي في باطن هذا العالم وفي طوله ... ».[1]

مكان الجنّة والنار

مما تقدّم يتّضح الجواب عن إشكالة التزاحم المكاني ما بين الجنّة والنار، وأنّه إذا كانت الجنّة عرضها السماوات والأرض، كما في قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣) فأين مكان النار؟ ويزداد الإشكال استحكاماً عندما يقال إن لكل مؤمن جنّة عرضها السماوات والأرض.

والجواب: إنّ النظام الحاكم في الدار الآخرة ليس كالنظام الحاكم في هذه النشأة ليقع التزاحم ما بين مكان الجنّة والنار، وإنّما ـ كما عرفت ـ

---

(١) المصدر السابق، الحاشية رقم ١ : ج ٩ ص ٢٠٣.

النظام الحاكم هناك يختلف عما هو هاهنا، وإلا فلا يبقى فرق بين النشأتين.

على هذا فالزمان والمكان ـ بالنحو الذي نشاهده في عالمنا ـ من أحكام هذه النشأة؛ لذا يقع التصادم والتزاحم بين الأشياء، وليس الأمر كذلك بالنسبة للنشأة الآخرة. ألا ترى أنّ الإنسان النائم مثلاً بالقرب من آخر، فإنّه يرى روضة من رياض الجنّة، من دون أن يزاحم ما يراه صاحبه الذي ينام بجنبه وهو في حفرة من حفر النيران.

لذا قال صدر المتألهين: «إنّ حجّتكم هذه مبنيّة على أنّ للجنة والنار مكاناً من جنس أمكنة هذه الدنيا، لكن أصل إثبات المكان على هذا الوجه للجنة والنار باطل».(١)

من هذه المقدّمة ندخل إلى البحث في بيان خصائص النشأة الأخرويّه وبم تمتاز عن النشأة الدنيويّة، وهي:

الخصوصيّة الأولى: هي أنّ الدُّنيا نشأة العمل، بينما الآخرة نشأة الجزاء، كما ورد في بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: «**اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل**»، والحساب يُراد به في كلمات الإمام عليّ عليه السلام هو الجزاء الأخروي، ولو فُرض وجود عقاب أو حساب أو جزاء في الدُّنيا أو ثواب فيكون ذلك مرتبطاً بالجزاء أو الثواب والعقاب الدنيوي.

ويمكن تقريب الفكرة إلى الأذهان بمثال الزرع ونتيجته، وهو ما ورد في كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الدُّنيا مزرعة الآخرة**»(٢) فالإنسان يمكن له أن يزرع ما يُريد، ولكن حصاد الزرع ليس له في الدُّنيا بل في الآخرة، حتّى ولو كان في بعض الأحيان هناك حصاد دنيوي: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ

---

(١) المصدر السابق: ج ٩ ص ٢٠٢.

(٢) عوالي اللآلي، مصدر سابق: ج١ ص٢٦٧.

عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ (طه: ١٢٤)، ولكن هذا الحصاد هو غير الحصاد الأخروي.

ومن النتائج المترتّبة على هذه الخصوصيّة أنّ الإنسان بيده أن يعيّن مصيره واتّجاهه في الآخرة: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان: ٣)، فإذا ذهب في أحد السبيلين ثمّ انتهت النشأة الدنيويّة والبرزخيّة فحينئذ لا يمكنه الاختيار أو العمل لتغيير المصير، أو أن ينقلب من حال إلى حال ـ من الهداية إلى الضلالة أو من الضلالة إلى الهداية ـ.

فالباب الذي كان مفتوحاً له في الدُّنيا يُغلق عليه في الآخرة.

فالآخرة هي نشأة ظهور نتائج الأعمال والاعتقادات وليست نشأة إيجاد الأعمال والاعتقادات، ولا هي نشأة استكمال هذه الاعتقادات والأعمال كما هو الحال في الحياة البرزخيّة.

ولو كانت الآخرة مثل الدُّنيا فلابدّ أن تكون أحكامها مثل أحكام الدُّنيا التي من أحكامها وجود الأنبياء والرسل والشرائع والأوصياء...، فإذن لابدّ أن يُبعث للإنسان في الآخرة أيضاً الأنبياء والرسل...!!

والله تعالى يبيِّن لنا أنّنا ننتقل من الدُّنيا إلى عالم آخر، وإلى نشأة أخرى لها أحكامها وقوانينها الخاصّة بها: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ ﴾ (الأنبياء: ١٠٤)، والطيّ عبارة عن طيّ نظام عالم المادّة للدخول إلى عالم آخر.

الخصوصيّة الثانية: أنّ النشأة الدنيويّة هي نظام الأسباب والمسبّبات، بمعنى أنّ الإنسان إذا أراد تحقيق شيء ما فإنّه يحتاج إلى السبب الذي يحقّق له ذلك الشيء. فالعطش لا يرتفع بمجرّد إرادة رفعه بل لابدّ من استعمال الماء وشربه حتّى يرتفع العطش. وهذا ما اقتضته حكمة الله تعالى الذي أبى أن تجري الأمور إلاّ بأسبابها، وقد جعل لكلّ شيء سبباً.

وهكذا الحال في رفع المرض حيث لابدّ من وجود الطبيب والدواء، وأيضاً في العلم الذي لابدّ فيه من الجهد والعمل والتحصيل.

أمّا في عالم الآخرة فإنّ النظام فيه لا يقوم على هذه المقاييس والأسباب الموجودة في عالم الدُّنيا، بل هو قائم على إرادة الإنسان، وبتعبير صريح وواضح فإنّ كلّ شيء هناك يتحقّق بنظام «كُن فيكون»، وليس هو عالم السببيّة والمسبّبيّة، ولذا يقول القرآن الكريم: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦).

ولعلّه ومن هذا المنطلق سمّى صدر المتألّهين عالم الدُّنيا بعالم الخلق، وعالم الآخرة بعالم الأمر، وحصَر العوالم بهذين العالمين: «العوالم مع كثرتها منحصرة في قسمين: عالم الأمر وعالم الخلق، فعبّر عن عالم الدُّنيا وهو ما يدرك بهذه الحواس الظاهرة الخمس بالخلق، لقبوله المساحة والتقدير، وعبّر عن عالم الآخرة وهو ما يُدرك بالحواسّ الخمس الباطنة وهي النفس والقلب والعقل والروح والسرّ بالأمر؛ لأنّه وجد بأمر «كُن» دفعة بلا واسطة شيء آخر، إذ وجوده غير متعلّق بالحركات والاستعدادات، فيوجد بمجرّد الجهات الفاعليّة لا بالجهات القابليّة الانفعاليّة، فكلّ ما يقع في تصوّر الفاعل أو يخطر بباله يوجد دفعة من غير استعمال آلة أو تهيّؤ قابل، فعالم الأمر هو الأوليات العظائم التي أوجدها الله تعالى للبقاء، كالعقل والروح والقلم واللوح والعرش والجنّة، وآخرها الكرسي، ولهذا قيل: فرش الجنّة الكرسي وسقفها عرش الرحمن»[1].

ففي عالم الدُّنيا إذا أردت شرب الماء فإنّ ذلك يحتاج إلى مقدّمات مثل أن تمدّ يدك إلى الإناء ثمّ ترفعه وتشرب، أمّا في النشأة الآخرة فإنّك تستطيع

(١) أسرار الآيات، صدر المتألّهين، مصدر سابق: ص ١٠٤.

أن تغمض عينيك وتخلق في ذهنك ما تريد أن تخلقه، فتتخيّل شرب الماء، وتتخيّل الدار الفارهة والوسيعة، وكلّ اللذّات... ولا تحتاج إلى زمان ولا إلى تعب وجهد. فالله تعالى يعطي كلّ إنسان في الجنّة القدرة على التصرّف وإيجاد ما يشاء بنظام «كُن فيكون».

قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ (النحل: ٣١)، ويُضاف إلى ذلك العناية والرحمة الإلهيّة بقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

لهم فيها ما يشاؤون

ولكن الذي «يشاءون» الوارد في الآية يكون على قدر الشجرة الطيّبة التي زرعوها في الدُّنيا، فقد يشاء الإنسان يوم القيامة أن يكون في مقام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ويريد أكثر ممّا كان عليه في الدُّنيا، وممّا كان يستحقّه فيها، فهل يمكن له ذلك؟

الجواب: إنّ المشيئة والإرادة فرع المعرفة، فإذا كان الإنسان من حيث المعرفة واسعاً وعميقاً، فبقدر معرفته تتولّد عنده الإرادة والمشيئة، وفي الدُّنيا أيضاً كذلك. فلو جئنا إلى طفل عمره خمس سنوات وقلت له اطلب ما تشاء فإنّه سيطلب لباساً أو درّاجة أو أيّ شيء يلهو ويلعب به لا أكثر من ذلك، ولا يطلب قصراً أو سيّارة أو طائرة باعتبار أنّ هذه الأمور أوسع من أُفقه العلمي والمعرفي.

والإنسان في الآخرة بحسب مشيئته تابع لأُفقه ودرجة معرفته في هذه الدُّنيا، فكلّما استطاع أن يزيد درجة معارفه القرآنيّة في هذه النشأة، والمرتبطة بالتوحيد والإمامة والنبوّة والمعاد، توسّعت بنفس الدرجة دائرة إرادته ومشيئته، ومن هنا قد يشاء الإنسان العالم أشياء لا يستطيع غير العالم أن يدركها ويفهمها حتّى يشاءها ويطلبها ويريدها.

كذلك في تلك النشأة الأخرى، فصحيح أنّ القرآن يقول لهم ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾، ولكن الذي يشاؤون يكون على قدر الشجرة الطيّبة التي زرعوها في الدُّنيا، ولذا ورد في الروايات أنّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن الكريم، ويُقال للإنسان إقرأ وارقَ، أي أنّه كلّما استطاع أن يتفهّم هذا الإنسان معرفة من معارف القرآن الكريم سوف يصعد درجة من درجات الجنّة.

ونصّ الرواية: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «... **وعليكم بتلاوة القرآن فإنّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يُقال لقارئ القرآن: إقرأ وارق، فكلّما قرأ آية رقى درجة**»[1].

فالقضيّة إذن ليست مطلقة، بل محدودة بسبب محدوديّة معارف الإنسان ووعائه الوجوديّ، لا أنّ الله يحدّده، فجوده وكرمه أوسع من ذلك بكثير، ولذا يقول أهل المعرفة والفلاسفة: «إنّ المعرفة هنا بذر المشاهدة هناك».

ومن الشواهد الروائيّة على كون عالم الآخرة ليس عالم الأسباب والمسبّبات وأنّه عالم «كن فيكون» هذه الروايات:

• في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: «**إنّ في الجنّة طيوراً كالبخاتي، عليها من أنواع المواشي، تصير ما بين سماء الجنّة وأرضها، فإذا تمنّى مؤمن محبّ للنبيّ وآله عليهم السلام الأكل من شيء منها وقع ذلك بعينه بين يديه، فتناثر ريشه وانشوى وانطبخ، فأكل من جانب منه قديداً ومن جانب منه مشويّاً بلا نار، فإذا قضى شهوته ونهمته وقال:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ **عادت كما كانت فطارت في الهواء، وفخرت على سائر طيور**

---

(١) أمالي الصدوق، الحديث ١٠ ص ٤٤١.

الجنّة تقول: مَن مثلي وقد أكل منّي وليّ الله عن أمر الله»[١].

• عن سلمان الفارسي ـ وساق الحديث في تجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله لسريّة إلى جهاد قوم.. إلى أن قال ـ : **فمن منكم يخرج إليهم قبل أن ينظر في ديارنا وحريمنا لعلّ الله أن يفتح على يديه وأَضمن له على الله اثني عشر قصراً في الجنّة** ـ وساقه إلى أن قال ـ : فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله صِف لي هذه القصور، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **يا عليّ بناء هذه القصور لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، ملاطها المسك الأذفر والعنبر، حصباؤها الدرّ والياقوت، ترابها الزعفران، كثيبها الكافور، في صحن كلّ قصر من هذه القصور أربعة أنهار: نهرٌ من عسل، ونهرٌ من خمر، ونهرٌ من لبن، ونهرٌ من ماء، محفوف بالأشجار من المرجان، على حافّتي كلّ نهر من هذه الأنهار خيم من درّة بيضاء لا قطع فيها ولا فصل، قال لها: كوني فكانت، يُرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها، في كلّ خيمة سرير مفصّص بالياقوت الأحمر، قوائمها من الزبرجد الأخضر، على كلّ سرير حوراء من الحور العين، على كلّ حور سبعون حلّة خضراء، وسبعون حلّة صفراء، يرى مخّ ساقيها وخلف عظمها وجلدها وحليّها وحللها، كما ترى الخمرة الصافية في الزجاجة البيضاء، مكلّلة بالجواهر، لكلّ حور سبعون ذؤابة، كلّ ذؤابة بيد وصيف، وبيد كلّ وصيف مجمر تبخر تلك الذؤابة، يفوح من ذلك المجمر بخار لا يفوح بنار ولكن بقدرة الجبّار...»**[٢].

والشاهد في هذه الرواية قوله صلى الله عليه وآله: «**قال لها: كوني فكانت...**».

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري: الحديث ٢٩٢، ص ٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٢) تفسير الفرات، مصدر سابق: الحديث٧٦٠، ص٥٩٤.

وأمّا الشواهد القرآنيّة والروائيّة على ما قلناه في مقدّمة هذا البحث حول الاختلاف بين النشأتين الدنيويّة والأخرويّة، وأنّ العمل الذي ينجزه الإنسان في هذه الدُّنيا يظهر له في النشأة الأخرى، ولكن بصورة منسجمة مع النشأة الأخرويّة، فالأعمال لها ظاهر ولها باطن كالإنسان الذي له ظاهر وهو الجسد، وله باطن وهو روحه ونفسه وقلبه، فظاهر الأعمال في الدُّنيا له باطن سوف يظهر في عالم الملكوت، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ...﴾ (البقرة: ٢٥)، فالآية تحكي عن قوم في الجنّة ويرزقون منها، ففي الدُّنيا لم تكن هذه الأرزاق موجودة، وما يرونه في الجنّة من اللذائذ والنعيم والقصور والحور العين.. هو نتيجة الأعمال التي قاموا بها في الدُّنيا، وفي الآخرة ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾.

• عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «**رجب نهرٌ في الجنّة أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر**»[1]. فشهر رجب الذي كان في الدُّنيا باطنه في الآخرة هو ذلك النهر في الجنّة.

• عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**مَن صام ثلاثة أيّام من شعبان رفع له سبعون ألف درجة من الجنان من الدرّ والياقوت، ومَن صام تسعة عشر يوماً من شعبان أُعطي سبعون ألف قصر من الجنان من درّ وياقوت، ومَن صام اثنين وعشرين يوماً من شعبان كُسيَ حلّةً من سندس واستبرق...**»[2].

---

(١) **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال**، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م: الحديث ٢ ص ٨٢.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ١٦ ص ٩١.

فمن مجموع الآيات والروايات نصل إلى نتيجة مفادها الخصوصيّات التي ذكرناها.

خصائص الأبدان الأخرويّة

دلّت الآيات والأخبار الواردة في الكتب الإلهيّة والشرائع السماويّة الحقّة أنّ المُعاد في يوم المَعاد هذا الشخص بعينه نفساً وبدناً، وإن تبدّل خصوصيّات البدن من المقدار والوضع وغيرهما لا يقدح في بقاء شخصيّة البدن، فإنّ تشخُّص كلّ بدن إنّما هو ببقاء نفسه مع مادّةٍ مّا وإن تبدّلت خصوصيّات المادّة، حتّى إنّك إذا رأيت إنساناً في وقت سابق ثمّ تراه بعد مدّة كثيرة وقد تبدّلت أحوال جسمه جميعاً بخصوصيّاتها أمكنك أن تحكم عليه بأنّه ذاك الإنسان، فلا عبرة بتبدُّل المادّة البدنيّة بعد انحفاظ الصورة النفسانيّة، بل الحال كذلك في تشخّص كلّ عضو منه ولو كان إصبعاً واحداً[(١)].

فالإنسان الشخصي المُعاد بعد الموت وإن كان هو هذا الإنسان بعينه، فلا يقدح في ذلك أنّ هذا البدن الدنيوي مضمحلّ فاسد، ولا يمنع ذلك أيضاً من وجود تمايز وفوارق بين البدن الدنيوي والبدن الأخروي حسب ما ذكره الفيلسوف الإلهي صدر المتألّهين حيث قال: «في وجوه الفرق بين الأجساد والأبدان الدُّنياويّة والأخرويّة في نحو الوجود الجسماني وهي كثيرة:

منها: أنّ كلّ جسد في الآخرة ذو روح بل حيّ بالذات، ولا يتصوّر

---

(١) **كتاب العرشيّة**، صدر المتألّهين، تصحيح وتعليق: فاتن اللبون فولادكار، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ص ٥١.

هناك بدن لا حياة له، بخلاف الدُّنيا فإنّها يوجد فيها أجسام غير ذات حياة وشعور، والذي فيه الحياة فإنّ حياته عارضة له زائدة عليه.

ومنها: أنّ أجسام هذا العالم قابلة لنفوسها على سبيل الاستعداد ونفوس الآخرة فاعلة لأبدانها على وجه الإيجاب، فهاهنا ترقّي الأبدان والموادّ بحسب استعداداتها واستحالاتها إلى أن يبلغ إلى حدود النفوس، وفي الآخرة يتنزّل الأمر من النفوس إلى الأبدان.

ومنها: أنّ القوّه هاهنا مقدّمة على الفعل زماناً والفعل مقدّم عليها ذاتاً، وهناك القوّة مقدّمة عليه ذاتاً ووجوداً.

ومنها: أنّ الفعل هاهنا أشرف من القوّة لأنّه غاية لها وهنالك القوّة أشرف من الفعل لأنّها فاعلة له»[1].

حقيقة الحياة الأخرويّه

أسئلة كثيرة تراود أذهاننا: ما هي حقيقة الحياة بعد الدُّنيا والبرزخ وهو ما نصطلح عليه بالحياة الأخرويّة؟ وكيف هي علاقتها بالحياة الدنيويّة؟ وهل هي موجودة الآن؟ وما هي أهمّ خصائص الحياة الآخرة ومميّزاتها عن الحياة الدنيويّة والبرزخيّة؟ فما هو الجواب عنها؟

من أهمّ الخصائص والمميّزات التي تميّز الحياة الأخرويّة للإنسان عن الحياتين اللّتين سبقتاها: أنّه لا الحياه الدنيويّة ولا الحياة البرزخيّة قابلتان للأبديّة، ومن هنا قلنا بأنّ الموت هو انتقال من نشأة إلى نشأة أخرى، والإنسان بالإماته الأولى ينتقل من نشأة الدُّنيا إلى نشأة البرزخ، وبالإماتة الثانية ينتقل من نشأة البرزخ إلى نشأة الآخرة بعد النفخة التي تقدّم الكلام

---

(١) كتاب العرشيّة، صدر المتألّهين، مصدر سابق: ص ٥٤.

عنها، وبعد انتهاء هذه المواقف يؤتى بالموت على صورة معيّنة ويُقال له مُت، وهذا يعني أنّه لا وجود للانتقال من نشأة إلى أخرى.

ويمكن أن نتصوّر نحوين من العلاقة بين الدُّنيا والآخرة بالبيان التالي:

أن نفترض أنّ الآخرة تقع في عرض الدُّنيا، فيكون على نحو وجود شيء وراء شيء، فعند انتهاء يوم الأربعاء يأتي يوم الخميس ليصبح يوم الأربعاء غير موجود.

والعلاقة العرضيّه هي كوجود شخصين جالسين معاً وفي زمان واحد، ففي قِبال هذه العلاقة هناك العلاقة الطوليّة بحيث يكون الشيئان معاً وأحدهما مع الآخر، كالأمّ التي في رحمها جنين، وهي علاقة الظاهر مع الباطن، ولكن الباطن ليس المقصود منه الباطن المادّي.

وتقريب الفكرة بجلوس شخص أمام شخص آخر يشاهده فيرى منه كلّ أعضاء الجسد كالعين والأنف ويسمع صوته ويشمّ رائحته... ولكنّه لا يستطيع أن يرى نواياه ولا روحه ولا نفسه مع وجودها في الواقع؛ لأنّ النفس هي السبب في الحديث والرؤية. ويعني ذلك أنّ الإنسان مركّب من بُعدين ـ كما أشرنا سابقاً ـ بُعد ظاهري وهو البدن الذي يمكن الوقوف عليه من خلال الحواسّ الظاهريّة (الباصرة والسامعة...) والبُعد الآخر هو الباطني والروحاني الذي لا يمكن الوقوف عليه من خلال الحواسّ الظاهريّة.

فالعلاقة بين الدُّنيا والآخرة هي علاقة الظاهر والباطن، والدُّنيا التي نراها الآن بأعيننا ونقف على كلّ ظواهرها من خلال حواسّنا فيها باطن، وباطنها هو الآخرة.

والسؤال هنا: ما نوع العلاقة بين الدُّنيا والآخرة؟ أهي علاقة عرضيّة

أم طوليّة ؟

هناك اتّجاهان بين علماء المسلمين. فالبعض يرى أنّها علاقة عرضيّة كالعلاقة بين شيئين ينتهي أحدهما ليبدأ الآخر، وهذا معناه أن تكون العلاقة زمانيّة.

وهناك اتّجاه آخر تبنّاه البعض يرى أنّ العلاقة طوليّة كالعلاقة بين الظاهر والباطن، أو العلاقة التي تحكم بدن الإنسان بروحه.

وأبحاثنا تقوم على أساس تبنّي الاتّجاه الثاني، والشواهد على ذلك كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ (الروم: ٧)، فالآية تكشف عن أنّ الدُّنيا لها ظاهر وهذا الذي نعلمه، والذي عبّر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ فالإنسان إذا التفت إلى الدُّنيا ونسي الآخرة يكون قد التفت إلى الظاهر وغفل عن الباطن.

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا ﴾ (النساء: ١٠)، فالظاهر هنا هو أكل مال اليتيم بلذّة، ولكن الباطن هو ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا ﴾. فأكل مال اليتيم من قبل الإنسان ظلماً ظاهره اللّذة وباطنه النار، لأنّه في هذه النشأة غافل لا يلتفت إلى الحقيقة، وثمّ يُكشف عنه الغطاء ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ (ق: ٢٢).

وهذا الاتّجاه هو الذي تبنّاه صدر الدِّين الشيرازي في أبحاثه الفلسفيّة؛ قال: «اعلم أنّ لله تعالى عالماً غير هذا العالم وهو عالم الآخرة وعالم الباطن وعالم الغيب وعالم الملكوت، وهذا العالم عالم الدُّنيا وعالم الظاهر وعالم الشهادة والملك والخلق وهو ثابت الآن ومكانهما ليس في ظواهر هذا العالم؛ لأنّه محسوس بهذه الحواسّ، فهو من الدُّنيا، والجنّة من عالم الآخرة. نعم،

مكانهما في داخل حُجب السماوات ولهما مظاهر في هذا العالم وعليها تحمل الأخبار الواردة في تعيين بعض الأمكنة لها»[١].

ومن الذين تبنّوا هذا الرأي أيضاً السيّد حيدر الآملي حيث يقول في حقيقة المعاد والقيامة: «إنّ القيامة عبارة عن تغيير عالم الظاهر وتبديله ورجوعه إلى الباطن دائماً، كما أنّ الدُّنيا عبارة عن ظهور الباطن بصور الظاهر دائماً ورجوعه إليه كذلك؛ لأنّ الأسماء وإن كانت كثيرة لكن لا يخرج حكمها عن هذه الأربع، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن.

فإنّ الأوّل والظاهر وأخواتها من قبيل الدُّنيا والمرتبة المبدائيّة، والباطن والآخر وأخواتها من قبيل الآخرة والمرتبة المنتهائيّة»[٢].

ومن النتائج المترتّبة على الاعتقاد بالعلاقة الطوليّة بين الدُّنيا والآخرة:

النتيجة الأولى: أنّ الانتقال من الدُّنيا إلى الآخرة بناءً على الاتّجاه العرْضي في العلاقة بينهما هو انتقال زمانيّ، ومفاد ذلك هو توقيت الآخرة، كأن نقول: الدُّنيا تعيش وتستمرّ مثلاً سبعة ملايين أو ثمانية ملايين سنة، ومن اليوم الأوّل لانتهاء هذه السبعة أو الثمانية ملايين سنة تبدأ الآخرة.

أمّا على الاتّجاه الثاني القائل بالعلاقة الطوليّة فلا يمكن توقيت الآخرة زمانيّاً، وهذا ما أيّده القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ (الأعراف: ١٨٧) ولا يُجيب القرآن على ذلك بل يقول: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾.

والسبب في ذلك أنّ الآخرة غير مرتبطة بعالم الزمان، ولا بالامتداد

---

(١) **المظاهر الإلهيّة**، صدر المتألّهين، تحقيق: جلال الدِّين أشتياني، مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة: رقم ٥١١، التسلسل ١١٦٧.

(٢) تفسير **المحيط الأعظم**، الآملي، مصدر سابق: ج ٣ ص ٢٩٣.

الزماني الذي نعيشه، بل هي مرتبطة بعالم آخر، وبنشأة أخرى، ومن هنا يُعلّق القرآن السبب في قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فالسماوات والأرض لا تتحمّل ذلك لثقله، ويؤدّي ذلك إلى أن يتبدّل ويتغيّر كلّ نظام عالم السماوات والأرض، ولو كانت الساعة تقع في صراط الزمان فلماذا تأتي فجأةً وبغتةً كما في تتمّة الآية المتقدِّمة ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.

النتيجة الثانية: أنّه بناءً على الاتّجاه العرضي لا تختلف أحكام الدُّنيا عن أحكام الآخرة إلاّ قليلاً، أمّا بناءً على الاتّجاه الطولي والانتقال من نشأة إلى أخرى، فالأحكام تكون مختلفة، ومن هنا فإنّ القرآن الكريم في آيات عديدة يعتبر أنّ النظام الذي يحكم عالم الدُّنيا سوف يتغيّر ويتبدّل بل إنّه يفنى.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ (طه: ١٠٥ ـ ١٠٧).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

هل الحياة الآخرة موجودة الآن؟

هذا البحث وقع الكلام والجدال فيه كثيراً بين المتكلِّمين، ولكنّه بناءً على الاتّجاه الأوّل الذي يرى أنّ الآخرة تقع في امتداد الدُّنيا، فالحياة الأخرويّة غير موجودة، بل لا معنى لوجودها، فعندما نقول إنّ يوم الأربعاء موجود، لا معنى للقول بأنّ يوم الخميس موجود أيضاً. نعم، نستطيع القول بأنّ يوم الخميس سوف يوجد.

فعلى هذا الاتّجاه الجنّة غير موجودة وكذلك النار.

أمّا على الاتّجاه الثاني فالدُّنيا موجودة بظاهرها وكذلك باطنها الآخرة، وأحدهما لا ينفكّ عن الآخر. قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ١٩ـ ٢٢)، فهل يعقل أن يكون الشيء غير موجود وأنا غافل عنه؟ لأنّه إذا كان غير موجود فلا معنى للغفلة عنه.

الغفلة تتحقّق مع وجود الشيء ثمّ أنا أغفل عنه، والقرآن يقول: قد كنت في غفلة عن الآخرة، ولو كانت غير موجودة لما صحّ التعبير عنها بالغفلة.

نعم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ ...﴾ يتبيّن من وجود غطاء على العين وكان ينبغي رفع الغطاء عنها لرؤية الآخرة.

ومن الشواهد الروائيّة على وجود الجنّة والنار وكونهما مخلوقتين:

• عن الهروي قال: «قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله أخبرني عن الجنّة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال: **نعم، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النّار لّما عرج به إلى السماء**. قال: فقلت له: فإنّ قوماً يقولون: إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين؟ فقال عليه السلام: **ما أولئك منّا ولا نحن منهم، مَن أنكر خلق الجنّة والنار فقد كذّب النبيّ صلى الله عليه وآله وكذّبنا وليس من ولايتنا على شيء، وخلد في نار جهنّم، قال الله عزّ وجلّ:** ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ (الرحمن: ٤٣ـ ٤٤)، **وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لّما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة فناولني من رطبها فأكلته فتحوّل ذلك نطفة في صلبي فلمّا**

هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممتُ رائحة ابنتي فاطمة»(١).

• وفي حديث لابن مسعود قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لمّا أُسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل عليه السلام: قد أمرت الجنّة والنار أن تعرض عليك، قال: فرأيت الجنّة وما فيها من النعيم، ورأيت النار وما فيها من العذاب...»**(٢).

وفي البحار قال المجلسي: «**فذلكة**: اعلم أنّ الإيمان بالجنّة والنار... وأمّا كونهما مخلوقتان الآن فقد ذهب إليه جمهور المسلمين إلاّ شرذمة من المعتزلة، فإنّهم يقولون: سيخلقان في القيامة، والآيات والأخبار المتواترة دافعة لقولهم، مزيّفة لمذهبهم، والظاهر أنّه لم يذهب إلى هذا القول السخيف أحد من الإماميّة إلاّ ما ينسب إلى السيّد الرضيّ...

وقال شارح المقاصد: جمهور المسلمين على أنّ الجنّة والنار مخلوقتان الآن، خلافاً لأبي هاشم والقاضي عبد الجبّار ومن يجري مجراهما من المعتزلة، حيث زعموا أنّهما إنّما تخلقان يوم الجزاء...»(٣).

وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في المباحث اللاحقة.

---

(١) **عيون أخبار الرضا** عليه السلام، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤م: الحديث ١، ص ١٠٦ـ١٠٧؛ **أمالي الصدوق**، مصدر سابق: المجلس ٧٠، الحديث ٧، ص ٣٧٣؛ **التوحيد**: الباب ٨، الحديث ٢١، ص ١١٨.

(٢) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**: الحديث ٦٧، ج ٨ ص ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه:ج ٨ ص ٢٠٥.

المبحث الحادي عشر

مواقف يوم القيامة

- عددها
- حقيقة المواقف والمراد منها
- المستثنون من المواقف
- مدّة المكث في الحشر الأكبر
- ماهيّة يوم الحشر
- إشكاليّة التناقض في الآيات
- هل يمكن تقصير مدّة الوقوف في الحشر؟
- صورة الناس في الحشر

عدد المواقف يوم القيامة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (المطفّفين: ٦)، وهذا إشارة إلى ذلك اليوم الذي يقف فيه الناس بين يدي الله للحساب والجزاء، وقد عبّر عنه أيضاً بأنّه يومٌ طويل مقداره خمسون ألف سنة.

وهذا اليوم أشارت له الروايات الكثيرة الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام وعمّا يجري فيه من أحداث ووقائع، وكيف يجمع الله تعالى فيه الناس من الأوّلين والآخرين للحساب والجزاء.

- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**وذلك يومٌ يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال خضوعاً قياماً، وقد ألجمهم العرق**[1] **ورجفت الأرض فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ولنفسه متّسعاً**»[2].

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه، ومنهم من يبلغ نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ فخذيه، ومنهم من يبلغ خاصِرته، ومنهم من يبلغ فاه** ـ فأشار بيده ـ **فألجمها فاه، ومنهم من يغطّيه عرقه** ـ وضرب بيده على رأسه ـ»[3].

---

(١) **ألجمهم العرق**: بلغ منهم مكان اللجام، وقيل: إنّه كناية عن بلوغهم الغاية من الجهد.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة: ١٠٠؛ **علم اليقين في أصول الدِّين**، الكاشاني: ج ٢ ص ٩١١.

(٣) **الأصول من الكافي**: الروضة، ج ٨ ص ١٤٣.

• وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «**لم يلق ابن آدم شيئاً منذ خَلَقه الله أشدّ عليه من الموت، ثمّ إنّ الموت أهون ممّا بعده، وإنّهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدّة حتّى يلجمهم العرق، حتّى أنّ السفن لو أُلقيت فيه لجرت**»(١).

هناك مجموعة من الروايات المتّفق عليها عند الفريقين تبيّن عدد المواقف يوم القيامة، منها ما يشير إلى وجود خمسين موقفاً، ومنها ما يشير إلى سبعين موقفاً... من هذه النصوص:

• عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنّ في القيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مثل ألف سنة ممّا تعدّون، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾**»(٢).

• وفي تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ (المعارج: ٤) قال: «**إنّ في القيامة خمسين موقفاً لكلّ موقف ألف سنة**»(٣).

إضافةً إلى غيرها من الروايات والتي منها ما يشير إلى سبعين موقفاً، ولكنّ المشهور أنّ في القيامة خمسين موقفاً.

فإلى م يشير العدد (الخمسين) أإلى العدد أم إلى الكثرة؟

من الواضح كما هو حال كثير من الآيات التي أشارت إلى العدد مثل ﴿**لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ**﴾ (البقرة: ٩٦) **فإنّ ذلك إشارة إلى الكثرة، وليس إلى العدد، فالقضيّة ليست قضيّة خمسين أو سبعين.**

---

(١) **علم اليقين**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩١٣.

(٢) **أمالي الطوسي**، مصدر سابق: الحديث ٢ ص ٣٤.

(٣) **تفسير القمّي**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٧٤.

حقيقة المواقف والمراد منها

تبيّن لنا النصوص الروائيّة مجموعة من المواقف التي يقف عندها الإنسان يوم القيامة ويُسأل فيها عن قضايا في الدُّنيا، من أهمّ هذه المواقف السؤال عن حبّ أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم، وهناك مواقف ترتبط بالأمور العقائديّة، والأمور العمليّة كالسؤال عن الصلاة والصيام والحجّ...

ومن الروايات القيّمة في هذا المجال ما رواه السيّد عبد الله شبّر في «تسلية الفؤاد» والتي تتضمّن تجاوز الإنسان من موقف إلى موقف وانتقاله من موقف إلى آخر، وأنّه في هذا الانتقال لابدّ له من جواز للعبور وهو حبّ أهل البيت عليهم السلام.

والرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**لمّا نزلت هذه الآية:** ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ (الفجر: ٢٣) **سُئِل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله غيره إذا برَّز الخلائق وجمع الأوّلين والآخرين أتى بجهنّم تُقاد بألف زمام يقودها مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدّة وغضب وزفير وشهيق، وإنّها لتزفر الزفرة، فلولا أنّ الله عزّ وجلّ أخّرهم للحساب لأهلكت الجمع، ثمّ يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البرّ منهم والفاجر، فما خلق الله عزّ وجلّ عبداً من عباده ملكاً ولا نبيّاً إلاّ ينادي: ربِّ نفسي نفسي، وأنت يا نبيّ الله تُنادي: أُمّتي أُمّتي، ثمّ يوضع عليها الصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف، عليها ثلاث قناطر:**

- **فأمّا واحدة فعليها الأمانة والرحم.**
- **وأمّا ثانيها فعليها الصلاة.**
- **وأمّا الثالثة فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره.**

فيكلّفون الممرّ عليها فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين جلّ وعزّ، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ١٤).

والناس على الصراط فمتعلّق بيد، وتزول قدم، ويستمسك بقدم، والملائكة حولها ينادون: يا حليم إغفر واصفح وعد بفضلك وسلّم سلّم؛ والناس يتهافتون في النار كالفراش، فإذا نجا ناج برحمة الله عزّ وجلّ مرَّ بها فقال: الحمد لله وبنعمته تتمّ الصالحات وتزكو الحسنات والحمد لله الذي نجّاني منكِ بعد إياس بمنّه وفضله إنّ ربّنا لغفورٌ شكور»[1].

يظهر من الرواية أنّه عندما يؤتى بجهنّم تكون هي الحائل بين الناس وبين الجنّة، ثمّ يوضع على جهنّم الصراط لأجل الوصول إلى الجنّة، ومن غير المرور على هذا الصراط لا يمكن الوصول إلى الجنّة.

ومن صفات الصراط أنّه أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، والمواقف موجودة على الصراط ولابدّ أن يعبرها الإنسان موقفاً بعد آخر، وبتعبير الرواية: «**أمّا واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأمّا ثانيها فعليها الصلاة، وأمّا الثالثة فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلّفون الممرّ عليها...**».

والعبور على الصراط ليس إلى النار، بل إلى الجنّة كما ذكرنا باعتبار أنّ النار تحتهم، فمن يستطيع العبور يصل إلى الجنّة، وإلاّ فسيسقط إلى النار، والبعض يمرّ عليه كالبرق الخاطف، وبعضهم يحبو عليه حبواً، وبعضهم يقع ثمّ يتمسّك.

وللشيخ الصدوق كلام يبيّن حقيقة المواقف التي يسمّيها «العقبات»

---

(١) **تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد**، السيّد عبدالله شبّر، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، إيران: ص ١٥٣ والرواية منقولة عن **تفسير القمّي**: ج ٢ ص ٤١٨.

فيقول: «اعتقادنا في العقبات التي على طريق المحشر أنّ كلّ عقبة منها اسمها اسم فرض وأمر ونهي، فمتى انتهى الإنسان إلى عقبة اسمها فرض كان قد قصّر في ذلك الفرض حبس عندها وطُولب بحقّ الله فيها، فإن خرج منها بعمل صالح قدّمه أو برحمة تداركه نجا منها إلى عقبة أُخرى، فلا يزال يدفع من عقبة إلى عقبة، ويحبس عند كلّ عقبة فيُسأل عمّا قصّر فيه من معنى اسمها، فإن سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء فيحيا حياة لا موت فيها أبداً، وسعد سعادةً لا شقاوة معها أبداً، وسكن في جوار الله مع أنبيائه وحججه والصدِّيقين والشهداء والصالحين من عباده، وإن حُبس على عقبة فطُولب بحقّ قصّر فيه فلم ينجه عمل صالح قدّمه، ولا أدركته من الله عزّ وجلّ رحمة، زلّت به قدمه عن العقبة فهوى في جهنّم ـ نعوذ بالله منها ـ .

وهذه العقبات كلّها على الصراط، اسم عقبة منها الولاية، يوقف جميع الخلائق عندها فيُسألون عن ولاية أمير المؤمنين والأئمّة من بعده عليهم السلام، فمن أتى بها نجا وجاز، ومن لم يأت بها بقي فهوى، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ (الصافّات: ٢٤).

وأهمّ عقبة منها المرصاد وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر: ١٤) ويقول عزّ وجلّ: **وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم**، واسم عقبة منها الرحم، واسم عقبة منها الأمانة، واسم عقبة منها الصلاة، وباسم كلّ فرض أو أمر أو نهي أو عقبة يحبس عندها العبد فيُسأل»(١).

وقال الشيخ المفيد في «شرح اعتقادات الصدوق»: «العقبات عبارة عن الأعمال الواجبة والمساءلة عنها والموافقة عليها، وليس المراد به جبال في الأرض تقطع، وإنّما هي الأعمال شبّهت بالعقبات، وجُعل الوصف لما

---

(١) **رسالة اعتقادات الصدوق**، مصدر سابق: ص ٨٧ ـ ٨٨ .

يلحق الإنسان في تخلّصه من تقصيره في طاعة الله تعالى، كالعقبة التي تجهده صعودها وقطعها؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (البلد: ١١ ـ ١٣)، فسمّى سبحانه الأعمال التي كلّفها العبد عقبات تشبيهاً بالعقبات والجبال، لما يلحق الإنسان في أدائها من المشاقّ، كما يلحقه في صعود العقبات وقطعها...»[١].

فمن كلام الصدوق يظهر أنّ عدد المواقف بعدد التكاليف الإلهيّة، من أوامر ونواهٍ، وكلّ واحدة منها لها اسم خاصّ، فهناك موقف للصلاة، وللصوم، وللحجّ، ولحقوق الأخوّة، وللأموال ...، ومتى انتهى الإنسان إلى عقبة اسمها فرض من الفروض وكان قد قصّر في ذلك الفرض حُبس عندها وطُولب بحقّ الله تعالى.

فإذا كان قد أدّى حقوق الفرائض يمرّ كالبرق الخاطف لأنّه لم يضيّع حقوق هذه الفرائض والتكاليف الإلهيّة، ثمّ لا يزال يُدفع من عقبة إلى عقبة وهو على الصراط والنار تحيط به، فإن سلم من جميعها انتهى إلى الجنّة والسعادة الأبديّة. أمّا لو حُبس على عقبة وطُولب بحقّ قصّر فيه ولم ينجه عمل صالح قدّمه، ولا أدركته من الله تعالى رحمة، ولا شفاعة من النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام فسوف تزلّ قدمه ويهوي إلى جهنّم.

المستثنون من المواقف

المرور على الصراط لعبور هذه المواقف أمرٌ حاصل لجميع البشر، ولكن بعضاً كما ذكرنا يمرّ عليه كالبرق الخاطف، وبعضاً بالحبو...، لكنّ الروايات ذكرت استثناءً لفئة من البشر وهم الأنبياء ولا سيّما أُولي العزم

(١) شرح عقائد الصدوق، مصدر سابق: ص ٩١ ـ ٩٢.

وخاتمهم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام فإنّهم لا يعبرون ولا يمرّون في هذه المواقف، وبيان ذلك:

إنّ الذهاب إلى الحشر الأكبر لا يتساوى فيه الجميع، وليست القيامة في الحشر الأكبر لجميع الناس، بل إنّ البعض يستطيعون أن يقيموا القيامة لأنفسهم وهم في الدُّنيا بحيث إنّهم يذهبون إلى القيامة وهم في هذه الدُّنيا. فالبشر من أمثالنا ومن عموم الناس لا يمكنهم الذهاب إلى الحشر إلاّ بعد الانتقال من هذا العالم إلى العالم الآخر بالموت الطبيعي، وبعد ذلك يدخلون عالم البرزخ، ومنه إلى عالم الحشر الأكبر. ولكن هناك أُناساً استطاعوا ذلك بالموت الإرادي، وبإرادتهم كان لهم ما ورد في تعبير بعض الروايات «**موتوا قبل أن تموتوا**». وهذا يعني أنّ الإنسان قادر أن يموت وهو في هذا العالم وينتقل منه مباشرةً إلى الآخرة وفقاً لما ذكرناه في الأبحاث السابقة من أنّ البرزخ والآخرة هما بطن الدُّنيا.

فلا إشكال ولا شبهة أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وكذلك عباد الله المخلَصين لا يحضرون للحساب لأنّهم حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسَبوا، وأدّوا جميع الحقوق الواجبة عليهم، فقامت بذلك قيامتهم وهم في هذه الدُّنيا، وإذا كانت القيامة قد قامت عليهم في الدُّنيا فيكونون قد جازوا الصراط.

فهؤلاء على منابر من نور، والمشرفون على عالم الحشر، بل هم الذين يديرونه، ومن هنا لا نجد آية أو رواية على الإطلاق تشير إلى كيفيّة حساب النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين، ولهذا نقول بأنّ الموت على قسمين:

الأوّل: الموت الانفرادي والاختياري، وهو للأوحدي من الناس، والذي أمر به النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «**موتوا قبل أن تموتوا**».

الثاني: الموت الطبيعي الذي يتحقّق لجميع البشر.

مدّة المكث في الحشر الأكبر

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤).

أشارت الآية الكريمة إلى عروج الملائكة والروح إلى الله سبحانه في يوم يكون مقداره خمسين ألف سنة، وترتبط الآية بالحشر الأكبر وبالقيامة الكبرى؛ بدليل ما سبقها من قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (المعارج: ١ ـ ٣) وهذا اليوم هو زمن وقوع العذاب، وكذلك ما ورد في كتب الفريقين من روايات تشير إلى أنّ هذا اليوم يُقصد به الحشر الأكبر، والعدد الوارد في الآية (خمسين ألف سنة) هو مقدار مكث الناس في الحشر الأكبر.

ولكن لماذا خصّصت الآية العروج بالملائكة والروح، مع أنّ كلّ ما في هذه الدُّنيا من مخلوقات ترجع إلى الله تعالى ؟

إنّ هذه النشأة هي نشأة الأسباب والوسائط؛ إذ إنّه من الفوارق الأساسيّة بين الدُّنيا والآخرة ـ كما عرفت ـ أنّ الدُّنيا عالم الوسائل والأسباب والمسبّبات ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ (النازعات: ٥)، أمّا يوم القيامة فمن خصائصه سقوط الأسباب ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ ...﴾ (المؤمنون: ١٠١) ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ...﴾ (البقرة: ١٦٦) فكلّ الأسباب والوسائط التي كانت بين الله تعالى وبين خلقه سوف ترتفع وتذهب ولا يبقى منها شيء، وقد كان من الوسائط المهمّة في هذا الأمر «الملائكة».

وفي ذلك يقول الطباطبائي في تفسيره: «والمراد بكون مقدار هذا اليوم خمسين ألف سنة ـ على ما ذكروا ـ أنّه بحيث لو وقع في الدُّنيا وانطبق على الزمان الجاري فيها، كان مقداره من الزمان خمسين ألف سنة من سني

الدُّنيا. والمراد بعروج الملائكة والروح إليه يومئذ، رجوعهم إليه تعالى عند رجوع الكلّ إليه؛ فإنّ يوم القيامة يوم بروز سقوط الوسائط وتقطّع الأسباب وارتفاع الروابط بينها وبين مسبّباتها، والملائكة وسائط موكلة على أمور العالم وحوادث الكون، فإذا تقطّعت الأسباب عن مسبّباتها ورجع الكلّ إلى الله عزّ اسمه رجعوا إليه وعرجوا معارجهم فحفّوا من حول عرش ربّهم وصفّوا، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ (الزمر: ٧٥)، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ (النبأ: ٣٨)»[١].

أمّا عن مقدار ذلك اليوم الذي يبقى فيه الناس في الحشر الأكبر كما هو صريح القرآن الكريم ﴿مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فهذا يكون قبل دخول أهل الجنّة إلى الجنّة، وقبل دخول أهل النار إلى النار.

أما كون هذا المقدار هو على نحو الدقّة والحقيقة، أم هو من باب الإشارة إلى الكثرة؟ فإنّنا لا يمكننا تحديد المعنى المُراد من كتاب الله في هذا الأمر، وهذا من الأمور الغائبة عنّا نحن البشر، ولم يرد في كلمات النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام ما يُشير إلى ذلك، نعم في كلمات المفسّرين نرى وجود هذين الاحتمالين، فهناك من ذهب إلى القول بالتحديد، وفي قِباله من ذهب إلى القول بأنّه إشارة إلى الكثرة.

ماهيّة يوم الحشر

في عالمنا الذي نعيش فيه هناك تحديد وتشخيص لليوم ومقداره. هذه الدورة والفترة الزمانيّة المحدّدة بالأربعة وعشرين ساعة، ومن مجموع الأيّام يحصل عندنا الاسبوع، ومن مجموع الأسابيع يحصل الشهر وصولاً

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٢٠ ص ٨ .

إلى السنة وهكذا إلى مجموع السنين وصولاً إلى القرون ونحو ذلك.

ولكن بناءً على ما تقدّم من توضيحنا للفارق بين النشأة الدنيويّة والنشأة الأخرويّة التي لها أحكامها الخاصّة ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الواقعة: ٦١) ، فهذا يعني أنّ اليوم بالمعنى الذي تقدّم من مجموع الساعات، أو السنة من مجموع الشهور... هو من مختصّات عالم الدُّنيا. فاليوم الذي أشار إليه القرآن الكريم يختلف عن اليوم في عالمنا الدنيوي، وهو ليس من قبيل الأيّام التي عندنا، فمقداره لا يحدّد بالأربع وعشرين ساعة، بل خمسين ألف سنة.

ولا معنى لتطبيق أحكام النشأة الدنيويّة في السنين والشهور والأيّام والساعات على النشأة الأخرويّة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

وقال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

فإذا برز الخلائق إلى الله تعالى، وتبدّلت الأرض والسماوات لا معنى حينئذ لأن نطبّق عليها قوانين الأرض.

فاليوم الأخروي ليس كاليوم الدنيوي على الإطلاق، ولا يمكن فهم ذلك إلاّ من خلال معرفة الحقائق القرآنيّة المتعلّقة بالحشر الأكبر والقيامة الكبرى، والقرآن الكريم من أجل أن يقرِّب الفكرة إلى أذهان البشر عبّر عن ذلك اليوم بأنّه يومٌ مقداره خمسون ألف سنة، أي أنّه بحسب المقاييس الدنيويّة يساوي هذا الحدّ.

وهكذا الحال عندما يتكلّم القرآن الكريم عن اللذائذ في الآخرة، فلا

ينبغي أن نقيسها باللذائذ الدنيويّة، وكذلك العذاب الأخروي لا يُقاس بالعذاب الدنيوي.

وأيضاً عن الحساب، والشفاعة، والميزان، والصراط، وتطاير الكتب، وسائر المواقف في الآخرة، فهذه كلّها لا تُقاس بما هو في الدُّنيا.

إشكاليّة التناقض في الآيات

في الآية التي ذكرناها من سورة المعارج قال تعالى بأنّ عروج الملائكة والروح يكون ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ .

وفي سورة السجدة قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ فجعل العروج في «ألف سنة»، فهل هناك تنافٍ بين الآيتين؟

الجواب: إنّ الآية في سورة السجدة هي في مقام بيان أنّ التدبير الإلهي كلّه بيد الله سبحانه وتعالى، فهو تعالى يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، وهذا ما اصطلحنا عليه وعبّرنا عنه ـ سابقاً ـ بقوس النزول؛ لأنّ الابتداء يكون من عالم الملكوت أو عالم العقل إلى أن ننتهي إلى عالم المادّة.

فإذن قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ في قوس النزول، ثمّ العروج إليه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يكون في قوس الصعود.

وإشكاليّة التنافي بين الآيتين ترتفع بكون المراد من اليوم المقدّر بألف سنة في سورة السجدة هو اليوم المتعارف عليه في السنة الدنيويّة، وما يتشكّل من الأربعة وعشرين ساعة، وأنّ المراد من اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة في سورة المعارج هو اليوم الأخروي وليس الدنيوي.

ولعلّ الإشكاليّة المطروحة في هاتين الآيتين والذي يعتبره البعض من موارد التناقض في القرآن الكريم كانت مثار جدل كبير بين المفسّرين الذين لم يتّفقوا على رأي واحد لدفع هذا الإشكال المتراءى بين الآيتين.

إلاّ أنّ السيّد الطباطبائي بعد أن اعتبر قوله تعالى «في يوم» قيداً لقوله تعالى: «ثمّ يعرج» قال: بأنّ المراد باليوم هو يوم عروج الأمر، وقد صار اليوم ألف سنة باعتبار أنّ جملة من الروايات ذكرت بأنّ الآخرة كانت خمسين ألف سنة لوجود خمسين موقفاً فيها، وكلّ موقف من هذه المواقف مقداره ألف سنة، فالآية إذن بصدد الإشارة إلى مشهد من مشاهد يوم القيامة، لذا قال الطباطبائي في تفسيره لآية السجدة: «وأمّا أنّ هذا المقدار هل هو مقدار النزول واللّبث والعروج، أو مقدار مجموع النزول والعروج دون اللّبث، أو مقدار كلّ واحد من النزول والعروج، أو مقدار نفس العروج فقط بناءً على أنّ ﴿فِي يَوْمٍ﴾ قيد لقوله: ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ فقط كما وقع في قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤)؟

ثمّ على تقدير كون الظرف قيداً للعروج، هل العروج مطلق عروج الحوادث إلى الله أو العروج يوم القيامة وهو مقدار يوم القيامة، وأمّا كونه خمسين ألف سنة فهو بالنسبة إلى الكافر من حيث الشقّة أو أنّ الألف سنة مقدار مشهد من مشاهد يوم القيامة وهو خمسون موقفاً كلّ موقف مقداره ألف سنة»[1].

ثمّ أشار إلى وجود الاحتمالات المتعدّدة في تفسير الآية فقال: «والآية ـ كما ترى ـ تحتمل الاحتمالات جميعاً ولكلّ منها وجه، والأقرب من بينها

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٦ ص ٢٤٨.

إلى الذهن كون ﴿فِي يَوْمٍ﴾ قيداً لقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ وكون المراد بيوم عروج الأمر مشهداً من مشاهد يوم القيامة، والله أعلم»[١].

وفي تفسير ابن عاشور ما ملخّصه: أنّ المراد من «ألف سنة ممّا تعدّون» أنّ الله سبحانه وتعالى يؤدّي الأعمال التي يقوم بها البشر في ألف سنة يؤدّيها في يوم واحد، وهو للإشارة إلى عظمته وقدرته سبحانه وتعالى، فيكون بناءً على هذا الرأي اليوم هو اليوم الدنيوي[٢]، أمّا على ما ذكره السيّد الطباطبائي يكون المراد منه اليوم الأخروي.

ومن الاحتمالات الوجيهة في تفسير هذا التناقض الظاهري أن يكون المراد أنّ اليوم الأخروي قد يكون للبعض بمقدار خمسين ألف سنة، وللبعض الآخر يكون بمقدار ألف سنة، ومنشأ ذلك هو الأعمال الصالحة والأعمال السيّئة؛ إذ إنّ الوقوف يطول لمن يطول حسابه ووقوفه بين يدي الله عزّ وجلّ، ويقصر بالنسبة لمن كانت سيّئاته أقلّ، وهكذا يتفاوت وقت الوقوف إلى أن يكون بمقدار صلاة مكتوبة.

وما ذكره الطباطبائي في علاجه للتنافي والتناقض بين الآيات يلتقي فيه إلى حدٍّ ما مع ما ذكره الطبرسي في تفسيره لمعنى اليوم المقدّر بألف سنة وللخمسين ألف سنة حيث قال: «وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وجوه:

أحدها: أنّ يوماً من أيّام الآخرة يكون كألف سنة من أيّام الدُّنيا، عن ابن عبّاس وغيره، وفي رواية أخرى عنه أنّ يوماً من الأيّام خلق الله فيها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) **التحرير والتنوير** المعروف بتفسير ابن عاشور، محمّد الطاهر ابن عاشور، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م: ج ٢١ ص ١٤٨.

السماوات والأرض كألف سنة، ويدلّ عليه ما روي أنّ الفقراء يدخلون الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام.

وثانيها: أنّ يوماً عند ربّك وألف سنة في قدرته واحد.

وثالثها: أنّ يوماً واحداً كألف سنة في مقدار العذاب لشدّته، كما يُقال في المَثَل: أيّام السرور قصار، وأيّام الهموم طوال»[1].

إلى أن يقول الطبرسي: «فأمّا قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.. فإنّ المقامات في يوم القيامة مختلفة؛ وقيل إنّ المراد بالأوّل أنّ مسافة الصعود والنزول إلى السماء الدُّنيا في يوم واحد للملك مقداره مسيرة ألف سنة لغير الملك من بني آدم، وإلى السماء السابعة مقدار خمسين ألف سنة؛ وقيل إنّ الألف سنة للنزول والعروج، والخمسين ألف سنة لمدّة القيامة»[2].

هل يمكن تقصير مدّة الوقوف في الحشر ؟

إذا كان الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى في يوم المحشر أمراً لابدّ منه، فهل يتساوى في ذلك جميع الناس، بحيث إنّ مدّة وزمان مكثهم في أرض المحشر هي بالمقدار الذي تحدّثت عنه الآيات فيكون ألف سنة أو خمسين ألف سنة؟

وهل عدد المواقف التي حدّدتها الروايات بالخمسين أو السبعين هو أيضاً كذلك بالنسبة للجميع، أم أنّ البعض قد يتجاوز عدداً من المواقف، أو لا يقف على واحدة منها؟ فما هو الحال في هذه التساؤلات؟

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يُجيب عن سؤال من أبي سعيد الخدري

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٥١.

وفيه يُطهر هذا الصحابي تعجّبه من طول زمان هذا اليوم فيقول صلى الله عليه وآله بأنّ المؤمن قد يخفّف الله تعالى عنه ذلك، ونصّ الرواية:

• روى أبو سعيد الخدري قال: «قيل: يا رسول الله ما أطول هذا اليوم؟ فقال: **والذي نفس محمّد بيده إنّه ليخفّف على المؤمن حتّى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا**»(١).

• وعن ابن مسعود قال: «كنتُ جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: **إنّ في القيامة لخمسين موقفاً كلّ موقف ألف سنة، فأوّل موقف خرج من قبره حبسوا ألف سنة عُراة حفاة جياعاً عطاشاً، فمن خرج من قبره مؤمناً بربّه ومؤمناً بجنّته وناره ومؤمناً بالبعث والحساب والقيامة مقرّاً بالله مصدّقاً بنبيّه صلى الله عليه وآله وبما جاء من عند الله عزّ وجلّ نجا من الجوع والعطش؛ قال الله تعالى:** ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (النبأ: ١٨) **من القبور إلى الموقف أُمماً، كلّ أمّة مع إمامهم، وقيل جماعات مختلفة**»(٢).

صريح هذه الرواية أنّ البعض يجتاز أحد المواقف وهو موقف الجوع والعطش، وينجو منه بسبب الإيمان بالله تعالى، والإيمان بجنّته وناره والبعث والحساب والقيامة.

بعد أن ينقل العلاّمة المجلسي طائفة من الروايات التي تشير إلى مواقف القيامة وزمان مكث الناس فيها، يقول: «لا يبعد أن يكون مكث أكثر الكفّار في القيامة ألف سنة، فيكون اليوم بالنظر إليهم كذلك، ويكون مكث جماعة من الكفّار خمسين ألف سنة، فهو منتهى زمان هذا اليوم،

---

(١) **مجمع البيان**: ج ٥ ص ٧٤١ ـ ٧٤٢، في ذيل تفسيره لآية ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ٤٢، ج ٧ ص ١١١.

ويكون مكث بعض المؤمنين ساعة، فهو كذلك بالنسبة إليهم، وهكذا بحسب اختلاف أحوال الأبرار والفجّار، ويحتمل أيضاً كون الألف زمان مكثهم في بعض مواقف القيامة كالحساب مثلاً»[1].

وبهذا يتبيّن أيضاً أنّ القاعدة التي أشارت إليها الآية المباركة حول مدّة المكث وأنّها تكون خمسين ألف سنة، وما ذكرته الروايات المتقدِّمة، لا تعارض بينهما على الإطلاق لأنّه ليس لجميع الناس كذلك، فما ذكرته الروايات عن وجود خمسين موقفاً وعقبة فهو ليس لكلّ البشر يوم القيامة، فهذه المواقف يمكن اختصار بعضها أو كلّها فيدخلون الجنّة بغير حساب.

وإذا كان بعض الناس من المؤمنين يمرّ على المواقف يوم الحشر الأكبر المقدّر بخمسين ألف سنة بمقدار صلاة مكتوبة، فما بالك بوليّ من الأولياء! وما بالك بالأنبياء والرُّسل؟

صور الناس في الحشر

في بعض الأحيان نجد القرآن الكريم يشير إلى بعض المسائل مرّةً واحدة أو مرّتين، أمّا القضايا التي لها ارتباط بالبُعد العملي للإنسان وبمصيره، والتي لها أبعاد تربويّة ونفسيّة وأخلاقيّة فإنّ القرآن الكريم يقف عندها طويلاً ليبيّنها، ومنها مسائل المعاد واليوم الآخر فإنّ ثلث آيات القرآن تعرض لنا صوراً وتفاصيل متعلّقة بهذا الشأن.

ومن المسائل المرتبطة باليوم الآخر مسألة حشر الناس يوم القيامة، وهل يكون هذا الحشر على صورة واحدة كما هو الحال هنا في هذه النشأة حيث الناس على صورة واحدة، فالإنسان سواء كان مؤمناً أو نبيّاً أو إماماً

---

(١) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، مصدر سابق: ج ٧ ص ١٢٨.

أو وصيّاً أو كان فاسقاً فاجراً أو طاغيةً أو فرعوناً... فصور هؤلاء جميعاً واحدة من حيث الظاهر لا تختلف، وكذلك من حيث الإمكانات التي أُعطيت للإنسان ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٠) فالإمكانيّات متساوية.

والسؤال الأساس هنا: هل يكون الأمر كذلك يوم القيامة؟

إذا كانت الآخرة امتداداً للدُّنيا فيكون الحال واحداً، أمّا بناءً على ما قلناه بأنّ الآخرة ليست امتداداً للدُّنيا، وهي غير محكومة بقوانينها فلن يكون الحال واحداً.

والقرآن الكريم يؤكّد هذه الحقيقة بشكل واضح، وأنّ الناس يُحشرون على أنحاء وعلى صور وأصناف مختلفة ومتعدّدة، وهكذا الروايات التي ورد فيها هذا المضمون.

• قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ (الحديد: ١٢).

فعلى مدّ البصر أمامهم نور، ينير لهم الطريق للوصول إلى جنّات الله تعالى، بينما الكافر حاله على العكس حيث يعيش في ظلمات على مدّ البصر، ويصوّر القرآن حالة الكافرين وهم يخاطبون المؤمنين الذين يعيشون في النور بقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ (الحديد: ١٣).

والخطاب بين الفئتين يحصل في عالم واحد، وإلاّ لو كان أحدهما يمشي في عالم والآخر في عالم ثانٍ فلا معنى للخطاب.

ولكن كيف يمكن التصوّر بأنّ أحدهما يمشي بجنب الآخر، وأحدهما يخاطب الآخر، وأحدهما يسعى نوره بين يديه، والآخر في حالة الظلمة ويحتاج إلى اقتباس النور من صاحبه؟

الجواب عن ذلك نتعقّله من جواب المؤمنين للكافرين ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾. فالنور لا يمكن أخذه والحصول عليه في ذلك الموقف يوم الحشر، بل لابدّ أن يؤتى به من الدُّنيا، لأنّ الدُّنيا هي نشأة العمل والآخرة نشأة الحساب والجزاء.

ففي الدُّنيا إذا كان عندك نور بين يديك وهناك من يمشي بجانبك، لا يمكنك أن تمنعه من الاستفادة من هذا النور، أمّا في الآخرة فليس الأمر كذلك، وهذا خير شاهد على اختلاف النشأتين.

• في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن كتم الشهادة أو شهد بها ليهدر بها دم مسلم أو ليتوي**[1] **مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مدّ البصر، وفي وجهه كدوح**[2] **يعرفه الخلائق باسمه ونسبه؛ ومَن شهد شهادة حقّ ليُحيي بها مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نورٌ مدّ البصر تعرفه الخلائق باسمه ونسبه**».

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: «**ألا ترى أنّ الله عزّ وجلّ يقول:** ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ (الطلاق: ٢)»[3].

ومن الخصائص التي يشير إليها القرآن الكريم أنّ البعض يُحشر يوم القيامة بصيراً، والبعض الآخر يُحشر أعمى.

• قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ (الإسراء: ٧٢).

---

(١) الإتواء: الإهلاك.

(٢) الكدوح جمع الكدح: وهو الخدش.

(٣) من لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، تحقيق الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ: الحديث ٣٣٢٩، الباب ٢٢ ص ٥٨.

• وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه: ١٢٥ ـ ١٢٦).

والآية لا تتحدّث عن عمى البصر، وإلاّ فما هو ذنب الإنسان الذي كان أعمى في هذه النشأة أن يُحشر أعمى يوم القيامة؟! فهذا ليس من العدل ولا من الحكمة الإلهيّة، فالمراد من العمى في الآية هو عمى البصيرة وليس عمى البصر: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦).

وهذا يكشف لنا أنّه عندما ينسب القرآن الكريم العمى إلى القلب فإنّه يريد أن يبيّن أنّ القلب له بصر، وإلاّ لو لم يكن للقلب بصر فلا معنى لأن ينسب إليه العمى، وكما أنّ هناك بصراً ظاهريّاً كذلك توجد بصيرة باطنيّة، وكما لدينا بصر نرى به أمور الدُّنيا كذلك هناك بصيرة نستطيع أن نرى بها ملكوت السماوات والأرض: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٥).

والعجب أنّ القرآن إذ ينسب إليهم العمى في الآخرة، ينسب إليهم البصر أيضاً في الآخرة: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ (السجدة: ١٢)، فكيف يكون الأعمى بصيراً؟

هذا من خواصّ تلك النشأة الآخرة، فالإنسان إذا كان بصيراً في الدُّنيا فهو بصير بالكامل في الآخرة، وإذا كان أعمى البصيرة في الدُّنيا فهو أعمى بالكامل في الآخرة، أمّا أن يرى بعض الأشياء ولا يرى بعضها الآخر فهذا غير ممكن في الدُّنيا. ولكن في الآخرة هذه الحقيقة موجودة إذ إنّ الكافر أو الفاسق أو الفاجر والذي خرج من الدُّنيا معانداً فإنّه يوم القيامة لا يُبصر الطريق الذي يوصله إلى الجنّة ولكنّه يُبصر الطريق الذي يوصله إلى النار ودركات الجحيم.

• عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**مَن آثر الدُّنيا على الآخرة حشره الله يوم القيامة أعمى**»[١].

فهذا الإنسان الذي آثر الدُّنيا على الآخرة حُشر أعمى لأنّه لم يُرِد الآخرة، وكان سعيه لأجل الدُّنيا.

• وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسودّاً وجهه، مزرقّة عيناه؛ مغلولة يداه إلى عنقه، فيُقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثمّ يُؤمر به إلى النار**»[٢].

• وعنه عليه السلام قال: «**إنّ المتكبّرين يجعلون في صور الذرّ يتوطّؤهم الناس حتّى يفرغ الله من الحساب**»[٣].

• وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**مَن صنع شيئاً للمفاخرة حشره الله يوم القيامة أسود**»[٤].

وقضيّة حشر الناس يوم القيامة على صور مختلفة تختلف عن الصور التي كانوا عليها في النشأة الدنيويّة، من القضايا المتّفق عليها بين الفريقين، كما أنّ الروايات التي عرضناها لها نظير في كتب علماء السنّة.

وهناك صفات في الدُّنيا قد لا تكون منقصةً وعيباً كالعمى والسواد، أمّا في الآخرة فهي صفات مذمّة ونقص وذلك لأنّ السواد والبياض ـ على سبيل المثال ـ في الدُّنيا ليس أمراً اختياريّاً، بل هو في ضمن النظام الإلهي

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ١٢٨، ج ٧ ص ٢١٨.

(٢) **الأصول من الكافي**، الباب ١٥٧، الحديث ١، ج ٢ ص ٣٦٧.

(٣) **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال**، مصدر سابق: الباب ١٩، الحديث ١٠ ص ٢٦٥.

(٤) المصدر نفسه: الباب ٩٢، ص ٣٠٢.

الأصلح والأفضل للإنسان، فالإرادة والحكمة الإلهيّة شاءت أن يكون هناك الأبيض وهناك الأسود وكذلك الأعمى والبصير، أمّا في الآخرة فهذه الصفات هي نتائج الأعمال والاعتقادات، وفرق كبير بين أن يكون السواد علامة على عمل شيء صدرَ من الإنسان، وبين أن يكون ضمن النظام الطبيعي.

ومعنى السواد والبياض، والعمى والبصر في الدُّنيا ليس هو نفسه في الآخرة؛ يقول الكاشاني: «إنّ حشر الخلائق يكون على أنحاء مختلفة، حسب أعمالهم وملكاتهم.

• فلقوم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ (مريم: ٨٥)، ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (فصّلت: ١٩).

• ولقوم: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (طه: ١٠٢).

• ولقوم: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٤).

• ولقوم: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (غافر: ٧١ـ٧٢).

وبالجملة: لكلّ أحد إلى غاية سعيه وعمله وما يحبّه، حتّى أنّه «**لو أحبّ أحدكم حجراً لحُشر معه**»[١].

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ (الأنبياء: ٩٨).

وقال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (الصافّات: ٢٢ ـ ٢٣).

---

(١) أمالي الصدوق: المجلس ٨٢ ص ٢١٠.

فإنّ تكرّر الأفاعيل يوجب حدوث الملكات، فكلّ ملكة تغلب في الدُّنيا على الإنسان تتصوّر في الآخرة بصورة تناسبها: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ (الإسراء: ٨٤).

ولا شكّ أنّ أفاعيل الأشقياء المدبّرين إنّما هي بحسب هِممهم القاصرة النازلة في مراتب البرزخ الحيوانيّة، وتصوّراتهم مقصورة على أغراض بهيميّة أو سبعيّة أو شيطانيّة تغلب على نفوسهم، فلا جرم يحشرون على صور تلك الحيوانات في القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ (التكوير: ٥)، وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ (الأنعام: ١٢٨).

وفي الحديث: «**يُحشر الناس على نيّاتهم**»[١].

وفيه أيضاً: «**يُحشر الناس على صور يحسن عندها القِردة والخنازير**»[٢].

وفيه أيضاً: «**يُحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركباناً ومُشاةً على وجوههم**. فقيل: يا رسول الله، فكيف يمشون على وجوههم؟ قال: **الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشيهم على وجوههم**»[٣].

وأورد المجلسي طائفة من الروايات في هذا المجال نذكر منها:

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من سُئل عن علم فكتمه حيث يجب إظهاره وتزول عنه التقيّة جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار**»[٤].

وفي الرواية تشبيه لكاتم العلم بالدوابّ.

---

(١) **علم اليقين في أصول الدِّين**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٩٠١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ١٢١، ج ٧ ص ٢١٧.

• وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من لقى المسلم بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار**»[١].

• وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه، وآخر في قدّامه يلتهبان ناراً حتّى يلهبا جسده، ثمّ يُقال له: هذا الذي كان في الدُّنيا ذا وجهين ولسانين، يُعرف بذلك يوم القيامة**»[٢].

• وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّ المتكبّرين يُجعلون في صور الذرّ يتوطّؤهم الناس حتّى يفرغ الله من الحساب**»[٣].

وعن الأسباب الكامنة وراء هذه الكيفيّة في الحشر، واختلاف صور الناس فيه يقول الكاشاني: «والسرُّ في ذلك أنّ لكلِّ خُلق من الأخلاق المذمومة والهيئات الرديّة المتمكّنة في النفس صورة نوع من أنواع الحيوانات وبدناً يختصّ بذلك، كصور أبدان الأُسود ونحوها لخُلق التكبّر والتهوّر ـ مثلاً ـ وأبدان الثعالب وأمثالها للخبث والروغان، وأبدان القِرد وأشباهها للمحاكاة والسخرية، وأبدان الطواويس ونظائرها للعُجب، والخنازير للحرص، والديك للشهوة.. إلى غير ذلك.

وكذلك بإزاء كلّ مرتبة قويّة أو ضعيفة من خُلق ما، بدن نوع خاصّ من الحيوانات التي اشتركت في ذلك الخُلق، كعِظَم الجثّة لشديد ذلك

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ١٣٠، ج ٧ ص ٢١٨، عن **ثواب الأعمال**: الباب ١١٥، الحديث ١، ص ٣١٦.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ١٣١، ج ٧ ص ٢١٨. عن **ثواب الأعمال**: الباب ١١٥، الحديث ٨، ص ٣١٦.

(٣) المصدر نفسه: الحديث ٨٠، ج ٧ ص ٢٠١. ، عن **الكافي**: الباب ١٢٥، الحديث ١١، ج ٢ ص ٣١١.

الخُلق، وصغيرها لضعيفه.

وربّما كان لشخص من الإنسان عددٌ كثير من الأخلاق الرديّة على مراتب متفاوتة، فبحسب كلّ خُلق مذموم في نفسه وضعف ذلك وما ينضمّ إليه من باقي الأخلاق المحمودة والمذمومة، القويّة والضعيفة واختلاف تراكيبها الكثيرة التي لا يقدر على حصرها إلاّ الله سبحانه تختلف الصور الحيوانيّة في الآخرة.

قيل: وربّما يُنتقل من صورة إلى أخرى نوعاً أو مرتبةً بحسب زوال ذلك الخُلق عنه رأساً ـ أو مرتبة شديدة منه ـ إلى أن يزول عن نفسه الهيئات الرديّة بالكلّية، إن كانت قابلةً للزوال، وهذا إنّما يجوز في النشأة الآخرة؛ لأنّ أبدانها ليست بسبب استعدادات الموادّ وحركاتها، وأمّا في هذه النشأة كما زعمه أهل التناسخ فغير جايز كما بُرهن عليه في محلّه»[1].

(١) **علم اليقين في أصول الدِّين**، الكاشاني، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٠٢.

المبحث الثاني عشر

الصراط المستقيم في الدُّنيا والآخرة

- دور الصراط المستقيم في حركة الإنسان التكامليّة
- الصراط المستقيم في المفهوم القرآني
- الصراط هو الإمام الحقّ
- الصراط والسبيل
- مصاديق الصراط المستقيم
- خصائص وصفات الصراط

دور الصراط المستقيم في حركة الإنسان التكامليّة

لم يأت الإنسان إلى هذا العالم للبقاء فيه، وإنّما جاء إليه للسير فيه إلى كماله الذي من أجله خُلِق ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، وهو الكمال اللائق به، وكمال الإنسان اللائق به إنّما يظهر في النشأة الآخرة في المعاد، وإلاّ فهذه الدُّنيا ليست دار الجزاء وإنّما هي دار العمل.

فالنقطة الأولى: هي أنّ الإنسان جاء إلى هذه النشأة ليرحل عنها بعد أن يأخذ زاده إلى تلك النشأة الآخرة ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ (البقرة: ١٩٧). وإلى كون الإنسان سائراً إلى ربّه يشير القرآن الكريم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾، وهذا يشمل كلّ إنسان مؤمناً كان أو كافراً.

والنقطة الثانية: أنّ الانتقال من نقطة إلى نقطة، تحتاج إلى حركة وسفر، والإنسان في انتقاله من دار إلى دار، يحتاج إلى حركة وسفر.

النقطة الثالثة: أنّ كلّ حركة لها نقطة ابتداء ولها نقطة انتهاء، فإذا كان عندنا حركة، والحركة تبدأ بنقطة وتنتهي بنقطة أخرى، فمن الناحية المنطقيّة والرياضيّة يكون الصراط المستقيم هو أقرب الطرق للوصول إلى الهدف الذي من أجله خُلق الإنسان.

والقرآن الكريم يؤكّد هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ (الأنعام: ١٥٣)، أما الذهاب يميناً أو يساراً فلا يوصِل إلى الهدف.

إن القضاء الإلهي لجميع البشر هو الانتقال من نشأة الدُّنيا إلى نشأة

الآخرة، والسؤال المطروح هنا هو: لو كان كلّ إنسان بالضرورة التكوينيّة والوجوديّة منتقلاً وسائراً ومسافراً من هذه الدُّنيا للقاء الله تعالى، فما معنى أوامر الله ونواهيه ؟

والجواب: إنّ القضيّة ليست هي قضيّة الانتقال فحسب، بل القضيّة في كيفيّة اللِّقاء مع الله تعالى وزمان ذلك، فهو تعالى من أسمائه الرؤوف الرحيم، وله رضوان وجنّات، وكذلك من أسمائه الجبّار المنتقم وشديد العقاب، والكلّ منتقل، واللِّقاء سيكون إمّا تحت مظلّة الرضوان والرحمة أو تحت مظلّة النقمة والعذاب؛ يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧ ـ ١٢). ووظيفة الدِّين الحقيقيّة هي أن يرشد الإنسان ويدلّه على الطريق الموصِل إلى رضوان الله تعالى، ويبعده عن طريق النقمة والعذاب.

فالوظيفة الأساس للدِّين من خلال الأوامر والنواهي ـ ومع كون الجميع منتقلاً إلى الله تعالى ـ هي أن يقول للإنسان إذهب إلى هذا الطريق، ولا تسلك الطريق الآخر حتّى لا تلاقي العذاب والهوان.

بتعبير فلسفيّ: ليست وظيفة الدِّين بيان «كان التامّة» وأصل الحركة، حيث إنّ الجميع له حركة وانتقال، بل وظيفته بيان «كان الناقصة» أي كيفيّة الحركة.

وبتعبير آخر: إنّ الدِّين لا يقول لك تعالَ أيّها الإنسان وتحرّك إلى لقاء ربّك، بل يبيّن لك كيفيّة الذهاب والانتقال للقاء الله سبحانه وتعالى.

«إنّ للنفس الإنسانيّة من مبدأ حدوثها إلى منتهى عمرها الدنيوي انتقالات نفسانيّة وحركات جوهريّة لأجلها في نشأة ذاتيّة، فكلّ نفس

صراط إلى الآخرة بوجه، كما أنّها سالكة أيضاً بوجه، فالمتحرّك والمسافة شيء واحد بالذات متغاير بالاعتبار، فالنفوس صراطات إلى العاقبة بعضها مستقيمة وبعضها منحرفة وبعضها منكوسة، والمستقيمة بعضها واصلة، وبعضها واقفة أو معطّلة، والواصلة بعضها سريعة وبعضها بطيئة، وأتمّ الصراطات المستقيمة نفس أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نفوس أولاده المقدّسين وذلك بحسب القوّتين العمليّة والنظريّة، وإليهما الإشارة في الحديث بصراط الدُّنيا وصراط الآخرة»[1].

الصراط المستقيم في المفهوم القرآني

في ضوء ما تقدّم من بيان حول دور الصراط في حياة الإنسان، وبناءً على ما قاله أهل اللغة في بيانهم لمعنى الصراط وأنّه في الأمور المادّية الخطّ المستقيم بين مبتدأ نقطة للانتهاء إلى نقطة أخرى، فإنّ القرآن الكريم يوضّح في آياته المعنى الحقيقي للصراط المستقيم حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١)، فالصراط المستقيم وفقاً لهذه الآية هو التوحيد والدِّين الإبراهيمي والحنيفيّة الإبراهيميّة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٥١).

وبهذا يتّضح أنّ القرآن الكريم لا يريد من الصراط المستقيم قطعة من المكان، أو مسافة مكانيّة ننتقل عبرها من نقطة إلى أخرى كانتقالنا من مدينة إلى أخرى بقطع مسافة معيّنة بشكل مستقيم.

ولهذا عبّر عنه المحقّقون من العلماء بمثل هذه التعبيرات، وفي كلمات

---

(١) كتاب العرشيّة، مصدر سابق: ص٧١

صدر المتألّهين ما يوضح لنا حقيقة الصراط: «الصراط طريق الحقّ ودين التوحيد، الذي لجميع الأنبياء والرُّسل عليهم السلام ومتابعيهم، والصراط المستقيم الذي إذا سلكت أوصلك إلى الجنّة، هو صورة الهدى الذي أنشأته لنفسك ما دمت في عالم الطبيعة من الأعمال القلبيّة، فهو في هذه الدار كسائر المعاني الغائبة عن الحواسّ، لا يشاهد له صورة حسّية، فإذا انكشف غطاء الطبيعة بالموت يمدّ لك يوم القيامة جسراً محسوساً على متن جهنّم، أوّله في الموقف وآخره على باب الجنّة»[1].

«أمّا الصراط فهو طريق الجنّة يشتمل عليه الشرع الأنور وهو هاهنا معنى وفي الآخرة له صور محسوسة، يقول الله لنا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾(الأنعام: ١٥٣)»[2].

وعن كيفيّة ظهور الصراط يوم القيامة، وطريقة مرور الناس عليه يقول صدر المتألّهين: «هذا الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر نور اليقين للمارّين عليه إلى الآخرة، وبحسب شدّة نور يقينهم يكون قوّة سلوكهم وسرعة مشيهم عليه؛ فيتفاوت درجات السعداء بتفاوت نور معرفتهم وقوّة يقينهم وإيمانهم؛ لأنّ التقرّب إلى الله لا يمكن إلاّ بالمعرفة واليقين، والمعارف أنوار، ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله إلاّ بقوّة أنوارهم وأنظارهم»[3].

والمفهوم القرآني للصراط ورد في كلام الفيض الكاشاني حيث قال:

---

(١) **المظاهر الإلهيّة**، صدر الدِّين الشيرازي، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٥٢.

(٢) **الشواهد الربوبيّة**، صدر الدِّين الشيرازي، تعليق جلال الدِّين أشتياني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م : ص ٣١٠.

(٣) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، مصدر سابق: ج ٩ ص ٢٨٦.

«الصراط: هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الشورى: ٥٢ ـ ٥٣)، وقد عرفت أنّ معرفة الله عزّ وجلّ إنّما تحصل بالعلم والعمل شيئاً فشيئاً بحسب الاستكمالات العقليّة بمتابعة السُنن النبويّة والاهتداء بُهداه صلى الله عليه وآله.

فالصراط بهذا المعنى عبارة عن العلوم الحقّة والأعمال الصالحة، وبالجملة ما يشتمل عليه الشرع الأنور.

ولمّا تلا النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (الأنعام: ١٥٣) خطّ خطّاً وعن جنبه خطوطاً، فالمستقيم هو صراط التوحيد الذي سلكه جميع الأنبياء. والمعوجّة هي طرق أهل الضلال.

ومن وجه آخر: الصراط عبارة عن العالِم العامل الهادي إلى الله عزّ وجلّ على بصيرة، وبالجملة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فإنّ نفوسهم المقدّسة طرقٌ إلى الله سبحانه»[1].

فالصراط المستقيم وفقاً للقرآن الكريم عبارة عن العلوم الحقّة والأعمال الصالحة، وبالجملة ما يشتمل عليه الشرع الحنيف، فمجموع هذه المعارف الموجودة في الدِّين تمثِّل الصراط المستقيم.

فمن مشى على الصراط يوم القيامة كان من المهتدين، أمّا من انحرف عن الصراط فيُقال عنه بأنّه قد ضلّ، ولذا يقول القرآن الكريم: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦) ويجعل الهداية في قِبال الضلالة: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧).

---

(١) علم اليقين، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٦٦ ـ ٩٦٧.

الصراط هو الإمام الحقّ

من أعظم مراتب الهداية معرفة الحجّة عليه السلام، ومن أعظم مراتب الضلالة عدم معرفته، وفي مضامين بعض الأدعية التي تُقرأ في عقيب الصلوات: «**اللّهُمَّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهُمَّ عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهُمَّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللتُ عن ديني...**»[(١)]، وكذلك: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة**»[(٢)].

فإذا كان الصراط هو الطريق الموصل إلى الله سبحانه وإلى معرفته فإنّ ذلك يمرّ من خلال معرفة الإمام المفروض الطاعة.

• ومن هنا قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «**الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام**»[(٣)].

• وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا الصراط الممدود بين الجنّة والنار، وأنا الميزان**»[(٤)].

• وعن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: أبشّرك يا محمّد بما تجوز على الصراط؟ قال: قلت: بلى، قال: تجوز بنور الله، ويجوز عليٌّ بنورك ونورك من نور الله، وتجوز أُمّتك بنور عليّ ونور عليّ من نورك، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**»[(٥)].

---

(١) الأصول من الكافي: باب في الغيبة، الحديث ٥، ج١ ص٣٣٧.

(٢) وسائل الشيعة: باب ٣٣، الحديث ٢٣، ج١٦ ص٢٤٦.

(٣) معاني الأخبار، مصدر سابق: ص ٣٢، باب معنى الصراط.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) تفسير الفرات، مصدر سابق: الحديث ٣٨٧ ص ٢٨٧.

• وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**أثبتكم قدماً على الصراط أشدّكم حبّاً لأهل بيتي**»(١).

• وعن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال النبيّ لعليّ عليهما السلام: ما ثبت حبّك في قلب امرئ مؤمن فزلّت به قدم على الصراط إلاّ ثبتت له قدمٌ حتّى أدخله الله بحبّك الجنّة**»(٢).

• وفي التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: «**الصراط المستقيم صراطان: صراطٌ في الدُّنيا، وصراطٌ في الآخرة، فأمّا الصراط المستقيم في الدُّنيا فهو ما قصر من الغلوّ وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. وأمّا الصراط في الآخرة فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنّة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنّة**»(٣).

وفي اعتقادات الشيخ الصدوق قال:

«اعتقادنا في الصراط أنّه حقّ، وأنّه جسر جهنّم، وأنّ عليه ممرّ جميع الخلق... والصراط في وجه آخر اسم حجج الله فمَن عرفهم في الدُّنيا وأطاعهم أعطاه الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنّم يوم القيامة.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: **يا عليّ إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلاّ مَن كانت معه براءة لولايتك**»(٤).

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ١٦، ج ٨ ص ٦٩.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ١٧، ج ٨ ص ٦٩.

(٣) **التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام**: الحديث ٢٠، ص ٤٤.

(٤) **رسالة اعتقادات الصدوق**، مصدر سابق: ص ٨٧٠ .

وفي تصحيح اعتقادات الصدوق قال الشيخ المفيد: «الصراط في اللغة هو الطريق فلذلك سمّي الدِّين صراطاً لأنّه طريق إلى الثواب، وله سمّي الولاء لأمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيته عليهم السلام صراطاً، وفي معناه قال أمير المؤمنين عليه السلام: **أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى التي لا انفصام لها**. يعني أنّ معرفته والتمسّك به طريقٌ إلى الله سبحانه...»[1].

الصراط والسبيل

يُفرّق القرآن الكريم بين الصراط والسبيل في موارد ثلاثة، وهي:

المورد الأوّل: أنّ الصراط في القرآن الكريم لم يذكر إلاّ بكونه واحداً فلم يُثَنَّ ولم يُجمع، وهذا بغضّ النظر عن الناحية اللغويّة، لأنّ الخطّ بين النقطتين هو واحد ولا يمكن أن يتعدّد.

أمّا السبيل ففي موارد متعدّدة نرى أنّ القرآن الكريم ذكرها على نحو كونها متعدّدة مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (المائدة: ١٥ـ ١٦).

ولازم ذلك أنّ الصراط لكونه واحداً فإنّ من كان عليه ينجو ومن خرج عنه يسقط ويهوي، أمّا مفاد الآيات التي ذكرت السُّبل فلكون سُبل السلام والسلامة وسبل الوصول إلى الهدف متعدّدة وليست واحدة فإنّ طُرق النجاة متعدّدة وكثيرة.

ولا تنافي بين وحدة الصراط وتعدّد السُّبل للوصول إلى الله تعالى، لأنّ

(١) **تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد**، مصدر سابق: ص ٨٧ ـ ٨٨ .

الصراط المستقيم وإن كان واحداً إلاّ أنّه في داخل هذا الصراط درجات وسبل للوصول إلى الله تعالى وهي متعدّدة بحسب تصريح القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

والسُّبل أو الطرق الإلهيّة مختلفة في درجاتها، وهي ليست على درجة واحدة، ويترتّب على ذلك اختلاف أحوال الناس في كيفيّة الجواز على الصراط؛ فبعضهم يحبو حبواً، وبعضهم يمرّ كالبرق الخاطف وما إلى ذلك، والصراط لا يوصل الجميع إلى درجة وغاية واحدة في الجنّة، فالبعض يوصلهم الصراط إلى أعلى علّيِّين، والبعض الآخر يوصِلهم إلى جنات تجري من تحتها الأنهار، والبعض الثالث يوصِلهم إلى الجنّات العامّة وهكذا...

المورد الثاني: إنّ القرآن الكريم لم ينسب الصراط إلاّ إلى نفسه عدا ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ حيث نسبه إلى ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، إلا أنه نسب السبيل إلى غيره أيضاً؛ قال تعالى على لسان نبيّه يوسف عليه السلام: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨) فالنسبة هنا إلى يوسف عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (لقمان: ١٥) فمن أناب إلى الله له سبيل.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (النساء: ١١٥) وهنا نسب السبيل إلى المؤمنين.

والآية في سورة الحمد التي ورد فيها نسبة الصراط إلى غير الله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهم الذين أنعم الله عليهم، فمَن هم هؤلاء؟

عن هذا السؤال أجابت الآية في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ (النساء: ٦٩)، فالصراط نُسب إلى غير الله تعالى فقط إلى هذه الطبقة من النبيِّين والصدِّيقين و...، وهذا بخلاف السبيل حيث نُسب إلى عامّة المؤمنين، وهناك فرقٌ كبير بين عامّة المؤمنين وبين النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين.

المورد الثالث: لم ترد أيّة آية في القرآن تقول بأنّ الله تعالى على السبيل، ولكن هناك آيات قالت بأنّ الله تعالى على الصراط المستقيم؛ قال تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (هود: ٥٦).

مصاديق الصراط المستقيم

بيّن القرآن الكريم الصراط المستقيم من الناحية النظريّة وأنّه يعني الاعتقادات الحقّة والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، ولكن من الناحية العمليّة من هو الذي يجسِّد أو يتجسّد فيه الصراط المستقيم فنقتدي به ؟

ذكر لنا القرآن الكريم مجموعة من المصاديق التي هي على الصراط المستقيم من الذين تجسّدت فيهم الاعتقادات الحقّة والأعمال الصالحة وذلك في ضمن عدد من الآيات، ومنها:

قال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ * وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الأنعام: ٨٤ ـ ٨٧).

فالقرآن الكريم يشير إلى قضيّة عامّة وهي أنّه في كلّ شريعة هناك أنبياء ينبغي الاقتداء بهم، والخطاب في هذه الآية موجّه للرسول الأعظم صلى الله

عليه وآله حيث قالت الآية: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾(الأنعام: ٩٠) والخطاب إلى الشخص وليس إلى الناس أجمعين.

وإذا أردنا أن ندقّق أكثر في مدلول الآية فإنّها لم تدعُ الرسول صلى الله عليه وآله للاقتداء بالأنبياء السابقين، بل قالت له اقتد بالهدى الذي كانوا عليه من قِبل الله تعالى.

وهذا المعنى يتبيّن أيضاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، فلو لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله على الصراط المستقيم بشكل كامل وتامّ فكيف يمكن اتّباعه، وهذه الآية من الشواهد على ثبوت العصمة المطلقة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ليس على مستوى التبليغ فحسب، بل حتّى على مستوى الأفعال، لأنّ الله تعالى يأمر باتّباع النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ أعماله وحركاته وسكناته، وفي حياته الشخصيّة وكذلك العامّة. وتطبيقاً لهذه الأوامر يروي لنا التاريخ أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يمشي مع الرسول صلى الله عليه وآله جنباً إلى جنب وإنّما كان يضع قدمه في موضع قدم رسول الله صلى الله عليه وآله، مقتفياً آثاره.

وبضميمة البحث السابق حول كون الإمام المعصوم هو الصراط المستقيم يتّضح لنا جليّاً المصداق العملي للصراط المستقيم، ومن هو واجب الاتّباع.

خصائص وصفات الصراط

وردت نصوص روائيّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام تبيّن لنا حقيقة وصفات الصراط الذي أُمرنا على الكون معه أو الكون عليه للعبور منه والجواز عليه من نار جهنّم للوصول إلى الجنّة،

وهذه الصفات والخصائص تبيِّن دقّة هذا الصراط، وصعوبة المرور عليه، ومن هذه الروايات:

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**الصراط أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف وأظلم من الليل**»[١].

في وصفه للصراط يقول صدر الدِّين الشيرازي: «الصراط له وجهان: أحدهما أدقّ من الشعر والآخر أحدّ من السيف، والانحراف عن الوجه الأوّل يوجب السقوط عن الفطرة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٤) والوقوف على الوجه الثاني يوجب الشقّ والقطع كما قيل وقف عليه شقّه»[٢].

وهذه الصفات هي عمليّة تنبيه للإنسان بأنّه إذا أراد الوصول إلى الله تعالى فإنّه لا يعرف الطريق ولابدّ له من شخص يوصله، وهذه هي وظيفة الأنبياء والرسل والأوصياء والصلحاء في إرشاد الإنسان إلى طريق الله تعالى، ليدلّوه على أقرب الطرق الموصلة إليه سبحانه وتعالى، وكذلك على أحسن الطرق؛ لأنّ هذه الطرق ـ كما ذكرنا ـ بعضها يوصل إلى الدرجات العُلى، وبعضها الآخر يوصل إلى ما هو أدنى من ذلك، والجنّة كما في الروايات لها درجات على عدد آيات القرآن الكريم. والذهاب والحركة بغير مرشد والذي قد يكون الحجّة الناطقة (العقل)، ومن غير هادٍ، قد لا يزيد الإنسان إلاّ بُعداً عن الطريق.

والصراط أظلم من الليل، ومن يريد الجواز عليه يحتاج إلى نور.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ

---

(١) علم اليقين، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٦٩، عن تفسير القمّي: ص ٧٢٤.

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، مصدر سابق: ج ٩ ص ٢٨٥.

عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (التحريم: ٨).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ (الحديد: ١٣).

• وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ مرورهم على الصراط على قدرِ نورهم**»(١).

• وفي الحديث أيضاً: «**إنّ الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر المارّين عليه فيكون دقيقاً في حقّ بعض، وجليلاً في حقّ آخرين، وإنّهم يعطون نورهم على قدر أعمالهم: فمنهم مَن يُعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يُعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطى نوره أصغر من ذلك، حتّى يكون آخرهم رجلاً يُعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرّة ويطفئ مرّة، فإذا أضاء قدمه مشى وإذا طفى قام**»(٢).

---

(١) **علم اليقين**، الكاشاني، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٩٧٠، نقلاً عن **المستدرك على الصحيحين في الحديث**، للحاكم النيسابوري، دار الفكر: ج ٤ ص ٥٩٠.

المبحث الثالث عشر

كتاب الأعمال يوم القيامة

- كيف نفهم المعارف القرآنيّة ؟
- المراد من الكتاب ومصاديقه ومراتبه
- كتاب الأعمال في آيات القرآن الكريم
- اختلاف الناس في استلام الكتب

كيف نفهم المعارف القرآنيّة ؟

من الثابت عند جميع الفرق الإسلاميّة أنّ هناك كتاباً يُعطى للإنسان يوم القيامة، وهذه القضيّة من المسلّمات القرآنيّة، والحقائق التي لم ينكرها أحد على الإطلاق. فما هو هذا الكتاب، وهل هو مثل هذه الكتب التي نألفها أو بشكل يختلف عمّا عندنا ؟

في الواقع إنّ الحديث عن كتاب أعمال الإنسان يوم القيامة يستدعي منّا توضيح بعض الأمور المرتبطة بفهم معارف القرآن الكريم وقواعد التفسير، فكما أنّه في الأبحاث الفقهيّة نحتاج إلى مجموعة من القواعد الفقهيّة والأصوليّة لفهم المسائل الفقهيّة، فكذلك التدبّر في القرآن الكريم وآياته نحتاج معه إلى قواعد نصطلح عليها بأصول التفسير نستطيع من خلالها أن نفهم معارف القرآن الكريم، وهي بمثابة المفاتيح.

فمثلاً مسألة التوحيد تعتبر من المحاور الأساسيّة التي تقوم عليها معارف القرآن الكريم، وهي النقطة المركزيّة في دائرة المعارف القرآنيّة، وما لم نقف على حقائق التوحيد في القرآن وعلى المعارف والأصول الأساسيّة ومفاتيحها لا يمكن لنا أن نقف على كلّ معارف القرآن الكريم، فمعرفة الله مدخل إلى معرفة النبوّة، ومعرفة النبوّة مدخل إلى معرفة الإمامة وهكذا...

والبحث في كتاب أعمال الإنسان يوم القيامة من أهمّ أبحاث القرآن الكريم المرتبطة بالمعاد: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء: ١٣ـ ١٤)، وما لم نقف على هذا الأصل القرآني لا يمكن أن نفهم ما معنى أنّ

الله سبحانه وتعالى يُخرج للإنسان ﴿كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ .

توضيح ذلك: إنّ من أهمّ خصائص الإنسان في هذه النشْأة أنّه يولد وهو لا يملك شيئاً من العلوم والمعارف والمعلومات الحصوليّة ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ (النحل: ٧٨)، وهذا لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾ (الروم: ٣٠) إذ إنّ هذه المعرفة الفطريّة هي سنخ آخر من المعرفة تختلف عن التي نحصل عليها من خلال الكتاب والأستاذ.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ تشير إلى العلم الكسبي، لا إلى العلم المطبوع بتعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**دفائن العقول**»، أمّا ذاك العلم الفطري فهو أمرٌ آخر، أمّا العلم الكسبي فهو الحاصل من خلال التعلّم وما شابه ذلك ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ وهي أدوات العلم والتعلّم، ولذا ورد في كلمات الفلاسفة أنّه من فقد حسّاً فقدَ علماً، فمَن فقدَ حسّ البصر يفقد تلك المعلومات التي تصله من خلال البصر، وهكذا في فقد حاسّة الشمّ والسمع.

إذن الإنسان يولد في هذه النشأة وهو لا يعلم شيئاً، وعندما يكبر يتعلّم ويبدأ بفهم الحقائق من خلال ما يمارسه ويعيشه في هذه النشأة الدنيويّة.

والإنسان عندما يسمع أو يقرأ آيات الكتاب الكريم تتبادر إلى ذهنه مباشرةً الأمور المادّية، فمثلاً حين يسمع قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥): ينتقل ذهنه إلى الكرسي المألوف، وهكذا في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(طه: ٥) ينتقل ذهنه إلى المصداق المادّي كالعرش الموجود عند الملوك والسلاطين والحكّام، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٧) يتبادر إلى ذهنه الوجه المتعارف

والمألوف، وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: ٦٤) و ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠) يتبادر إلى ذهنه اليد المادّية الجارحة.

فهو من خلال السمع والبصر والحواسّ الأخرى يفهم هذه المصاديق، ولا يوجد عنده غيرها حتّى يتعقّل مصاديق أخرى غير هذه المادّية.

وفي مورد بحثنا ماذا يفهم الإنسان ويتعقّل من «الكتاب» في الموارد المتعدّدة التي ورد فيها لفظ «الكتاب» في القرآن الكريم؟

بطبيعة الحال إنّه ينتقل ذهنه فوراً إلى المصداق المادّي للكتاب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾(الواقعة: ٧٧ـ ٧٨) وقوله ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف: ٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١) يذهب الذهن إلى تلك الخزائن الموجودة عند الملوك والسلاطين أو الموجودة في البنوك... وكلّها مصاديق مادّية بما فيها الكتاب ومصداقه.

وهناك مجموعة من علماء المسلمين لم يقرنوا العترة بالقرآن الكريم، وقالوا: «حسبنا كتاب الله»، وقالوا إنّ هذه المعارف نأخذها على ما هي عليه من كتاب الله تعالى ولا علاقة لنا بغير الكتاب العزيز، ولا حاجة لنا حينئذ إلى العترة مع أنّ ذلك مخالفة صريحة لأوامر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الذي جعل العترة الطاهرة عدلاً للقرآن كما ورد ذلك في حديث الثقلين المتواتر والمتّفق عليه بين علماء الفريقين.

والابتعاد عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام أوجد نظريّات التجسيم وغيرها من النظريّات الغريبة والبعيدة عن أصول الفكر الإسلامي.

وكما هو الحال في فهم المراد من «الكتاب» كذلك في فهم موارد أخرى

من قبيل: القلم والكرسي والعرش و...

فهذه المفاهيم التي استعملها القرآن الكريم لها مصاديق، وهذه المصاديق ليست جميعها على نحو واحد، بل تختلف من ظرف إلى ظرف، ومن نشأة إلى أخرى، والمفاهيم في كلّ عالم من هذه العوالم لها مصداقها الخاصّ بها.

وفي كتابنا حول أصول التفسير والتأويل أسهبنا في البحث حول بيان هذا الأصل من أصول التفسير(١).

فمثلاً مفاهيم القلم والعرش والكرسي والكتاب واللّوح وغيرها، يمكن أن تكون مختلفة المصاديق من حيث التجرّد والمادّية، بمعنى أنّ المفهوم وإن كان واحداً إلاّ أنّ المصاديق يمكن أن تتنوّع لتشمل ـ بالإضافة إلى المصداق المتداول في حياتنا الحسّية ـ مصاديق أخرى فوق العالم المشهود، بنحو يكون الاستعمال فيها جميعاً حقيقيّاً.

وفي ضوء ما تقدّم يمكن الإطلالة على فهم المراد من «الكتاب» وعلى المصاديق التي وردت له في الكتاب الكريم، وهذا ما سيتبيّن لنا من الفقرة التالية:

المراد من الكتاب ومصاديقه ومراتبه

القرآن الكريم هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفيه تبيان كلّ شيء، وأخبار الغيب بما كان وما سيكون، والدستور الكامل والشامل للأمّة، وكما كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الملمّ

---

(١) راجع للتفصيل **أصول التفسير والتأويل**، السيّد كمال الحيدري، دار فراقد، قم، ط٢، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

والعارف بتفسيره وتأويله وباطنه وظاهره ومحكمه ومتشابهه، فكذلك الإمام المعصوم، بشهادة القرآن نفسه وكذلك النصوص الروائيّة.

وللقرآن الكريم مراتب متعدّدة منها: مرتبة الغيب ومنها مرتبة الشهادة، والأولى هي التي عبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الزخرف: ٤)، والثانية هي التي عبّر عنها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ (الزخرف: ٣).

وهذه إشارات من القرآن إلى أنّه له ظاهر وباطن، له غيب وشهادة، وله ملكٌ وملكوت، وهكذا كلّ ما في الوجود له ظاهر وباطن، والطريق لإدراك الظاهر غير الطريق لإدراك الباطن.

وعبّر القرآن عن الطريق الذي يوصل إلى الباطن بالبصيرة، وعن الذي يوصل إلى الظاهر بالبصر، وجعل طريق الوصول إلى الباطن هو الرؤية القلبيّة، وإلى الظاهر هو العين الباصرة الظاهريّة.

وفائدة هذه المراتب والمنازل القرآنيّة تظهر في أحكام كلّ واحدة من هذه المراتب، وأنّ لكلّ مقام أهله والعارفين به.

يقول صدر الدِّين الشيرازي: «وبالجملة: إنّ للقرآن درجات ومنازل كما للإنسان، وأدنى مراتب القرآن وهو ما في الجلد والغلاف كأدنى مراتب الإنسان وهو ما في الإهاب والبشرة، وللقرآن في كلّ مرتبة ومقام حَمَلَة يحفظونه ويكتبونه ولا يمسّونه إلاّ بشرط طهارتهم عن حدثهم، أو عن حدوثهم ونزاهتهم وانسلاخهم عن مكانهم أو إمكانهم، والقشر من الإنسان لا يدرك إلاّ القشور من القرآن، والإنسان القشري من الظاهريّة لا يدرك إلاّ المفهومات القشريّة، والنكات البيانيّة، والأحكام العمليّة والسياسات الشرعيّة، وأمّا روح القرآن وسرّه ولبّه فلا يدركه إلاّ أولو

الألباب وذوو البصائر...»[١].

فلا تنحصر درجات وجود القرآن الكريم بالعبارات الوارد ذكرها بين الدفّتين، وهذا الوجود للقرآن المعبَّر عنه بالكتبي يوجد في قباله وجودٌ آخر هو الوجود التكويني، ويدلّ على هذه المرتبة للقرآن مجموعة شواهد ليست هي محلّ بحثنا.

ولكن المهمّ هو ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ من قبيل الكتاب المبين، واللوح المحفوظ، وأُمّ الكتاب، والخزائن الإلهيّة، وهي ألفاظ تشير إلى مفاهيم مختلفة بحسب البيانات القرآنيّة، وتفصيل ذلك باختصار:

إنّ «الكتاب المبين» يُراد منه أنّ الله تعالى قبل خلق السماوات والأرض كتب فيه كلّ ما يريد أن يخلقه، كما لو أنّ المهندس عندما يريد أن يبني بناءً يخطّط له أوّلاً في ذهنه، ثمّ يجعل ذلك التخطيط وبرنامج البناء في كتاب، والله تعالى كتب كلّ شيء في الكتاب قبل خلقه وبعد ذلك خلق العالم على أساس ذلك الكتاب الذي كتبه هو بنفسه. والذي يظهر من كلام السيّد الطباطبائي في تفسير الميزان هو اعتقاده بشيء من هذا القبيل، وكون الكتاب المبين هو أُمّ الكتب السماويّة ومن قبيل البرنامج العملي لخلق السماوات والأرض، وبهذا ننفي احتمال ما أورده البعض من تفسير الكتاب المبين بكون المراد منه هو كلّ هذا العالم التكويني، بل هو شيء غير هذا العالم، كُتب فيه كلّ شيء وهو اللوح المحفوظ.

أمّا «الخزائن الإلهيّة» فهي شيءٌ آخر غير الكتاب المبين واللّوح المحفوظ، والدليل على ذلك: أنّ القرآن الكريم عندما يصف الكتاب واللّوح المحفوظ يقول بأنّ الأشياء فيها على نحو التفصيل والتقدير، فهي

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، مصدر سابق: ج ٧ ص ٣٩.

مقدّرة وموجودة بتفاصيلها ـ والقدر هو طول الشيء وعرضه ـ .

أمّا الخزائن الإلهيّة فليس فيها قدر كما في الآية الكريمة: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر: ٢١).

فالقدر إنّما يكون بعد التنزّل من الخزائن، وذلك من قبيل أن نفترض محيطاً من الماء لا يوجد فيه قدر وأنت تأخذ منه إناءً فإناء.

وهنا يمكن تركيب قياس من الشكل التالي:

المقدّمة الأولى: الخزائن الإلهيّة وما فيها من الأشياء ليس فيها قدر.

المقدّمة الثانية: ما في الكتاب هو كلّه فيه قدر.

النتيجة: الكتاب المبين غير الخزائن الإلهيّة.

وهنا يشير السيّد الطباطبائي إلى نكتة هامّة في هذا المقام وهي أنّ عباد الله المخلصين ـ كالأنبياء والأولياء ـ لا إشكال في أنّ أيديهم تصل إلى حدود الكتاب المبين، فيصلون إلى هذا الكتاب، وهذا لا يعني أنّهم يصلون إلى الخزائن الإلهيّة، بل هو أمرٌ مسكوتٌ عنه[1].

وبهذا نصل إلى الغرض الأساسي من هذا البحث وهو وجود تعدّديّة في المصاديق أو مراتب متعدّدة لهذا الكتاب الموجود بين أيدينا والذي نزل على قلب النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وأنّ وراء هذا الظاهر باطناً، وفي هذا الباطن مراتب متعدّدة أيضاً.

وثبت كذلك أنّ الكتاب واللوح المحفوظ أدنى مرتبة من الخزائن الإلهيّة، وأنّ الله تعالى قد جعل لخاصّة عباده من الأنبياء والأولياء طريقاً للوصول إلى الكتاب المبين واللوح المحفوظ، وهذا البحث الإجمالي يمكن

---

(١) راجع **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٨ ص ١٢٧ـ١٢٨.

التوسّع فيه من خلال مطالعة كتابنا «الراسخون في العلم»[١].

وبهذا نصل أيضاً إلى النتيجة الأساسيّة وهي أنّ في القرآن قاعدة عامّة لو أردت التدبّر فيه، ومفاد هذه القاعدة أنّ المفاهيم والألفاظ التي من قبيل: العرش والكرسي والكتاب والخزائن وغيرها من مئات الألفاظ والمصطلحات لا ينبغي حملها على مصاديقها الحسّيّة، ومنها ما هو محلّ بحثنا في كتاب أعمال الإنسان يوم القيامة الذي له مصداق يختلف عمّا هو محسوس لدينا.

كتاب الأعمال في آيات القرآن الكريم

من أهمّ الآيات التي تعرَّضت لكتاب أعمال الإنسان يوم القيامة قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٣ـ ١٤).

والآيتان ناظرتان إلى كتاب الإنسان الخاصّ به، وليس إلى الكتاب الخاصّ بالأمّة، وكذلك فيهما نقاط متعدّدة تستدعي الوقوف عندها، وهي:

النقطة الأولى: إنّ الآية عبّرت عن عمل كلّ إنسان بالطائر، «وإنّما قيل للعمل طائر على عادة العرب في قولهم: جرى طائره بكذا؛ وقيل: طائره يمنه وشؤمه وهو ما يتطيّر به؛ وقيل: طائره حظّه من الخير والشرّ، وخصّ العنق لأنّه محلّ الطوق الذي يزيّن المحسن... وقيل: طائره كتابه»[٢].

النقطة الثانية: إنّها جعلت موضع هذا الطائر ـ وهو عمل الإنسان ـ

---

(١) **الراسخون في العلم، مدخل لدراسة ماهية علم المعصوم وحدوده ومنابع إلهامه، من أبحاث** العلامة السيد كمال الحيدري، بقلم: الشيخ خلق رزق، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ: ص ١٧.

(٢) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٦٢٢ ـ ٦٢٣.

ليس في اليد ولا في الرِّجل بل في العُنق، ولكن لماذا جُعل هذا العمل كالقلادة في عُنق الإنسان؟ يمكن القول إنّه لنكتتين:

النكتة الأولى: أنّ كلّ هذه الأطراف لو فُصِلت عن الإنسان سوف يبقى الإنسان، أمّا العنق فإنّه لو فُصل عن الإنسان فلن يبقى هذا الإنسان باعتبار أنّ العنق هو الجهة أو العنصر الذي يربط الرأس بالبدن.

النكتة الثانية: أنّ الإنسان بمقدوره رؤيته إذا كان في عنقه، بخلاف ما لو كان في موضع آخر.

النقطة الثالثة: إنّ هذا العمل لا يمكن أن يفارق الإنسان، بل يبقى ملازماً له ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾، وأثره يرتبط بالإنسان ولا يتجاوزه إلى غيره، وهذا من أهمّ خصائص يوم القيامة وهو أنّ العمل في الدُّنيا قد يتجاوز أثره إلى غير صاحب العمل كما هو مضمون بعض الآيات ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ (الأنفال: ٢٥).

أمّا في يوم القيامة فعمل الإنسان لا يتجاوزه إلى غيره ﴿أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾، وهناك روايات بيّنت الملازمة بين الإنسان وعمله يوم القيامة. ومقصودنا من العمل ليس هو العمل الظاهري، بل ما هو أعمّ من الظاهري والباطني المشتمل على النوايا والاعتقادات والأخلاق وكذلك الأعمال الجوارحيّة الظاهريّة، ومن هذه الروايات:

• عن قيس بن عاصم عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**يا قيس: إنّ مع العزّ ذلاً، ومع الحياة موتاً، ومع الدُّنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء رقيباً وعلى كلّ شيء حسيباً، وإنّ لكلّ أجل كتاباً، وإنّه لابدّ لكَ من قرين يُدفن معك وهو حيٌّ وتُدفن معه وأنت ميّتٌ، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً ألأمك، ثمّ لا يُحشر إلاّ معكَ ولا تُحشر إلاّ معه ولا تُسأل إلاّ عنه، فلا تجعله إلاّ صالحاً،**

فإنّه إن صلُح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلاّ منه، وهو فعلك»[(١)].

- ومنها: ما ورد «**أنّ الجنّة قيعان وغراسها سبحان الله**»[(٢)].

أمّا المقطع الآخر من الآية ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فالإخراج هو عبارة عن شيء موجود ولكنّه مستور خفيّ، لم يكن الإنسان ملتفتاً إليه فيُكشف عنه ويُخرج أمام الإنسان. فآثار الأعمال كانت موجودة مع الإنسان ولكنّها كانت خافية مستورة، وجاءت هذه الآية لتقول بأنّ هذه الآثار تخرج يوم القيامة تماماً كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق:٢٢). وهذه الآية ترتقي بهذه المسألة أكثر لتقول: بأنّ باطن وأثر كلّ عمل كان مكشوفاً وظاهراً ولكن الإنسان جعل غطاءً على عينيه، وبمقدوره أن يزيل هذا الغطاء. وتتابع آيات سورة الإسراء القول ﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ .

ومضمون هذا الكتاب: «هو مجمع صحايف الأعمال، وهو كتاب منطوٍ اليوم عن مشاهدة الأبصار، وإنّما ينكشف بالموت عند كشف الغطاء ورفع شواغل ما يورده الحواسّ المعبّر عنه بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير: ١٠).

فإذا حانَ وقت ذلك ـ وهو يوم تُبلى السرائر ـ صار الغيب شهادة، والسرّ علانية، والخبر عياناً، فيُقال: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢).

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية:٢٩).

---

(١) **جامع السعادات**، للشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى محمّد مهدي النراقي، المتوفى ١٢٠٩هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الرابعة: ج ٣ ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه.

فمن كان في غفلة عن ذاته وحساب سِرّه ووقع بصره إلى ذلك والتفت إلى صفحة باطنه وصحيفة قلبه يقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ (الكهف: ٤٩)، ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٣٠).

• روى خالد بن نجيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يذكر العبد جميع أعماله وما كُتب عليه حتّى كأنّه فعَلَه تلك الساعة، فلذلك قالوا: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾»[1].

ومن خصوصيّات هذا الكتاب أنّه لا يمكن لأحد أن يطّلع عليه إلاّ شهداء الأعمال كالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام ولا سيما إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف وفقاً لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ * يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ١٨ ـ ٢١)، فالشرط الأساس لكي يكون الشاهد عارفاً بما في كتاب الآخرين أن يكون من المقرّبين.

ومن الشواهد على أنّ الكتاب ليس المراد منه الكتاب المتعارف عليه عندنا والذي يحتوي على مجموعة أوراق:

أوّلاً: الروايات التي ذكرت عمليّة عرض الكتاب على الإنسان يوم القيامة، فيعرف ما فيه، وأنّه ما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلاّ وهو موجودٌ فيه، فكيف يمكن تسجيل وتدوين كلّ هذه الأمور في كتاب وتقديمها للإنسان، وكيف سيكون حجمه؟ وشكله؟ وطوله وعرضه؟ وإلى كم مجلّد نحتاج ؟

---

(١) **علم اليقين**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٣٩ ـ ٩٤٠.

ثانياً: هو أن نسأل بأنّ هذا الكتاب بأيّة لغة مكتوب مع اختلاف الناس في لغاتهم، فهل هناك مترجمون للكتب؟ مع الأخذ بعين الاعتبار وجود بعض الناس الأُميّين، فكيف سيتسنّى لهم القراءة؟! وبهذا يتبيّن أنّ القراءة الواردة في الآية المباركة ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾ ليس المراد منها هذه القراءة المتعارفة، ولا المراد منه هذا الكتاب الذي هو مجموعة أوراق.

ثالثاً: أنّ الكتاب الذي يراه الإنسان مهما كانت حقيقته فيُقال له إقرأه ثمّ يُقال: ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ فحينئذ لا يحتاج إلى شهود، ولا يُطالب بالشهود، ولا يمكنه التشكيك به و...، فكفى بالإنسان حسيباً لنفسه. فلو كان هذا الكتاب مجموعة ألفاظ مكتوبة فسيكون قابلاً للإنكار والتشكيك، ولكن بما أنّه من سنخ مغاير لهذه الكتب الموجودة عندنا فلا يمكنه الإنكار ولا التشكيك.

فلا يمكن إذن أن يُقال بأنّ هذا الكتاب هو من قبيل الكتب الموجودة عندنا، أو أنّه مثل أفلام الفيديو، لأمرين:

أوّلهما: أنّه يكون بذلك قابلاً للإنكار.

وثانيهما: أنّ كثيراً من الأعمال غير قابلة للتصوير بالفيديو كالأعمال الباطنيّة المرتبطة بالنوايا والاعتقادات.

ومن الآيات الواردة في القرآن الكريم والتي تبيّن حقيقة هذا الكتاب وتؤيّد ما قلناه:

• قوله تعالى: **﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾** (آل‌عمران: ٣٠).

فليست الكتابة فقط موجودة أو أثر العمل، بل نفس العمل موجود، وما عمله الإنسان يكون محضراً.

• وقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٩).

فهذا الإحصاء للصغيرة وللكبيرة ليس بالصورة واللفظ والقلم والفيديو فحسب، بل بنفس العمل الذي يحضر أمام الإنسان يوم القيامة.

• وقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧ ـ ٨)، فالآية تشير أنّ الإنسان لا يرى فقط أثر الجزاء وصورته، بل يرى الجزاء نفسه.

اختلاف الناس في استلام الكتب

ما من شكّ في أنّ كلّ إنسان مؤمناً كان أو كافراً أو فاسقاً أو... إلاّ وله كتاب يوم القيامة يجد فيه جميع أعماله، ومكتوباً فيه كلّ ما فعله.

وهذه الحقيقة لم تعد قابلة للإنكار بعد العرض الذي قدّمنا وفيه الشواهد القرآنيّة والروائيّة. ولكن هذا الكتاب أيختلف حاله حسب اختلاف حالة الناس، أم هو كتابٌ واحد؟

لقد قسّم القرآن الكريم الناس إلى فئات يوم القيامة، وكلّ فئة لها كتاب خاصّ يختلف عن كتاب الفئة الأخرى.

«فمن كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين وكانت عقائده حقّة وأعماله صالحة فقد أُوتي كتابه بيمينه من جهة عليّين: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين: ١٨ ـ ٢١) وذلك لأنّ كتابه من جنس الألواح العالية والصحف المكرّمة المرفوعة المطهّرة، بأيدي سفرة، كرام بررة، فليس عليه سوى العَرض، كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ

حِسَابِيَهْ﴾ (الحاقّة: ٢٠) إلى قوله تعالى: ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق: ٧ ـ ٨).

وفي الحديث: «**إنّ ذلك هو العَرض، فإنّ من نوقِش في الحساب عُذِّب**».(١)

ومن كان من الأشقياء المردودين وكانت عقائده باطلة وأعماله خبيثة فقد أُوتيَ كتابه بشماله من جهة سجّين: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (الانفطار: ٧ ـ ١٠)، وذلك لأنّ كتابه من جنس الأوراق السفليّة والصحايف الحسّيّة القابلة للاحتراق، فلذلك يُعذَّب بالنار كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ... لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقّة: ٢٥ ـ ٣٧).

وأمّا مَن أُوتي كتابه وراء ظهره فهم الذين أُوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، فإذا كان يوم القيامة قيل له: خُذ وراء ظهرك ـ أي من حيث نبذته في حياتك الدُّنيا ـ: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (الحديد: ١٣)، وهو كتابه المنزَل عليه، لا كتاب الأعمال فإنّه حين نبذَه وراء ظهره: ﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (الانشقاق: ١٤) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ (الانشقاق: ١١ـ١٢).

وفي كتاب الحسين بن سعيد عن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إنّ المؤمن يُعطى يوم القيامة كتاباً منشوراً فيه كتابٌ من الله العزيز الحكيم: أدخلوا فلاناً الجنّة**»(١).

---

(١) علم اليقين، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٤٠ ـ ٩٤٢.

المبحث الرابع عشر

العلاقة بين عمل الإنسان والجزاء المترتب عليه

- المسالك لإصلاح الأخلاق
- أنواع الجزاء الذي يترتّب على العمل
- العلاقة بين العمل والجزاء الأخروي
- الحاجة إلى المعصوم في معرفة باطن الأعمال
- ما هي العلاقة بين الإنسان وبين ملكاته
- كيفيّة الارتباط بين العامل وعمله
- الخلاصة

المسالك لإصلاح الأخلاق

إنّ هناك مسالك ثلاثة لإصلاح أخلاق الإنسان هي: مسلك الجزاء الدنيوي، ومسلك الجزاء الأخروي، ومسلك القُرب الإلهي[1].

ومن الواضح أنّ المسلك الأوّل لا ينسجم مع الإيمان بالمبدأ واليوم الآخر؛ إذ لا معنى لأن يجعل الإنسان المؤمن جزاء أعماله أموراً دنيويّة زائلة فانية مقرونة لذّتها بالغصّة والشقاوة، كما أنّ هذا المسلك لا يصلح إلاّ الظاهر دون الباطن. فيدور الأمر ـ حينئذ ـ عند المؤمن بين أن يتّخذ المسلك الثاني أو الثالث طريقاً له.

من هنا نصل إلى أنّ مسلك الجزاء الأخروي، الذي يُعدّ مقدّمة مهيّئة إلى مسلك القُرب الإلهي، والذي هو مسلك الأعمّ الأغلب منّا، هذا المسلك يقوم على العلاقة بين العمل والجزاء، فما هي حقيقة الرابطة الموجودة بين عمل الإنسان وبين الجزاء المترتّب عليه ؟

أنواع الجزاء الذي يترتّب على العمل

من أجل بيان حقيقة الرابطة الموجودة بين العمل والجزاء المترتّب عليه، نتعرّض إلى أنواع الجزاء المترتّب على العمل في هذه الدُّنيا، والذي هو على ثلاثة أنحاء، هي:

---

(١) انظر للتفصيل في بيان هذه المسالك كتاب **التربية الروحيّة، بحوث في جهاد النفس**، السيّد كمال الحيدري، دار فراقد، ط٨ ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

النحو الأوّل: وهو الذي لا وجود فيه لارتباط حقيقيّ وواقعيّ بين العمل وجزائه، وإنّما هناك رابطة عقلائيّة واعتباريّة يضعها مَن يتصدّى لهذه المجالات في المجتمعات المختلفة، من قبيل مجازاة المجرمين بالحبس الذي لا حدّ له إلاّ ما يقرّره أولئك المتصدّون.

والقاعدة في هذا الجزاء الاعتباري أن يختلف من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان ومن بيئة إلى أُخرى، بل قد يعاقب الإنسان في مكان على عمل قد يكافأ عليه في مكان آخر، كإنجاب الأطفال الذي قد يُعاقب عليه في دولة كثيرة السكّان كالصين، ويُكافأ عليه في دولة أخرى قليلة السكّان، وهكذا.

النحو الثاني: وهو الذي تكون الرابطة بين الجزاء والعمل فيه رابطة حقيقة واقعيّة، كالعلاقة بين أكل السكّريات بكثرة والإصابة بمرض السكّري، وشرب السمّ القاتل والموت وما شابه ذلك، إذ من الواضح أنّ العلاقة بين هذه المقدّمات والأسباب ونتائجها علاقات تكوينيّة لا علاقة لها بإخبار الخبير عنها أو عدم إخباره، وعلمك بها أو عدم علمك.

إنّ هذا النحو من العلاقة وإن اتّصف بأنّه نحو علاقة واقعيّة وحقيقيّة، وأنّ هناك ملازمة بين الجزاء والعمل بحيث لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، غير أنّ زمن العمل وظرفه مختلف وسابق على زمن وظرف الجزاء والأثر المترتّب عليه.

النحو الثالث: وهو النحو الذي يكون فيه الفعل مستبطناً للجزاء المترتّب عليه، أي أنّ الفعل هو نفس الجزاء، والجزاء هو باطن الفعل، كما أنّ ظرف وزمن حدوث الفعل هو نفس ظرف وزمن تحقّق الجزاء.

ومثال هذه العلاقة هو اللعب بالنار الذي ينتج الاحتراق بها، فإنّ

الاحتراق هو نفس اللعب بالنار لا أنّه يأتي بعد ذلك أو أنّ أحدهما يسبق الآخر كما في النحو الثاني. وهكذا في رفع السيف وضرب عنق الكافر، فإنّ ضربة السيف وقتل الكافر أمرٌ واحد، إذ بنفس الضربة يتحقّق القتل، فنفس الفعل محقّق للجزاء، وظرف حدوث الفعل هو ظرف حدوث الجزاء.

نوع العلاقة بين العمل والجزاء الأخروي

بعد أن بيّنا أنحاء العلاقة الثلاثة بين العمل والجزاء، نتساءل عن نحو العلاقة الموجودة بين عمل الإنسان والثواب والعقاب الأخروي المترتّب عليه. وقد اختلف الأعلام فيما بينهم في تحديدها، ونحن لا نريد الدخول في هذا البحث من ناحيته الفلسفيّة، بل نريد التعرّف على نظريّة القرآن الكريم ورواية أهل البيت عليهم السلام فيها.

والمدّعى أنّ العلاقة هي من النحو الثالث، أي إنّ الإنسان بفعله الحرام يحصل على ما يستحقّه من الجزاء الحقيقي، ويكون قد دخل النار في نفس ظرف وزمان صدور الحرام منه، لا أنّه سيعاقب بعقوبة وجزاء اعتباريّ ولا بعقوبة وجزاء حقيقي مؤجّل إلى ظرف لاحق.

توضيح هذا: أنّ للفعل ظاهراً يمكنك أن تنظر إليه، وأن تراه بعينك، وتحسّ به بيدك، وتشمّه وتسمعه، وما إلى ذلك، كما أنّ للفعل ـ وفي الوقت نفسه ـ باطناً، وباطن العمل هذا هو جزاؤه، ولابدّ له من حواسّ باطنة لإدراكه لأنّه لا يُدرك بالحواسّ الظاهرة كظاهره، فللإنسان سمعٌ ظاهر وباطن، وشمّ ظاهر وباطن، وعين ظاهرة وباطنة، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (الحجّ: ٤٦)، وقال حكايةً عن المجرم: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ (طه: ١٢٥ ـ ١٢٦)، فلم يكن (المجرم) في هذه الدُّنيا أعمى بصر، بل كان أعمى قلب وبصيرة فلم يدرك آيات الله تبارك وتعالى.

ومن هنا نخلص إلى أنّ ظرف تحقّق الجزاء هو نفس ظرف تحقّق الفعل؛ لأنّ الجزاء ما هو إلاّ باطن العمل وليس أمراً آخر، وأنّ الإنسان سوف ينال جزاءه من ثواب أو عقاب في هذه الدُّنيا ولن يؤجّل إلى الآخرة.

حينئذ، نتساءل: ما هي وظيفة الآخرة، إذن ؟

والجواب: إنّ الآخرة ظرف ظهور الجزاء لا وجود الجزاء، فما كان خافياً عليك ولم تستطع رؤيته هنا، سوف تلتفت إليه وتراه يوم القيامة؛ وذلك لأنّك بسبب معاصيك حُرمت من النظر إلى باطن العمل، ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ (المطفّفين: ١٤) ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ (التكاثر: ٥ ـ ٦). وأمّا من كانت عنده تلك العين فهو يرى باطن الأعمال في الدُّنيا والآخرة وينظر إلى الناس فيقول: هذا في نار جهنّم وذاك في جنّة النعيم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، فهناك مَن هو في نار جهنّم وهو في الحياة الدُّنيا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٥٤). فبقرينة «إنّ» و «اللاّم الداخلة على الخبر» اللّتين تفيدان التوكيد، نفهم أنّ القرآن الكريم يريد القول بأنّ نار جهنّم موجودة ومحيطة بالكافرين الآن، لا أنّها سوف تحيط بهم، وإلاّ لقال: «إنّ جهنّم ستحيط بالكافرين».

ومثل ذاك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ (النساء: ١٠) أي: إنّهم يأكلون النار الآن، لا أنّهم سيأكلونها فيما بعد، وذلك بقرينة استخدام «إنّما» وعدم استخدام «السين»

بدلها أيضاً.

ولربّ قائل يقول: فلماذا لا نحسّ بهذه النار الآن؟ والجواب: إنّ هناك من الشواغل في الحياة الدُّنيا ما يشغل الإنسان عن الالتفات إلى هذه الحقيقة، وإنّه سيفهم فيما بعد أنّه كان في النار حقّاً، لا أنّه سوف يدخلها آنذاك. لذا نجد القرآن يقول: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وفي الحياة الدنيويّة أمثلة كثيرة لآلام لا نلتفت إليها إلاّ بعد مدّة من حدوثها، وما ذلك إلاّ لانشغالنا عنها وعدم التفاتنا إليها في وقت تحقّقها.

الحاجة إلى المعصوم في معرفة باطن الأعمال

ممّا تقدّم تبيّن أنّ لكلّ من الظاهر والباطن أحكامه الخاصّة به، فقد يكون ظاهر العمل لذيذاً كأكل مال اليتامى ولكن باطنه نار، وقد يكون هذا الظاهر مؤلماً وشاقّاً كالصبر على الصلاة والصوم والجهاد والقتل في سبيل الله ولكن باطنه لذيذ وصورة من أبهى الصور التي يراها الإنسان في النشأة الأخرى، لذا ورد: «**إنّ الجنّة حفَّت بالمكاره، وإنّ النار حفَّت بالشهوات**»[1].

فلا يمكن الركون إلى ظواهر الأعمال، بل لابدّ من التعرّف على بواطنها لنتعرّف على حقيقتها. إنّ الذي بإمكانه إخبارنا عن هذه البواطن هو القرآن الكريم والمعصوم عليه السلام فقط، وبهذا نستدلّ على حاجتنا الأكيدة إليه عليه السلام في مسيرتنا نحو الحقّ تبارك وتعالى.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١١١.

ما هي العلاقة بين الإنسان وبين ملكاته ؟

ألمحنا سابقاً إلى أنّ العمل ليس هو المقصود بالذات، بل المقصود بالذات هو إيجاد تلك الملكات الحميدة عند الإنسان من خلاله، من قبيل مَلَكة الجود والعفّة والشجاعة والعدالة وغيرها، ولكي تتحقّق هذه الملكات لابدّ للإنسان من القيام ببعض الأعمال التي تؤهّله إلى حصولها في النفس وإلاّ فلا.

وهذا الأمر لا يختصّ بالملكات الحسنة بل يعمّ الملكات السيّئة أيضاً، فلكي يكون الإنسان جلاّداً وقاسي القلب ـ مثلاً ـ لابدّ أن يمارس من الأعمال ما يناسب حصول هذه الهيئة في نفسه، وهكذا.

وهنا يرد السؤال التالي: ما هي الرابطة والعلاقة بين الإنسان وبين هذه الملكات التي هي نتيجة عمله لا نفس عمله؟ فهل هذه العلاقة موجودة؟ وهل هي قابلة للانفكاك؟ وهل أحدهما غير الآخر أو عينه أو متّحدٌ معه ؟

وللإجابة على هذا التساؤل، نرجع إلى القرآن الكريم، حيث أشار إلى هذه العلاقة وطبيعتها من خلال عدّة قوانين، أهمّها:

القانون الأوّل: إنّ الإنسان سوف يرى عمله يوم القيامة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله:

• ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ (الزلزلة: ٧ ـ ٨) فهو يرى ـ إذن ـ باطن عمله خيراً أو شرّاً لا نتيجة عمله.

• ومثله قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾ (آل عمران: ٣٠) فكلّ عمل عمله الإنسان سوف يراه يوم القيامة وسيرى باطنه، هذا الباطن الذي كان موجوداً من قبل في النشأة الأولى، ولكنّنا لم

نكن نستطيع رؤيته لغفلتنا ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢)، فيومذاك سوف يكشف الغطاء عن أمر كان موجوداً ولكنّه محجوب بحجاب يضعه الإنسان على قلبه بعمله فلا يرى باطن عمله ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ (المطففين: ١٤) فالرَّين والحجاب موجود على قلب العامل لا على عمله، وعلى هذا ورد «**وإنّ الراحل إليك قريب المسافة إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك**»[١] ومن دون هذه الأعمال الحاجبة فإنّهم يرون الحقائق كما هي ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢) وفي الآية إشارة لطيفة، فهي لا تقول «فكشفنا عنها غطاءها» بل تقول ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ فالغطاء والحجاب كان على عينك وقلبك لا على تلك الحقيقة.

• ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (النجم: ٤٠). قال الطباطبائي في الميزان: «المراد بالسعي ما سعى فيه من العمل، وبالرؤية المشاهدة، وظرف المشاهدة يوم القيامة؛ بدليل تعقيبه بالجزاء، فالآية قريبة المعنى من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ﴾ (آل عمران: ٣٠)، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٦ ـ ٨)»[٢].

وكما أشارت الآيات القرآنيّة إلى هذا القانون، فهناك العديد من الروايات الشريفة التي أشارت إليه أيضاً، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في مؤجّلهم**»[٣].

---

(١) **إقبال الأعمال**، الطبعة الحجريّة، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ص٦٨.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٧.

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ١٢٠، ج ٦٩ ص ٤٠٩.

القانون الثاني: أنّ العمل ونتيجته لا ينفكّان عن العامل.

لا شكّ بوجود رابطة بين العمل وبين فاعله في هذه الدُّنيا، فإذا قمتُ بضرب شخص ما فإنّ عمل الضرب سوف يُنسب إليَّ، أفمثل هذه النسبة والرابطة موجودة بين العمل وفاعله يوم القيامة أيضاً أم بالإمكان أن ينفكّ أحدهما عن الآخر؟

إنّ القرآن الكريم صريح في إثبات هذه العلاقة من خلال العديد من الآيات الشريفة:

• كقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ (النجم: ٣٩ ـ ٤٠). «ومعنى اللام في قوله (للإنسان): الملك الحقيقي الذي يقوم بصاحبه قياماً باقياً ببقائه يلازمه ولا يفارقه بالطبع وهو الذي يكتسبه الإنسان بصالح العمل أو طالحه من خير أو شرّ، وأمّا ما يراه الإنسان مملوكاً لنفسه وهو في ظرف الاجتماع من مال وبنين وجاه وغير ذلك من زخارف الحياة الدُّنيا وزينتها، فكلّ ذلك من الملك الاعتباري الوهمي الذي يصاحب الإنسان ما دام في دار الغرور ويودّعه حين الانتقال إلى دار الخلود وعالم الآخرة.

فالمعنى: وإنّه لا يملك الإنسان ملكاً يعود إليه أثره من خير أو شرّ أو نفع أو ضرّ حقيقة إلاّ ما جدَّ فيه من عمل، فله ما قام بفعله بنفسه، وأمّا ما قام به غيره من عمل فلا يلحق بالإنسان أثره خيراً أو شرّاً»[1].

• وقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء: ١٣ـ ١٤).

فالطائر الذي ألزمه الله الإنسان في عنقه هو عمله، ومعنى إلزامه إيّاه أنّ

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٩ ص ٤٦.

الله قضى أن يقوم كلّ عمل بعامله ويعود إليه خيره وشرّه ونفعه وضرّه من غير أن يفارقه إلى غيره...

والكتاب في ذلك اليوم هو متن العمل وحقيقته لا كما يتصوّر بعضٌ من أنّه سوف تعرض على الإنسان في يومذاك صور ما قام به من أعمال في حياته كما تُعرض الأفلام المصوّرة من خلال أجهزة العرض التي لا تستطيع إبراز وبيان النيّات والأمور المعنويّة، كما هو واضح، بل ذلك اليوم هو يوم وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥).

وقد تعرّض الطباطبائي في ذيل بحثه لآية ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم: ٣٩) إلى موضوع الانتفاع بشفاعة الشفعاء أو أثر من يعمل بالسنّة الحسنة أو السيّئة على من يسنّها إلى يوم القيامة، أو أثر ما يقوم به الولد الصالح من عمل على والديه، وما شاكل هذا كثير. فبيّن قدّس سرّه أنّ هذه الموارد ليست خارجة عن قانون ارتباط وملازمة العمل لعامله؛ قال: «وأمّا الانتفاع من شفاعة الشفعاء يوم القيامة لأهل الكبائر فلهم في ذلك سعيٌ جميل حيث دخلوا في حظيرة الإيمان بالله وآياته، وكذا استفادة المؤمن بعد موته من استغفار المؤمنين له، والأعمال الصالحة التي تُهدى إليه مثوباتها هي مرتبطة بسعيه في الدخول في زمرة المؤمنين وتكثير سوادهم وتأييد إيمانهم الذي من آثاره ما يأتون به من الأعمال الصالحة.

وكذا من سنَّ سنّة حسنة فله ثوابها وثواب من عمل بها، ومَن سنَّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة فإنّ له سعياً في عملهم حيث سنَّ السنّة وتوسّل بها إلى أعمالهم كما تقدّم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ (يس: ١٢)[1].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج١٩، ص٤٦ ـ ٤٧.

وهناك روايات كثيرة تؤكّد وجود هذه الرابطة بين العمل وعامله:

• منها ما رواه قيس بن عاصم عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه قال: **«يا قيس، إنّ مع العزّ ذلاًّ، ومع الحياة موتاً، ومع الدُّنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء رقيباً وعلى كلّ شيء حسيباً، وإنّ لكلّ أجل كتاباً، وإنّه لابدّ لكَ من قرين يُدفن معك وهو حيٌّ وتُدفن معه وأنت ميّتٌ، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً ألأمك، ثمّ لا يُحشر إلاّ معكَ ولا تحشر إلاّ معه ولا تُسأل إلاّ عنه، فلا تجعله إلاّ صالحاً، فإنّه إن صلُح أنست به وإن فسد لا تستوحش إلاّ منه، وهو فعلك»**[1].

• ومنها قولهم عليهم السلام: **«المرء مرهون بعمله»**[2].

القانون الثالث: إنّ العمل يوم القيامة ناطق وإن كان في الدُّنيا صامتاً.

لا شكّ في أنّ أعمال الإنسان في هذه الدُّنيا أعمالٌ صامتة لا نطقَ لها، وأنّ الأدوات التي ينفِّذ بها أعماله من يد أو رجل وغيرهما أدوات صامتة أيضاً، لا تعترض على ما يقوم به صاحبها ولا تخبر عنه.

غير أنّ هذه الأعمال وتلك الأدوات المنفِّذة أعمال وأدوات حيّة وناطقة يوم القيامة، تشهد بالحقّ وتنطق بأمر الله لتقيم الحجّة على صاحبها. والآيات والروايات الدالّة على ذلك كثيرة جدّاً، منها:

• قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (يس: ٦٥). أي يشهد كلّ منهما بما كانوا يكسبونه بواسطته، فالأيدي تشهد بالمعاصي التي كسبوها بها، والأرجل تشهد بالمعاصي الخاصّة بها، على ما يعطيه السياق.

ومن هنا يظهر أنّ كلّ عضو ينطق بما يخصّه من العمل وأنّ ذكر الأيدي

(١و٢) **جامع السعادات للنراقي**، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٩.

والأرجل من باب المثال، ولذا ذكر في موضع آخر السمع والبصر والفؤاد؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦)، وفي موضع آخر الجلود كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (فصّلت: ٢٠ ـ ٢١).

«وشهادة الأعضاء أو القوى يوم القيامة ذكرها وأخبارها ما تحمّلته في الدُّنيا من معصية صاحبها فهي شهادة أداء لما تحمّلته، ولولا التحمّل في الدُّنيا حين العمل كما لو جعل الله لها شعوراً ونطقاً يوم القيامة فعملت ثمّ أخبرت بها عملته، أو أوجد الله عندها صوتاً يفيد معنى الإخبار من غير شعور منها به، لم يصدق عليها الشهادة، ولما تمّت بذلك على العبد المنكر حجّة، وهو ظاهر.

والمتيقّن من معنى النطق إذا استعمل على الحقيقة من غير تجوّز هو إظهار ما في الضمير من طريق التكلّم فيتوقّف على علم وكشفه لغيره؛ قال الراغب: ولا يكاد يستعمل النطق في غير الإنسان إلاّ تبعاً وبنوع من التشبيه، وظاهر سياق الآيات وما فيها من ألفاظ القول والتكلّم والشهادة والنطق أنّ المراد بالنطق ما هو حقيقة معناه.

فشهادة الأعضاء على المجرمين كانت نطقاً وتكلّماً حقيقة عن علم تحمّلته سابقاً بدليل قوله تعالى: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾، ثمّ إنّ قولها ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ جواباً عن قول المجرمين: ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ ﴾ (فصّلت: ٢١) إراءة منها للسبب الذي أوجب نطقها وكشف عن العلم المدّخر عندها المكنون في ضميرها فهي ملجأة إلى التكلّم والنطق، ولا يضرّ ذلك في نفوذ شهادتها

وتمام الحجّة بذلك فإنّها إنّما أُلجئت إلى الكشف عمّا في ضميرها لا على الستر عليه والإخبار بخلافه كذباً وزوراً حتّى ينافي جواز الشهادة وتمام الحجّة.

وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ توصيف لله سبحانه وإشارة إلى أنّ النطق ليس مختصّاً بالأعضاء حتّى تختصّ هي بالسؤال، بل هو عام شامل لكلّ شيء، والسبب الموجب له هو الله سبحانه»(١).

أمّا النصوص الروائيّة:

• فمنها ما ورد في تفسير العيّاشي عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمّد عليهما السلام عن جدّه، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يصِف هول يوم القيامة: **ختم الله على الأفواه فلا تكلّم وتكلّمت الأيدي وشهدت الأرجل ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثاً**»(٢).

ومنها ما ورد في تسلية الفؤاد، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهي تصلح للاستدلال على ملازمة العمل للعامل وعدم انفكاكه عنه، وعلى أنّ العمل حيّ ناطق في الآخرة. قال عليه السلام: «**إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدُّنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لي عندك؟ فيقول: خُذ منّي كفنك. قال: فيلتفت إلى ولده، فيقول: والله إنّي كنت لكم محبّاً، وإنّي كنت لكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك فنواريك فيها، قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهداً وإن كنت عليَّ لثقيلاً، فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتّى أعرض أنا وأنت على ربّك، قال: فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم**

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٠.

(٢) بحار الأنوار: الحديث ٦، ج٧ ص٣١٣.

رياشاً، فقال: أبشر بروح وريحان وجنّة نعيم ومقدمك خير مقدم، فيقول له: مَنْ أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، المرتحل من الدُّنيا إلى الجنّة، وإنّه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجّله.

فإذا أُدخل قبره أتاه ملكا القبر يجرّان أشعارهما ويخدّان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: مَن ربّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيّك؟ فيقول: الله ربّي، وديني الإسلام، ونبيّي محمّد. فيقولان له: ثبّتك الله فيما تحبّ وترضى، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، **ثمّ يفسحان له في قبره مدّ بصره ثمّ يفتحان له باباً إلى الجنّة، ثمّ يقولان له: نم قرير العين نوم الشابّ الناعم فإنّ الله يقول: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾** (الفرقان: ٢٤).

وإذا كان لربّه عدوّاً فإنّه يأتيه أقبح من خلق الله زيّاً ورؤياً وأنتنه ريحاً فيقول له: أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم، وإنّه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه، فإذا أُدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثمّ يقولان له: مَن ربّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيّك؟ فيقول: لا أدري. فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله من دابّة إلاّ وتذعر لها ما خلا الثقلين، ثمّ يفتحان له باباً إلى النار يقولان له: نم بشرِّ حال...»(١).

• ومنها ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**إذا وُضع الميّت في قبره، مثل له شخص فقال له: يا هذا كنّا ثلاثة: كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك،**

---

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: الحديث ١، ج ٣ ص ٢٣٢.

أما إنّي كنت أهون الثلاثة عليك»[١].

وفي الرواية، كسابقتها، دلالة على أنّ العمل ملازم لعامله ولا ينفكّ عنه، وأنّه في الآخرة حيٌّ ناطق.

القانون الرابع: إنّ عمل الإنسان يعيّن كيفيّة علاقته مع الواقع الخارجي.

نحن نعلم أنّ هناك عالماً خارجاً عنّا وعن وجودنا، وهو شيء ونحن شيءٌ آخر، وأنّ هذا الواقع الخارجي والأشياء التي خلقها الله سبحانه وتعالى قد تكون معينة للإنسان في عمله وقد تكون معيقة له، فإذا أعانته أدّى عمله بيُسر كالسابح في النهر مع تيّاره، وإن أعاقته أدّى عمله بعُسر كالسابح ضدّ التيّار.

فكيف يتعيّن ارتباط الإنسان بواقعه الخارجي بحيث يعينه أو يعيقه؟

إنّ الذي يعيّن كيفيّه ارتباط الإنسان بالواقع الخارجي وبالعالم هو عمله، فإن كان صالحاً رأى العالم جميلاً وحسناً ومعيناً له، وإن كان عمله طالحاً فإنّ نفس هذا العالم يراه معيقاً له، ولذا فإنّ الملكين اللّذين يراهما كلّ إنسان في قبره، يراهما الفاجر بمنظر كريه ويسمّيان حينئذ بمنكر ونكير، ويراهما المؤمن بمنظر حسن جميل ويسمّيان عنده بمبشّر وبشير، فالملكان هما الملكان ورؤيتهما بهذه الهيئة أو تلك هي انعكاس لعمل الإنسان نفسه ليس إلاّ.

وهكذا في مسألة حضور الأئمّة عليهم السلام عند كلّ إنسان حين موته ـ كما ورد في بعض الروايات ـ لا خصوص المؤمن، غاية الأمر أنّ المؤمن يراهم على هيئة معيّنة، وغيره يراهم على هيئة أُخرى مختلفة، وما ذلك إلاّ

---

(١) **بحارالأنوار**: الحديث ١١٠، ج ٦ ص ٢٥٦.

لاختلاف عمل المؤمن عن عمل غيره لا أنّهم عليهم السلام يختلفون من حال إلى آخر.

فمثال عمل الإنسان بالنسبة إلى العالم من حوله مثال الحاجب الذي يضعه الإنسان على عينه ليرى من خلاله ضوء الشمس، فإذا كان هذا الحاجب أخضر فإنّه يرى الضوء أخضر، وإذا كان أحمر فإنّه يراه أحمر وهكذا، فبفعل الحاجب رأى الشمس خضراء ثمّ حمراء لا أنّها قد أصبحت خضراء ثمّ حمراء. وهكذا عمل الإنسان، فبه يرى الإنسان الواقع من حوله بهذه الكيفيّة أو بتلك.

ومن الروايات المؤكّدة لهذه الحقيقة ما ورد في «تسلية الفؤاد» عن أبي بصير، عن الإمام عليه السلام قال: «**إنّ المؤمن إذا أُخرج من بيته شيّعته الملائكة إلى قبره، يزدحمون عليه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: مرحباً بك وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبّ أن يمشي عليَّ مثلك ثمّ لترينّ ما أصنع بك. فتوسّع له في قبره، ويدخل عليه في قبره ملكا القبر، فيلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقعدانه ويسألانه، فيقولان له: مَنْ ربّك؟ فيقول: الله...**».

إلى أن يقول: «**صدق عبدي افرشوا له في قبره من الجنّة وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنّة، وألبسوه من ثياب الجنّة حتّى يأتينا وما عندنا خيرٌ له...**».

ثمّ قال: «**وإن كان كافراً خرجت الملائكة تشيّعه إلى قبره يلعنونه حتّى إذا انتهي به إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما والله لقد كنت أبغض أن يمشي عليَّ مثلك، لترينّ ما أصنع بك في هذا اليوم. فتضيّق عليه حتّى تلتقي جوانحه ثمّ يدخل النكير والمنكر...**»[1]. فيفعلان ما يفعلان.

وفي الرواية دلالة واضحة على أنّ علاقة الإنسان بالواقع الخارجي

---

(١) تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد، عبد الله شبّر، مصدر سابق: ص ٩٦.

تتحدّد من خلال عمله، وأنّ الأرض عندما تستقبل الإنسان الذي عمل صالحاً تترحّم عليه، وهكذا السماء والملائكة. وإذا استقبلت من عمل صالحاً لعنته ودعت عليه بالشرّ والثبور.

فبعمله يرى ملكي القبر بشيراً ومبشراً وأنّهما يؤدّيان به إلى الجنّة، وبعمله أيضاً يراهما منكراً ونكيراً وأنّهما يؤدّيان به إلى النار، والعياذ بالله.

كيفيّة الارتباط بين العامل وعمله

بيّنا في ما سبق أنّ العمل هو متن الجزاء وأنّ الجزاء هو متن العمل، وأنّ ملكات الإنسان تحصل من خلال العمل، ثمّ بيّنا من خلال عدّة قوانين أنّ هناك رابطة حقيقيّة بين العامل وعمله بحيث لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، غير أنّنا لم نتعرّض إلى كيفيّة الارتباط الذي يحصل بين العمل والعامل.

إنّ الكيفيّة التي يرتبط بها العمل بعامله تمرّ بمراحل ثلاث هي: الحال ثمّ الملكة ثمّ الاتّحاد أو التحقّق.

المرحلة الأولى: الحال. ونعني بها حصول حالة معيّنة لدى الإنسان بعد قيامه بعمل ما، ولكن هذه الحالة سرعان ما تزول بزوال المؤثّر وهي من قبيل صفرة الخوف وحمرة الخجل، ومن قبيل أن يسمع الإنسان موعظة في مسجد ما وتحصل لديه حالة نفسيّة معيّنة كحبٍّ للإنفاق أو رغبة في الجهاد أو خوف من الموت، ولكن هذه الحالة سرعان ما تزول بمجرّد أن يخرج من المسجد وتمرّ على الموعظة فترة زمنيّة قصيرة.

المرحلة الثانية: المَلَكة. ونعني بها اشتداد الحالة السابقة وقوّتها في وجود الإنسان بحيث يتعذّر ويتعسّر زوالها، كملكة الشجاعة في الشجاع وملكة العدالة في العادل، وإذا زالت هذه الملكات فإنّها سرعان ما تعود.

المرحلة الثالثة: الاتّحاد. وهي المرحلة التي تكون فيها الملكة جزءاً من

وجود الإنسان بحيث لا يمكن زوالها منه، وهي أوّل درجات العصمة، ولذا لا يمكن تصوّر صدور المعصية ـ مثلاً ـ من المعصوم عليه السلام؛ لأنّ ملكة العدالة قد اشتدّت فيه حتّى صارت جزءاً من وجوده المبارك.

ويمكن تقريب هذه المراحل الثلاث من خلال مثال. فلو أخذنا قطعة فحمة سوداء ووضعناها على النار، لمرّت هذه الفحمة بمراحل ثلاث؛ الأولى أن تصبح حارّة مع بقائها فحمة سوداء، ولو زالت النار عنها فسرعان ما ترجع إلى ما كانت عليه، وهذه هي مرحلة «الحال».

ثمّ يتحوّل ظاهر الفحمة إلى نار مع بقاء باطنها فحمة سوداء، ولو زالت النار عنها فإنّ رجوعها إلى حالتها الأولى متعسّر بطيء، وهذه هي مرحلة «الملكة».

ثمّ لو بقيت تلك الفحمة على النار لتحوّلت إلى جمرة من نار حيث لا يمكن بعدها زوال الناريّة عنها ولو زالت النار عنها لما رجعت إلى طبيعتها الفحميّة الأولى، وهذه هي مرحلة «الاتّحاد».

إذن، تبيّن أنّ ارتباط الإنسان بعمله يمرّ بمراحل ثلاث، صالحاً كان العمل أو طالحاً، فالعمل الصالح كالصلاة أو الصوم أو إصلاح ذات البين أو الإنفاق في سبيل الله له ظاهر وله باطن، كما بيّنا سابقاً، وباطنه هو الجنّة والروح والريحان، فإذا اتّحد العمل مع الإنسان كان الإنسان هو الجنّة لا أنّه يدخل الجنّة ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩). وورد «**إنّ الجنّة لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنّة**»[١]، وورد: «**يا عليّ أنا مدينة الحكمة ـ وهي الجنّة ـ وأنت يا عليّ بابها**»[٢]، وورد عن

---

(١) روضة الواعظين للفتال النيشابوري، منشورات الشريف الرضي: ص ٢٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ص١٩.

الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ولايتنا هي الجنّة**»(١).

كلّ هذا بشرط أن يكون هناك اتّحاد بين العامل وعمله وبين الإنسان وملكاته ليكون هو الجنّة، ومن هنا كانت فاطمة عليها السلام جنّة، حتّى ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**فإذا اشتقت إلى الجنّة شممتُ رائحة فاطمة**»(٢) فهي عليها السلام جنّة، وله صلى الله عليه وآله من الشمّ الباطني ما يستطيع به شمّ رائحة الجنّة.

وهكذا إذا صار الإنسان عالِماً حقيقيّاً، كان النظر إلى وجهه عبادة لأنّه يكون حينئذ نظراً إلى الجنّة، ومنظره يذكّر بالله سبحانه وتعالى ورائحته تفوح منها رائحة الجنّة لمن يستطيع أن يشمّ.

ومثل هذا ما ينقل عن بعض أولياء الله الذين يرون الناس على صور مختلفة، وما هذا في واقعه إلاّ رؤية لأعمال أولئك الناس التي اتّحدت معهم فصارت تلك الملكات حقيقة لهم.

ومثل هذا الأمر جارٍ في العمل الطالح الذي له ظاهر وباطن أيضاً، فأكل مال اليتيم طيّب لذيذ في ظاهره ولكن باطنه نار موقدة ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا**﴾ (النساء: ١٠).

وإذا افترضنا هذا الجزاء صار جزءاً من وجود الإنسان فإنّ الإنسان سيكون هو قطعة من نار وسيدخل النار ﴿**نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ**﴾ (الهمزة: ٦ـ٧) إذ تحرق الباطن لتخرج إلى الظاهر عكس حالها في الدُّنيا، وقد ورد أنّ بعض المجرمين الذين هم من أهل التابوت عندما يفتح الغطاء عنهم يئنّ أهل جهنّم من حرارة ذلك التابوت لأنّهم هم قطعة من

---

(١) **الكافي**: الروضة ، ص ٢١٣.

(٢) **علل الشرائع**، نشر مكتبة داوري، مصدر سابق: ص ١٨٤.

النار وأُدخلوا النار أيضاً.

ثمّ إنّ كثيراً من الأعمال الإجراميّة لا يستطيع أن يقوم بها كلّ أحد، كقتل المعصوم عليه السلام، ولابدّ أن تصل الخباثة في الإنسان القاتل إلى درجة عالية بحيث تكون جزءاً من وجوده ليقدم على عمل كهذا، وقد عبّر القرآن الكريم عن أمثال هؤلاء بقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ (البقرة: ٨١) بحيث لا يرى بعد ذلك الخطيئة خطيئة بل يراها عملاً حسناً ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ (الكهف: ١٠٤).

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة وأنّ الأعمال قد تكون حالات أو ملكات أو جزءاً من وجود الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (البقرة: ٢٥) حيث وصف عملهم بالصالح، وأمّا هم فمسكوت عنهم ولعلّ الجزاء هنا بنحو الحال أو الملكة.

أمّا في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران: ١١٤) إشارة إلى أنّ هؤلاء ليس عملهم صالحاً فقط، وإنّما ذاتهم صالحة أيضاً لأنّ الصلاح أصبح متّحداً معها، ومن الواضح أنّ الذات لا يصدر عنها إلاّ ما ينسجم مع طبيعتها ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ (الإسراء: ٨٤). وفي هذا السياق ما ورد بشأن ابن نوح، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ (هود: ٤٦) أي إنّ وجوده وجود غير صالح، لا أنّ عمله غير صالح فقط.

ثمّ إنّ أعمال الإنسان الطالحة حينما تكون «حالاً» كفى بضغطة القبر أو عذاب البرزخ مطهّراً له، فيأتي يوم القيامة وهو طاهر، أمّا إذا اشتدّت هذه الحالة وتحوّلت إلى «ملكة» فلا تكفي ضغطة القبر ولا عذاب البرزخ لتطهيره، بل لابدّ له من أن يدخل النار يوم القيامة لكي يطهر بها إن كان

موحِّداً، وإلاّ فإنّه لن يخرج منها لأنّه قطعة منها. وهكذا بمقدار اشتداد الملكات الطالحة فينا يكون مقدار عذابنا من حيث الشدّة والطول.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اتّقوا الله معاشر الشيعة، فإنّ الجنّة لن تفوتكم وإن أبطأت بها عنكم قبائح أعمالكم، فتنافسوا في درجاتها**». قيل: فهل يدخل جهنّم أحدٌ من محبّيك ومحبّي عليّ عليه السلام؟ قال: «**من قذر نفسه وواقع المحرّمات وظلم المؤمنين والمؤمنات وخالف ما رسم له من الشريعة، جاء يوم القيامة قذراً طفساً**[1]**، فيُقال له: يا فلان أنت قذر طفس لا تصلح لمرافقة الأخيار ولا لمعانقة الحور الحسان ولا الملائكة المقرّبين، لا تصل إلى هناك إلاّ بأن يطهر عنك ما هاهنا ـ يعني ما عليك من الذنوب ـ فيدخل إلى الطبق الأعلى من جهنّم فيُعذّب ببعض ذنوبه، ومنهم من يصيبه الشدائد في المحشر ببعض ذنوبه، ومنهم من يكون ذنوبه أقلّ وأخفّ فيطهر منها بالشدائد والنوائب من السلاطين وغيرهم، ومن الآفات في الأبدان في الدُّنيا ليدلى في قبره وهو طاهر، ومنهم من يقرب موته وقد بقيت عليه سيّئة، فيشتدّ نزعه فيكفّ به عنه**»[2].

وهكذا الأعمال الصالحة، فإنّ ضغطة القبر تُنسي الإنسان تلك الأعمال حينما تكون «حالاً» ولذا ذكروا في حكمة «التلقين» أنّ الميّت يُذكّر بالعهد الذي فارقنا عليه أي بشهادة أن لا إله إلاّ الله... فإنّه ينسى هذا بل ينسى حتّى اسمه لهول المقام، ومن هنا قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: ١٦٠) ولم يقل «من عمل الحسنة فله عشر أمثالها» وإلاّ الكثير منّا يعمل الحسنة ولكنّها بعد ذلك تزول ولا تبقى لأنّها «حال» لا

---

(١) طفس ككتف بمعنى النجس.

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ج٨ ص٣٥٢.

«ملكة» فإذا استطاع الإنسان أن يجعلها متجذّرة وجزءاً من وجوده، وجاء بها يوم القيامة فله عشر أمثالها.

الخلاصة

إنّ الله سبحانه قد خلق الإنسان على أحسن ما يمكن ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤) وهيّأ له كلّ الأسباب إلى أن أوصله إلى هذا العالم ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ (الشمس: ٧ ـ ٨) حيث أعطاه حجّة داخليّة ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ (الروم: ٣٠) ثمّ أرسل إليه عشرات الآلاف من الأنبياء والأوصياء والصلحاء وأنزل له الرسالات السماويّة؛ قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، ثمّ جعله حرّاً يفعل ما يريد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣) ليبني باختياره وجوده يوم القيامة، فنحن في كلّ آن ونيّة، وفي كلّ صغيرة وكبيرة وفي كلّ اعتقاد وعمل، نبني نفوسنا ووجودنا يوم القيامة، فأيّ علم وعمل سنختار؟ وكيف سنبني هذا الوجود؟

إنّ الآيات التي تثبت أنّ الإنسان سوف يُحشر يوم القيامة على أساس عمله وسيكون رهيناً له بل سيكون حقيقة عمله، كثيرة؛ منها:

• قوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا * ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ (الإسراء: ٩٧ـ ٩٨).

• وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ (الإسراء: ٧٢).

• وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (آل عمران: ١٨٢).

• وقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ١١٠).

أمّا الروايات، فمنها:

• ما ورد في تفسير الصافي في ذيل الآية: ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ (النبأ: ١٨)، ففي المجمع عن النبيّ صلى الله عليه وآله سُئل عن هذه الآية، فقال: «**يحشر عشرة أصناف من أُمّتي أشتاتاً، قد ميّزهم الله من المسلمين وبدّل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكوسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت، ثمّ يسحبون عليها، وبعضهم عُمي يتردّدون، وبعضهم صمّ بُكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم، وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلّبون على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم.**

فأمّا الذين على صورة القِردة، فالقتّات من الناس، وأمّا الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، وأمّا المنكوسون على رؤوسهم، فأكلة الرِّبا، والعمي: الجائرون في الحكم، والصمّ البُكم: المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم: العلماء والقُضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم: الذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع من نار: فالسّعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشدّ نتناً من الجيف: فالذين يتمتّعون بالشهوات ويمنعون حقّ الله تعالى في أموالهم، والذين هم يلبسون الجباب: فأهل الفخر والخيلاء»[1].

---

(١) تفسير الصافي، للفيض الكاشاني، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات: ج٥ ص٢٧٥.

• وفي البحار، في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، تتعلّق بليلة المعراج قال صلى الله عليه وآله: «**دخلت الجنّة فرأيت فيها قصراً من ياقوت أحمر يُرى داخله من خارجه وخارجه من داخله؛ من نوره، فقلت: يا جبرائيل، لَمن هذا القصر؟ قال: لَمن أطاب الكلام وأدام الصيام وأطعم الطعام وتهجّد بالليل والناس نيام**»(١).

• وفي رواية أخرى، قال صلى الله عليه وآله: «**لمّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فرأيت فيها قيعان ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضّة وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما بالكم قد أمسكتم؟ فقالوا: حتّى تجيئنا النفقة. فقلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، فإذا قال بنينا وإذا سكت أمسكنا...**»(٢).

فما يتلفّظ به العبد المؤمن في الدُّنيا له باطن، وباطنه هو تلك الأحجار التي تكون جدراناً للقصور التي ينزل بها في الجنّة.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «**ثمّ مضيت فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيّب ولحم خبيث، يأكلون اللّحم الخبيث ويدَعون الطيّب، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون الحرام ويدَعون الحلال وهم من أُمّتك يا محمّد**»(٣).

وهذا قانون أساسي في الجزاء، إذ إنّ الإنسان يرتزق من عمله يوم القيامة، فإن كان عمله صالحاً فرزقه طيّب ﴿**وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ**﴾ (محمّد: ١٥) وإن كان عمله طالحاً فرزقه مثله ﴿**إِنَّ**

---

(١) **بحار الأنوار**: ج١٨ ص٢٩٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣)المصدر نفسه: ج١٨ ص٣٢٣.

﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ* طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ (الدخان: ٤٣ـ ٤٤).

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «**ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء، ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام تقذف النار في أفواههم وتخرج من أدبارهم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء** ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ (النساء: ١٠)، **ثمّ مضيت، فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء** ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، قال: **ثمّ مضيت فإذا أنا بنسوان معلّقات بثديهنّ، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء اللّواتي يورثن أموال أزواجهنّ أولاد غيرهم**». ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اشتدّ غضب الله على امرأة أدخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم فاطّلع على عوراتهم وأكل خزائنهم**»[1].

• وفي المحاسن عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام، قال: «**إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّ صور، فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهاً وأبهاهنّ هيئةً وأطيبهنّ ريحاً وأنظفهنّ صورةً، قال: فتقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله، وتقف التي هي أحسنهنّ فوق رأسه، فإن أُوتي عن يمينه منعته التي عن يمينه ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الستّ. قال: فتقول أحسنهنّ صورة: ومن أنتم جزاكم الله عنّي خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، والتي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحجّ**

---

(١) المصدر نفسه.

والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من اخوانك. ثمّ يقلن: مَن أنتِ، فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيئة؟ فتقول: أنا الولاية لمحمّد صلى الله عليه وآله»[1]. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٨ ـ ١٩).

(١) **تسلية الفؤاد**، عبد الله شبّر: ص ٩٣.

المبحث الخامس عشر

الحساب والميزان يوم القيامة

- متى وقت الحساب ؟
- الحساب والميزان في القرآن الكريم
- معنى الحساب
- الواقع المكشوف للحساب الإلهي
- السرعة في الحساب الإلهي
- الاستقصاء وسوء الحساب
- طوائف الناس يوم القيامة
- العلاقة بين الحساب والميزان
- حقيقة الميزان
- كيفيّة الوزن
- تعدّد الموازين
- ثقل العمل وخفّته

متى وقت الحساب؟

في الأبحاث السابقة تحدّثنا بالتفصيل عن مسألة صحيفة الأعمال يوم القيامة، وهذه الصحيفة عندما تُعرض على الإنسان وفقاً لقوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ (الإسراء: ١٤) تعطى بيده إمّا بيمينه وإمّا بشماله بحسب البيان الذي تقدّم، وعند ذلك يبدأ موقف جديد، وتبدأ مسأله جديدة؛ لأنّ الآية قالت: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾، ومن هذه النقطة وعند هذه الحالة يبدأ الحساب والميزان مباشرةً بعد عرض صحيفة الأعمال.

فالإنسان بعد أن يُعطى كتابه يبدأ حسابه، وحساب أيّ شيء يحتاج إلى ميزان، ومن هنا ربطنا بحث الحساب ببحث الميزان، والعكس بالعكس، وجعلنا هذين البحثين بعد بحث صحيفة الأعمال للإنسان يوم القيامة.

فهناك تسلسل منطقيّ وطبيعيّ نسير عليه في هذه الأبحاث لندخل بعد ذلك إلى بحث شهداء الأعمال يوم القيامة باعتبار أنّ الإنسان إذا حُوسِب وأُدخِل إلى المحكمة فحينئذ يحتاج إلى شهود ليأتي بعد ذلك البحث في رجال الأعراف يوم القيامة.

الإعلان العامّ للحساب

قبل أن نتعرّض للآيات المتعلّقة بالميزان والحساب يوم القيامة في القرآن الكريم نضع بين يدي القارئ الكريم رواية عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام تشير إلى طريقة الإعلان العامّ للناس ليقفوا بين يدي الله تعالى

للحساب وللقيام لربّ العالمين.

• عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: حدّثني أبي أنّه سمِع أباه عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحدِّث الناس قال: «**إذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الناس في حُفرهم.. جرداً فرداً في صعيد واحد، يسوقُهم النور وتجمعهم الظلمة حتّى يقفوا على عقبة في المحشر فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها فيمنعون من المضيّ فيشتدّ أنفاسهم ويكثر عرقهم ويضيق بهم أمورهم ويشتدّ ضجيجهم ويرتفع أصواتهم، قال: وهو أوّل هول من أهوال يوم القيامة.**

قال: فيشرف الجبّار تعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي فيهم: يا معشر الخلائق أنصتوا واستمعوا منادي الجبّار. قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم، فينكسر أصواتهم عند ذلك ويخشع أبصارهم ويضطرب فرائصهم وتفزع قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي. قال: فعند ذلك يقول الكافر: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ (القمر: ٨).

قال: فيشرف الجبّار تعالى ذكره الحكَم العدل عليهم، فيقول أنا الله لا إله إلاّ أنا الحكم العدل الذي لا يجور، أحكُم بينكم بعدلي وقسطي، ولا يُظلم عندي أحد، اليوم آخذ للضعيف من القوي بحقّه ولصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيّئات، وأُثيب على الهبات، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ـ ولأحد عنده مظلمةٌ إلاّ مظلمةٌ يهبها صاحبها وأُثيبه عليها وآخذ له بها عند الحساب. وتلازموا أيّها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند مَن ظلمكم بها في الدُّنيا وأنا شاهدٌ لكم بها عليهم ـ وكفى بي شهيداً.

قال: فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقى أحدٌ له عند أحد مظلمةٌ أو حقّ إلاّ

لزمه بها.

قال: فيمكثون ما شاء الله، فيشتدّ حالهم ويكثر عرقهم ويرتفع أصواتهم بضجيج شديد فيتمنّون المخلَص منه بترك مظالمهم لأهلها.

قال: ويطّلع الله تعالى على جهدهم، فينادي منادٍ من عند الله تعالى يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم: يا معشر الخلايق أنصِتوا لداعي الله واسمعوا، إنّ الله تعالى يقول: أنا الوهّاب، إن أحببتم أن تواهبوا فتواهبوا، وإن لم تواهبوا أخذتُ لكم بمظالمكم.

قال: فيفرحون بذلك لشدّة جهدهم وضيق مسالكهم وتزاحمهم.

قال: فيهب بعضهم مظالِمهم رجاء أن يتخلّصوا ممّا هم فيه، ويبقى بعضهم فيقول: يا ربِّ مظالمنا أعظم من أن نهبها.

قال: فينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين رضوان خازن الجنان، جنّات الفردوس؟

قال: فيأمره الله تعالى أن يطّلع في الفردوس قصراً من فضّة بما فيه من الآنية والخدم.

قال: فيطلعه عليهم في حفافة القصر الوصايف والخدم.

قال: فينادي منادٍ من عند الله تعالى: يا معشر الخلايق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر.

قال: فيرفعون رؤوسهم فكلّهم يتمنّاه.

قال: فينادي منادٍ من عند الله تعالى: يا معشر الخلايق هذا لكلّ من عفا عن مؤمن.

قال: فيعفون كلّهم إلاّ القليل.

قال: فيقول تعالى: لا يجوز إلى جنّتي اليوم ظالم، ولا يجوز إلى ناري اليوم

ظالم، ولأحد من المسلمين عنده مظلَمَةٌ حتّى يأخذها منه عند الحساب، أيّها الخلائق استعدّوا للحساب.

قال: **ثمّ يُخلّى سبيلهم فينطلقون إلى العقبة، فيكرد[1] بعضهم بعضاً حتّى ينتهوا إلى العرصة ـ والجبّار تعالى على العرش ـ قد نُشرت الدواوين ونُصبت الموازين وأُحضر النبيّون والشهداء ـ وهم الأئمّة ـ يشهد كلّ إمام على أهل عالَمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله تعالى ودعاهم إلى سبيل الله.**

قال الراوي: فقال له رجلٌ من قريش: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان للرجل المؤمن عند الكافر مظلمةٌ، أيّ شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار؟

قال: فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: **يطرح عن المسلم من سيّئاته بقدر ما له على الكافر، فيعذّب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمته.**

قال: فقال له القرشي: فإذا كانت المظلمة للمسلم عند المسلم كيف يؤخذ مظلمته من المسلم؟

قال: **يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم.**

قال: فقال له القرشيّ: فإن لم يكن للظالم حسنات ؟

قال: **إن لم يكن للظالم حسنات فإن كان للمظلوم سيّئات يؤخذ من سيّئات المظلوم فتُزاد على سيّئات الظالم»**[2].

---

(١) الكرْد: الطرد والدفع.

(٢) **الكافي**، الروضة : الحديث ٧٩، ج ٨ ص ١٠٤.

والشاهد في الرواية قول الله تعالى: «**أنا الحكم العدل الذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي**»، وهو بمثابة الإعلان عن قيام المحكمة الإلهيّة العادلة العامّة التي لا يُظلم فيها أحد على الإطلاق واستعداد الناس، بل الإنس والجنّ للحساب: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ (الرحمن: ٣١) بعد أن تُنشر الدواوين وصحائف الأعمال، وتُنصب الموازين، ويُحضر النبيّون والشهداء.

وفي هذه المحكمة يوجد المدّعي والمدّعى عليه والشهود والدواوين والصُّحف.

الحساب والميزان في القرآن الكريم

أشارت الكثير من آيات الكتاب المجيد إلى الحساب والميزان يوم القيامة، نذكر منها:

• قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ١).

• وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ (النور: ٣٩).

• وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٨٤).

• وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (البقرة: ٢٠٢).

• وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (آل عمران: ١٩).

• وقوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١).

• وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ (الطلاق: ٨ ـ ٩).

• وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧ ـ ٨).

ومضمون الآيات يكشف عن أنّ البعض يكون حسابهم يسيراً، والبعض الآخر يكون حسابهم عسيراً. فالناس يختلفون في كيفيّة الحساب، ولا يكون الجميع على نسق واحد.

أمّا في ما يتعلّق بالميزان فالآيات الواردة فيه وفي الموازين يوم القيامة كثيرة، نذكر منها:

• قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٨).

فالمقياس هو الحقّ، وبه توزن الأشياء، فعندما توزن أعمال الناس وصحائفهم ودواوينهم توضع في إحدى كفّتي الميزان، وفي الكفّة الأخرى يوضع الحقّ ليوزن الاعتقاد أو العمل في مقابله.

• وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥).

• وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، فيوم القيامة لا يدخل النار أحد قبل المحاكمة، وليس هناك ميزان واحد، بل الموازين متعدّدة، فلكلّ إنسان ميزان، ولكلّ عمل ميزان، ولكلّ اعتقاد ميزان، ولكلّ طبقة من الناس ميزان، ولكلّ أمّة ميزان.

كما أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين الحساب وبين الحسيب، وبين من يحاسب وبين الوزن والميزان، وهذا الارتباط ذكرته الآية السابقة ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

ولعلماء الشيعة كلام بيّنوا فيه اعتقادهم في الحساب وحقيقته، من ذلك:

• ما قاله الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الحساب والميزان أنّهما حقّ، منه ما يتولاّه الله عزّ وجلّ، ومنه ما يتولاّه حججه، فحساب الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم يتولاّه الله عزّ وجلّ، ويتولّى كلُّ نبيٍّ حساب أوصيائه، ويتولّى الأوصياء حساب الأُمم، والله تبارك وتعالى هو الشهيد على الأنبياء والرسل، وهم الشهداء على الأوصياء، والأئمّة شهداء على الناس، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (الحجّ: ٧٨)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)، وقال عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ (هود: ١٧) والشاهد أمير المؤمنين عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ (الغاشية ٢٥ـ ٢٦)»[١].

• وقال الشيخ المفيد: «الحساب هو المقابلة بين الأعمال والجزاء عليها، والمواقفة للعبد على ما فرط منه، والتوبيخ على سيّئاته، والحمد على حسناته، ومعاملته في ذلك باستحقاقه، وليس هو كما ذهبت العامّة إليه من مقابلة الحسنات بالسيّئات، والموازنة بينهما على حسب استحقاق الثواب والعقاب عليهما، إذ كان التحابط بين الأعمال غير صحيح...»[٢].

---

(١) **رسالة اعتقادات الصدوق**، مصدر سابق: ص ٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) **تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد**، مصدر سابق: ص ٩٣ ـ ٩٤.

معنى الحساب

الحساب في العُرف الاجتماعي لدى الناس يحصل عندما يكون الواقع مجهولاً عندهم، فيحاولون من خلال الحساب الوصول إلى الكشف عن الواقع، فلو سألني سائل: كم ركعة صلّيت منذ خمس سنوات؟ فهنا لابدّ أن أحسب عدد الركعات التي أصلّيها في اليوم وهي سبع عشرة ركعة، ومنها انطلق لحساب عدد ركعات الشهر فالسنة، وصولاً إلى الخمس السنوات وأحصل على النتيجة المطلوبة.

ومن هنا انطلق اللغويّون لتحديد وتعريف معنى الحساب، فقال الراغب الأصفهاني في بيانه لمعنى الحساب: «الحساب استعمال العدد للوصول إلى واقع موجود ولكنّه مجهول بالنسبة إلينا»[1]، ومن خلال العدد والعمليّات الحسابيّة نستكشف ذلك الواقع، ولذا قالوا: إنّ الحساب إنّما يكون في طرف الجهل بالواقع كما قال الغزالي عن الحساب بأنّه «جمع متفرّقات المقادير»، فإذا وجدت عندنا المقادير نحاول أن نجمع ونطرح ونضرب ونقسِّم حتّى نصل إلى النتيجة ومبلغها، وما من إنسان إلاّ وله أعمال متفرِّقة نافعة وضارّة ومقرّبة ومبعّدة لا يعلم النتائج النهائية لها، وقد لا تُحصر آحاد متفرّقاتها، فإذا حصرت المتفرّقات وجُمع مبلغها كان هو الحساب.

وهذا التعريف لمعنى الحساب ورد في كلمات جملة من الأعلام، منهم الشيرازي يقول: «الحساب جمع متفرِّقات شتّى ليعلم حاصل مجموعها،

---

(١) نصّ كلام الراغب في المفردات في مادّة حسب: الحساب استعمال العدد، يُقال: حَسَبْتُ أَحْسِبُ حِساباً وحُسباناً، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾، وقيل: لا يعلمُ حُسْبانهُ إلاّ الله... .

وقد سبق أنّه ما من إنسان إلاّ وله متفرِّقات أعمال وأقوال، ولأعماله وأقواله المتفرِّقة آثار ونتائج في القلب تنويراً وإظلاماً وتقريباً إلى الله تعالى وتبعيداً عنه، ولا يعلم فذلكتها ولا يعرف جمع متفرّقاتها الآن إلاّ الله، فإذا أحضرت الملائكة فذلكة متفرّقاتها، وحاصل أعدادها، وصورة نتائجها وجمعيّة ثمراتها بإذن الله تعالى كانت حساباً بهذا الاعتبار، وباعتبار إثباتها في صحيفة مكتوبة كتبها كرام الكاتبين كانت كتاباً»[١].

«الحساب عبارة عن جميع آثار الحسنات أو السيّئات الواقعة في الحياة الدُّنيا، لتجزى كلّ نفس بما عملت. ومن كانت له أعمال متفرِّقة نافعة وضارّة مقرّبة ومبعّدة، لا يعرف فذلكتها وقد لا تحضره آحاد مُتفرِّقاتها، فإذا حضرت المتفرّقات وجمع مبلغها كان حساباً. فلا شكّ أنّ في قدرة الله تعالى أن يكشف في لحظة واحدة للخلق متفرّقات أعمالهم ومبلغ آثارها المترتّبة عليها من غير غلط وتشويش، فهو إذن أسرع الحاسبين. وأمّا أهل الكشف والإيقان فهم لا يزالون يشاهدون موقف الحساب، فلا جرم لا يؤخّر حساب الموقن إلى يوم القيامة»[٢].

«الحساب عبارة عن جمع تفاريق المقادير والأعداد وتعريف مبلغها، فإذا جمع متفرِّقات حسنات الإنسان ومتفرِّقات سيّئاته، فإن كان الرجحان في جانب الحسنات كان من أهل السعادة والجنّة، وإن كان بخلافه كان من أهل الشقاوة والنار، فكلّ مكلّف يرى يوم الآخرة حاصل متفرّقات حسناته أو سيّئاته، ويصادف جامع كلّ دقيق وجليل من أفعاله في كتاب لا

---

(١) **أسرار الآيات**، مصدر سابق: ص ٢١٤ .

(٢) **رسائل فلسفيّة**: رسالة الحشريّة، صدر الدِّين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م : ص ٢٩٤.

يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها»[١].

وقال المولى الكاشاني في بيانه لحقيقة الحساب: «الحساب: عبارة عن جمع تفاريق المقادير والأعداد وتعريف مبلغها وفي قدرة الله تعالى أن ينكشف في لحظة واحدة للخلايق حاصل حسناتهم وسيّئاتهم، وهو أسرع الحاسبين. ويأبى الله عزّ وجلّ إلاّ أن يعرّفهم حقيقة ذلك ليبيّن فضله عند العفو، وعدله عند العقاب.

فيتطاير الكتب ـ كما يتطاير الشبح ـ وتشخص الأبصار إليها: أيقعُ في اليمين أم في الشمال؟ ثمّ الميزان: أيميل إلى جانب الحسنات أم السيّئات؟ فمن ثقُلت موازينه فهو في عيشة راضية، ومَن خفّت موازينه فأمّه هاوية، وما أدراك ما هي، نارٌ حامية. ولا ينجو من خطر الميزان أو الحساب إلاّ من حاسب في الدُّنيا نفسه ووزن بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته.

كما ورد في الخبر: **حاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا وزِنوها قبل أن توزنوا**[٢]. فإنّ ذلك ممكنٌ ولا يتوقّف على مجيء القيامة لوصول معيار ذلك كلّه إلينا من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام»[٣].

الواقع المكشوف للحساب الإلهي

يحتاج البشر إلى العمليّة الحسابيّة لاستكشاف الواقع، وإذا كان هناك موجود يستطيع أن يتعرّف على الواقع من غير هذا الطريق فهو لا يحتاج إلى هذا الحساب وما شاكل ذلك، والله سبحانه وتعالى لا شكّ ولا ريب ـ بل

---

(١) **كتاب العرشيّة**، مصدر سابق: ص ٨٠ .

(٢) **نهج البلاغة**: الخطبة ٨٨ .

(٣) **علم اليقين**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٥٧.

من المقطوع به ـ أنّ الواقع مكشوف أمامه، فإذا كان هذا هو شأنه تعالى فهل الحساب بالمعنى المتقدِّم في اللغة والعرف ينطبق على معنى حسابه سبحانه وتعالى؟

إنّ الله تبارك وتعالى بكلّ شيء محيط وعليم، وفي ضوء هذا لابدّ أن يكون معنى الحساب إذا نسبناه إليه يختلف عن نسبته إلى الممكنات.

بل هذا المعنى غير قابل للانطباق عليه سبحانه وتعالى، لأنّه:

• قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ * وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٥٩ ـ ٦٠).

• وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ * عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ * سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ (الرعد: ٨ ـ ١٠).

• وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥١).

• وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: ٧).

• وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٤).

ويصِف الإمام عليّ عليه السلام العلم الإلهي:

• فيقول: «**ولا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء، ولا سوافي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذرّ في الليلة الظلماء،**

يعلم مساقط الأوراق وخفيّ طرف الأحداق»[١].

• ويقول عليه السلام: «**إنّ الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم، لطف به خبراً، وأحاط به علماً، أعضاؤكم شهوده، وجوارحكم جنوده، وضمائركم عيونه، وخلواتكم عيانه**»[٢].

• ويقول عليه السلام: «**قسّم أرزاقهم وأحصى آثارهم وأعمالهم وعَدَد أنفسهم وخائنة أعينهم وما تُخفي صدورهم من الضمير، ومستقرّهم ومستودعهم من الأرحام والظهور، إلى أن تتناهى بهم الغايات**»[٣].

فالله تبارك وتعالى العالم بهذا الواقع، وليس لمبلغ علمه حدود، لا يمكن أن ننسب إليه حاجة إلى الحساب لاكتشاف الواقع.

وهذا من قبيل حاجة البشر لتعلّم القراءة والكتابة لتحصيل العلم، لأنّ طريق تحصيل العلم يمرّ من خلال القراءة والكتابة، ولكن إذا كان الإنسان يستطيع تحصيل العلم من غير هذه الواسطة فلا يحتاج إذن للقراءة والكتابة، ومثل هذا الإنسان يستطيع أن يقف على المعارف والحقائق، ويعرف كلّ شيء من غير قراءة وكتابة.

وهذا ما نقوله في النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عندما ننسب إليه أنّه «أُمّي» فالكتابة والقراءة ليستا كمالاً له، نعم تعدّ هذه الصفات ـ من القراءة والكتابة وإجراء العمليّات الحسابيّة ـ كمالاً بالنسبة إلينا نحن البشر، أمّا بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله فهو غير محتاج إلى القراءة والكتابة، وكذلك بالنسبة إلى الله تعالى فهو غير محتاج إلى الأعداد وإلى الحساب.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٨ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
(٢) المصدر نفسه: الخطبة: ١٩٩ ص ٣١٨.
(٣) المصدر نفسه: الخطبة: ٩٠ ص ١٢٣.

وما ورد في أسماء الله تعالى من أنّه تعالى هو الحسيب، وسريع الحساب، وأسرع الحاسبين ليس معناه أنّه في الحساب الإلهي يجري الله تعالى الحساب ليكتشف واقع أعمالنا، بل معنى الحساب الإلهي هو أنّ أعمالنا التي كانت مغفولة ومستورة بالنسبة إلينا سوف يكشفها لنا.

والخطاب الإلهي في مثل قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ موجّه للإنسان ولكنّه غير مختصّ بيوم القيامة، بل هذه الخطابات الإلهيّة موجّهة للإنسان في كلّ آن آن، لأنّ الحال ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ لا يلتفتون إلى هذا الخطاب إلاّ يوم القيامة.

ومن الشواهد على ما نقول ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ (الزلزلة: ٦) أنّه قال: «**ليقفوا على ما فعلوا**» أي أنّ هذه الحقائق كانت معلومة لله تعالى وللشهداء، ولكنّ الإنسان وحده كان غافلاً عنها.

والأعمال التي كانت خافية على الإنسان تشمل الأعمال الظاهرة والباطنة.

السرعة في الحساب الإلهي

تكرّر الآيات الحديث عن السرعة في الحساب الإلهي للناس يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ (البقرة: ٢٠٢) وكونه تعالى أسرع الحاسبين.

وفي هذا إشارة إلى تلك الحقيقة التي تحصل عند الحشر الأكبر ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ (آل عمران: ٩) حيث سيجمع الله تعالى البشريّة جمعاء منذ آدم إلى قيام يوم الساعة، وهؤلاء لا يمكن عدّهم ولا إحصاؤهم، فهم يتجاوزون المليارات، نعم لا يقدر على إحصائهم إلاّ الله

سبحانه وتعالى.

فإذا كانوا بهذا المقدار فهل سيكون حسابهم بشكل فرديّ، أي يحاسبون فرداً فرداً، ولازم ذلك أن تستمرّ عمليّة الحساب آلاف بل ملايين السنين.

ودفعاً لهذا التوهّم جاءت هذه الآيات لتبيِّن أنّ حساب الله تعالى فوق الزمان والمكان، والحساب في مسيرة الزمن هو للبشر فقط، أمّا الله تعالى فهو لا يحاسب وفق زمن معيّن، بل يحاسبهم جميعاً في آن واحد.

وتوضيح ذلك أنّ الحساب عند البشر وفي مقاييسهم يتمّ من خلال محاسبة الأوّل ثمّ الثاني ثمّ الثالث وهكذا... وهذا ما يحتاج إلى وقت طويل لا يمكن معرفة أمده، أمّا بالنسبة إلى الله تعالى فليس الأمر كذلك، ولا يشغله شأنٌ عن شأن.

سُئل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ فقال: «**كما يرزقهم على كثرتهم**»، قيل: كيف يحاسبهم ولا يرونه؟ قال: «**كما يرزقهم ولا يرونه**»[1].

قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿**أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ**﴾ (البقرة: ٢٠٢): «... معناه: سريع المجازاة للعباد على أعمالهم وأنّ وقت الجزاء قريب، يجري مجرى قوله سبحانه: ﴿**وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ**﴾ (النحل: ٧٧)، وعبّر عن الجزاء بالحساب لأنّ الجزاء كفاء العمل وبمقداره فهو حساب له...

وثانيها: أن يكون المراد به أنّه يحاسب أهل الموقف في أوقات يسيرة، لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره، كما لا يشغله شأنٌ عن شأن، وورد في الخبر أنّ الله سبحانه يحاسب الخلائق كلّهم في مقدار لمح البصر، وروي

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٣٠٠.

بقدر حلب شاة. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **معناه أنّه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة»**(١).

الاستقصاء وسوء الحساب

يعيش الإنسان في هذه الدُّنيا غافلاً عن ذلك اليوم الذي ينتظره ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ ثمّ يأتيه الموت بغتةً وفجأةً، ويتغيّر ويتبدّل كلّ شيء من حوله لأنّه انتقل من نشأة الحياة الدُّنيا إلى نشأة أُخرى هي الآخرة.

ومن القضايا التي أراد القرآن الكريم لنا أن نتعرّف عليها قبل وقوعها وحصولها: مسألة الحساب ودقّته وسوءه، وحذّر المؤمنين قبل الكافرين من ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١) فهؤلاء كانوا من المؤمنين الذين لا يعصون الله، ويخشون ربّهم ومع ذلك كانوا يخافون سوء الحساب.

فلماذا يخافون الحساب وهم يعلمون أنّ الله ليس بظلاّم للعبيد؟ وهل الخوف من سوء الحساب من صفات المؤمنين ؟

في الحقيقة إنّ هذا الشعور بالخوف نابع من الاستقصاء الإلهي والدقّة في الحساب بحيث إنّه تعالى لو حاسب الإنسان بعدله، سيكون ذلك داعياً كبيراً لخوف المؤمن فضلاً عن غير المؤمن.

ولا ريب أنّ هناك اختلافاً في حساب الناس حيث لا يكون الحساب للجميع على نحو واحد، فالبعض يقف عند الحساب أكثر من البعض الآخر، والبعض يطول حسابه والبعض الآخر يقصر، والبعض كما وصفت

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ١ ج ٥٣٠ ـ ٥٣١.

الروايات يمرّ كالبرق الخاطف، وبمقدار صلاة يصلّيها، وبعضهم يحبو على الصراط حبواً.

ولعلّ قِصَر يوم الحساب وطوله يوم القيامة مرتبط بكثرة النّعم الإلهيّة في الدُّنيا وقلّتها، فكلّما ازداد الإنسان نعمة في هذه الدُّنيا ازداد مكثه يوم القيامة.

وأخطر ما يمكن أن يواجهه الإنسان يوم القيامة هو ما تحدّثت عنه الروايات وسمّته بالاستقصاء والمداقّة في الحساب. وقد سمّى الله تعالى المداقّة ـ وفقاً للروايات ـ سوءاً وإضراراً وتعذيباً يفعله بمَن يستحقّه على وجه التعذيب.

ففي عالم الدُّنيا إذا كان لإنسان دين وحقّ على أخيه فجاءه وطالبه به على نحو استقصاء بهذا الحقّ فإنّ الطرف الآخر سوف يعتبر هذا الاستقصاء والمطالبة سوءاً بحقّه، فكيف إذا كان الاستقصاء من الله تعالى للإنسان يوم الحساب، وبهذا يمكن أن نفهم سبب طرحنا للأسئلة في مقدّمة هذا البحث.

وبهذا تظهر لنا الإجابة وهي أنّ الإنسان يخشى يوم القيامة من الاستقصاء وهو عبارة أن يحسب الله عليه سيّئاته، ويحسب له حسناته، وخوف الإنسان هو أن ترجح كفّة السيّئات على الحسنات، أو أن لا يقبل الله تعالى الحسنات ويؤاخذ على السيّئات.

• عن ابن إسحاق قال: سمعته يقول: في «**سوء الحساب، لا يقبل حسناتهم ويؤاخذون بسيّئاتهم**»[١].

• وعن تفسير الاستقصاء يوم الحساب ورد عن هشام بن سالم، عن أبي

---

(١) **تفسير العيّاشي**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٢٥، سورة الرعد: ح٣٧.

عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ قال: «**يحسب عليهم السيّئات، ويحسب لهم الحسنات وهو الاستقصاء**»[(١)].

• وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ قال: «**الاستقصاء والمداقّة**»، وقال: «**يحسب عليهم السيّئات، ولا يحسب لهم الحسنات**»[(٢)].

• وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لرجل: **يا فلان ما لكَ ولأخيك؟** قال: جعلت فداكَ كان لي عليه حقّ فاستقصيت منه حقّي، قال أبو عبد الله: **أخبرني عن قول الله:** ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ **أتراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم؟ لا والله خافوا الاستقصاء والمداقّة**»[(٣)].

وعن السبب في المداقّة في الحسنات ورد في الروايات:

• عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**إنّما يداقّ الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدُّنيا**»[(٤)].

وذكر العقل ليس لوجود خصوصيّة له، بل باعتبار أنّه من أهمّ النِّعم التي تُعطى للإنسان الذي كلّما ازداد عقلاً ازداد مسؤوليّةً في هذا العالم، وعندما يعطي الله تعالى البعض نعماً يحسبها امتيازاً له، والحال أنّها مسؤوليّة.

وهكذا السلطة والمال، فهذه كلّها نِعَم، ولكن في قِبالها مسؤوليّة وسؤال وحساب، وكلّ إنسان إنّما يستحقّ على حسب قدره.

ومن الروايات التي تشير إلى السؤال عن مثل هذه النِّعم في يوم القيامة:

---

(١) **تفسير العيّاشي**، مصدر سابق: الحديث ٣٨، ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ٣٩، ج ٢ ص ٢٢٥.

(٣) المصدر نفسه: الحديث ٤٠، ج ٢ ص ٢٢٥.

(٤) **الكافي**، مصدر سابق: الحيث ٧، ج ١ ص ١١.

• عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من أهل الجنّة: فقيرٌ في الدُّنيا، وغنيٌّ في الدُّنيا، فيقول الفقير: يا ربِّ على ما أوقف؟ فوعزّتك إنّك لتعلم أنّك لم تولّني ولاية فأعدل فيها أو أجور، ولم ترزقني مالاً فأؤدّي منه حقّاً أو أمنع، ولا كان رزقي يأتيني منها إلاّ كفافاً على ما عملت وقدّرت لي، فيقول الله جلّ جلاله: صدق عبدي خلّوا عنه يدخل الجنّة، ويبقى الآخر يسيل منه من العرق ما لو شربه أربعون بعيراً لكفاها، ثمّ يدخل الجنّة، فيقول له الفقير: ما حبسك؟ فيقول: طول الحساب، ما زال الشيء يجيئني بعد الشيء يغفر لي، ثمّ أسأل عن شيء آخر حتّى تغمّدني الله عزّ وجلّ منه برحمة وألحقني بالتائبين، فمَن أنت؟ فيقول: أنا الفقير الذي كنت معك آنفاً، فيقول: لقد غيّرك النعيم بعدي**»[1].

فالغنيّ والفقير متساويان من حيث الإيمان، والفارق بينهما في النعمة وهي هنا المال، وعند الحساب والمداقّة يدخل الفقير الجنّة بعد أن تحصى سيّئاته وحسناته فترجح الحسنات، والغني وإن كان من أهل الجنّة إلاّ أنّه لا يدخلها إلاّ بعد أن تفتح له ملفّات عديدة عند الحساب.

طوائف الناس يوم القيامة

ذكرت الروايات فضلاً عن الآيات الكريمة أنّ الناس عند الحساب يكونون على طوائف أربع، هي:

الطائفة الأولى: الذين يدخلون الجنّة بغير حساب.

الطائفة الثانية: أيضاً الذين يدخلون الجنّة بغير حساب.

الطائفة الثالثة: الذين يحاسبون.

---

(١) أمالي الصدوق، مصدر سابق: الحديث ١١، المجلس ٥٧، ص ٢٩٤.

الطائفة الرابعة: الذين لا يحاسبون ولكن لا يدخلون الجنّة بل إلى النار مباشرةً.

أمّا الطائفة الأولى فيدخلون الجنّة بغير حساب لأنّهم موازين القسط وفوق الحساب، ولم يبلغوا هذه الدرجة جزافاً، بل لكرامة لهم من الله تعالى، وهم الأنبياء والأولياء.

والطائفة الثانية هم الذين لا يحاسبون لأنّهم حاسبوا أنفسهم في الدُّنيا قبل أن يحاسبوا ووزنوها قبل أن يوزنوا، ولذا فإنّهم يوم القيامة لا يبقى عندهم أيّ شيء للحساب.

فالفرق بين الطائفة الأولى والثانية، أنّ أصحاب الأولى فوق الحساب وهم موازين القسط والأنبياء الذين تقاس أعمال واعتقادات الناس إليهم، أمّا الثانية فهم المؤمنون الأتقياء والأولياء والصالحون.

والطائفة الثالثة هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، ولم يصلحوا أنفسهم في الدُّنيا كإصلاح أصحاب الطائفة الثانية، وهؤلاء يقفون للحساب وقد يطول وقوفهم أو يقصر بحسب أعمالهم.

وأمّا الطائفة الرابعة فهم الذين يدخلون النار بغير حساب، ولا يوضع لهم ميزان لكي تُوزن أعمالهم باعتبار عدم وجود حسنات لهم، وإن كان لهم ذلك فقد أحبطوها في عالم الدُّنيا، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥)، وقال: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٣)، وقال: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٦).

قال الكاشاني في «علم اليقين»: «قال بعض المحقّقين: إنّ الناس يوم الحساب ثلاث فِرق:

فطائفة يدخلون الجنّة بغير حساب، وهم السابقون وأهل الأعراف الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٥٢).

ومن لم يقدم على سيّئة من أصحاب اليمين، ومن خلا كتابه عن السيّئات، أي الذين: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠).

وفرقة يدخلون النار بغير حساب، وهم الذين خلا كتابهم من الحسنات، أي الذين: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٦). ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان:٢٣).

وفرقة يحاسبون وهم الذين: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ (التوبة: ١٠٢).

ومن هؤلاء من حاسب نفسه في الدُّنيا بمقتضى: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها**»، وهو الذي: ﴿يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٨).

ومنهم من كان غافلاً عن الحساب والكتاب، وهو الذي يناقش في الحساب، ومَن نوقش في الحساب فقد عُذِّب.

والحساب اليسير هو العرْض. «سُئل النبيّ صلى الله عليه وآله: ما الحساب اليسير؟ قال: **يُنظر الرجل في كتابه فيجاوز عنه**».

ويُقال: مثل محاسبة الله مع المؤمنين يوم القيامة كمعاملة يوسف مع إخوته حيث قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (يوسف: ٩٢) كذلك يقول الله لعباده: لا خوف عليكم اليوم. وقال يوسف: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ (يوسف: ٨٩) كذلك يقول الله لعباده: هل علمتم ما فعلتم؟ هل تذكرون ما فعلتم حين خلفتم؟»[1].

---

(١) علم اليقين في أصول الدين: ج ٢ ص ٩٥٨.

وقال الشيرازي: « قد علمت أنّ أهل الآخرة على الإجمال ثلاثة أقسام:

المقرّبون والسعداء وهم أصحاب اليمين، والأشقياء وهم أصحاب الشمال وهم من جهة الحساب صنفان: أحدهما يدخلون الجنة ويرزقون من نعيمها بغير حساب، وهم ثلاثة أقوام:

منهم المقرّبون الكاملون في المعرفة والتجرّد لأنّهم لتنزّههم وارتفاع مكانتهم عن شواغل الكتاب و الحساب، يدخلون الجنة بغير حساب كما قال تعالى في حقّ أمثالهم: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾.

ومنهم جماعة من أصحاب اليمين، لم يقدموا في الدنيا على معصية ولم يقترفوا سيّئة ولم يريدوا علوّاً في الأرض ولا فساداً؛ لصفاء ضمائرهم وسلامة فطرهم عن رين المعاصي، و قوّة نفوسهم على فعل الطاعات، فهم أيضاً يدخلون الجنّة بغير حساب، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ومنهم جماعة نفوسهم ساذجة وصحائف أعمالهم خالية عن آثار السيّئات والحسنات جميعاً فلهم حالة إمكانية فينالهم الله برحمة منه وفضل لم يمسسهم سوء العذاب، لأنّ جانب الرحمة أرجح من جانب الغضب، والإمكان مصحّح للقبول مع عدم المنافي، والواهب جواد كريم، فهؤلاء أيضاً يدخلون الجنّة بغير حساب، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وأمّا الصنف الآخر وهم أهل العقاب في الجملة، فهم أيضاً ثلاثة أقوام:

منهم قوم صحيفة أعمالهم خالية من العمل الصالح، ولا محالة يكونون

كفّاراً محضة فيدخلون جهنم بلا حساب.

ومنهم قوم صدر منهم بعض الحسنات، لكن وقع في حقّهم قوله تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾.

ومنهم قوم هم في الحقيقة من أهل الحساب حيث خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئا فهؤلاء قسمان:

أحدهما: من نوقش في حسابه بكلّ دقيق وجليل لأنّه بهذه المثابة كان في الدنيا عاشر مع الخلائق، و كان يستوفي حقّه في المعاملات معهم من غير مسامحة فيعامل معه في الآخرة مثل ما عامل مع الخلق في الدنيا.

والقسم الثاني: و هم الذين كانوا يخافون سوء الحساب و يشفقون من عذاب يوم القيامة، فهؤلاء لا يناقش معهم في موقف الحساب، فكيف يعذّبون ويمكثون في مقام العذاب».[1]

العلاقة بين الحساب والميزان

هناك علاقة وارتباط بين حساب الأعمال وميزانها يوم القيامة، وخير دليل على هذه العلاقة القائمة بين هاتين الحقيقتين اللّتين هما من عالم الغيب والآخرة ما يقوله القرآن الكريم: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

أمّا عن كيفيّة هذا الارتباط بحسب الآية فإنّه يحتاج إلى البيان التالي:

في القرآن الكريم قواعد هامّة منها أنّ فهم محتوى الآية يتبيّن من خلال

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، مصدر سابق: ج ٩ ص ٣٠٥.

النظر إلى الاسم الإلهي في ذيلها، فإذا كان في ذيلها ـ مثلاً ـ اسم الرحمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣) فمعنى ذلك أنّ مضمونها يشير إلى الرحمة والرأفة، أمّا إذا كان في ذيلها العقاب والشدّة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فالآية تشير إلى النقمة والغضب والسخط الإلهي. وتطبيق هذه القاعدة في موردنا يفيد أنّ الآية المذكورة أعلاه تشير إلى الحساب الإلهي ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

والآية تتحدّث في مقدّمتها عن وضع الموازين القسط يوم القيامة لكلّ إنسان باعتبار أنّه تعالى يريد أن يحاسب (كما في ذيل الآية)، فالحساب إذن لا يمكن أن يجري ويتمّ إلاّ من خلال وضع الموازين، وقد قيّدت الآية الموازين بأنّها قسطٌ وعدل، أي إنّ الله تبارك وتعالى سوف يُظهر عدله في الموازين، وفي هذا إشارة أيضاً إلى أنّ الآية تتضمّن اسماً آخر من الأسماء الإلهيّة وهو العدل.

فالآية إذن مذيّلة باسمين من الأسماء الإلهيّة، ولعلّه توجد في بعض الآيات ثلاثة أسماء إلهيّة، والأسماء الإلهيّة تقتضي أثراً معيّناً، كاسم الشافي الذي من آثاره الشفاء، والمريض إذا أراد أن يدعو الله تعالى ويطلب منه الشفاء لا يقول له يا مُميت، بل يا شافي، مع أنّ المميت هو الشافي، والشافي هو المميت، ولكن العلاقة والسنخيّة بين الحاجة وبين هذا الشأن من الشؤون الإلهيّة يقتضي الدّعاء بهذا الاسم.

والعادل من أسماء الله تعالى لأنّه ليس بظالم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وهو تعالى إذا أراد حساب الناس يوم القيامة على أساس عدله فإنّ القليل من الناس سيدخلون الجنّة، ومن هنا نحن نتوسّل وندعو الله تعالى «**اللّهُمَّ عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك**» لأنّه تعالى إذا عاملنا وحاسبنا بعدله

سيكون لنا سوء الحساب وهو المداقّة والاستقصاء كما تقدّم.

فالله تعالى العادل عند الحساب يظهر باسمين من أسمائه، فيضيف إلى العدل الرأفة والرحمة والغفران وبذلك يتحقّق نوع من التوازن والتعادل، وهذا هو معنى الشفع والشفاعة في القرآن الكريم الذي يصرّح بأنّ الشفاعة لله، وهو أشفع الشافعين. فهو تعالى يشفع عند نفسه بمعنى من المعاني، أي أنّ اسماً من أسمائه يشفع إلى اسم آخر.

فمثلاً مقتضى العدل أن يحاسب حساباً دقيقاً وعندما يدخل اسم الغفور الرحيم على الحساب يجعله يسيراً.

والحاصل: أنّ القاعدة القرآنيّة تبيّن لنا بقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ الارتباط الوثيق بين الميزان وبين الحساب، وبالإضافة إلى ذلك بيّنت أنّ الحساب هو بالقسط والعدل.

ومن القضايا التي بيّنتها الآية أيضاً أنّ الموازين متعدّدة وليست واحدة ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾.

حقيقة الميزان

لكي نقف على مفردة الميزان في القرآن الكريم لابدّ من الإشارة إلى نقطتين لهما دورٌ أساسيّ في توضيح المعنى:

النقطة الأولى: أنّ الأعمال في قولنا «ميزان الأعمال» هي الأعمّ من الأمور المرتبطة بالاعتقاد والأمور المرتبطة بالنيّة ومن الأمور المرتبطة بالأفعال الخارجيّة، ومن هنا قسّموا العمل إلى جوارحيّ مرتبط بجوارح الإنسان، وجوانحيّ مرتبط بباطن الإنسان وقلبه.

فالأعمال تارةً تكون ظاهريّة وهي الأعمال المحسوسة والحركات

الطبيعيّة التي نقوم بها ونراها، وتارةً تكون أعمالاً باطنيّة غيبيّة، والباطن هو ما يعطي قيمة للعمل الظاهري.

النقطة الثانية: أنّه إذا كان المراد من الأعمال ليست هذه الأعمال الظاهريّة فلا يمكن أو لا يُعقل أن يكون المراد من الميزان هذا الميزان المادّي الذي نزن به الحنطة والشعير وغير ذلك، لأنّ هذه الموازين المتعارفة عندنا وبيننا إنّما يوزن بها الأمور المادّيّة، فلابدّ أن يكون المراد من الميزان أمراً آخر يوزن به كلا النوعين من الأعمال الظاهريّة والباطنيّة.

ومن الشواهد الروائيّة:

- روى هشام بن الحكم «أنّ الزنديق سأل الإمام الصادق عليه السلام فقال: أوليسَ توزن الأعمال؟ قال: **لا، إنّ الأعمال ليست بأجسام، وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفّتها، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء**، قال: فما معنى الميزان؟ قال: **العدل**، قال: فما معناه في كتابه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؟ قال: **فمن رجح عمله...**»[1].

فالسائل تصوّر أنّ الأعمال تُوزن بمثل هذا الوزن في عالم الدُّنيا، أي كما يوزن التمر والحنطة والشعير، فكان جواب الإمام عليه السلام بالنفي.

وفي القرآن الكريم جُعِلَ الميزان عدلاً للكتاب الذي نزل على قلب النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ (الحديد: ٢٥)، وفي موضع آخر نرى أهمّيّة الميزان في كون رفع السماوات مترتّباً عليه ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧).

---

(١) **الاحتجاج**، مصدر سابق: ص ٣٥٠.

وفي كون الميزان معنويّاً وليس ماديّاً يقول صدر المتألّهين: «اعلم أنّ أفعال الجوارح خيرها وشرّها كلّها ممّا يدخل في الموازين، وأمّا الأعمال الباطنة فلا يدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيه العدل وهو ميزان الحكم المعنوي، فالمحسوس يوزن بالمحسوس، والمعنى بالمعنى، فلذا توزن الأعمال من حيث ما هي مكتوبة، وآخر ما وضع في هذا الميزان قول الإنسان: الحمد لله، وبه يملأ الميزان، وإليه الإشارة في ما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله: «**الحمد لله يملأ الميزان**» ومن اللطائف الكشفيّة أنّ كفّة ميزان كلّ أحد بقدر عمله لا زيادة ولا نقصان»[١].

وفي موضع آخر يقول: «مثلاً لفظ الميزان موضوع لما يوزن به الشيء، وهو أمرٌ مطلق عقليّ هو بالحقيقة روح معناه وملاك أمره من غير أن يشترط فيه التخصّص بهيئة مخصوصة، وكلّ ما يُقاس به شيء ـ بأيّ خصوصيّة كانت، حسّية كانت أو عقليّة ـ يصدق عليه أنّه ميزان، فالمسطرة والشاقول والكونيا والإسطرلاب والذراع وعلم النحو والعروض والمنطق والعقد كلّها مقاييس وموازين بها يُقاس ويُوزن الأشياء، ولكلّ منها وزان ما تناسبه وتجانسه»[٢].

أمّا الطبرسي ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ (الأعراف: ٨) ذكر الأقوال في معنى الميزان فقال:

أحدها: أنّ الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وأنّه لا ظلم فيها على أحد.

وثانيها: أنّ الله ينصب ميزاناً له لسان وكفّتان يوم القيامة فتوزن به

---

(١) **كتاب العرشيّة**، مصدر سابق: ص ٥٣.

(٢) **تفسير القرآن الكريم**، لصدر المتألّهين، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٥١.

أعمال العباد: الحسنات والسيّئات، عن ابن عبّاس والحسن، وبه قال الجبائي...

وثالثها: أنّ المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلّة كما قال سبحانه: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ، ومَن أتى بالعمل السيّئ الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ إنّما جمع الموازين لأنّه لا يجوز أن يكون لكلّ نوع من أنواع الطاعات يوم القيامة ميزان، ويجوز أن يكون كلّ ميزان صنفاً من أصناف أعماله، ويؤيّد هذا ما جاء في الخبر: **أنّ الصلاة ميزان فمَن وفى استوفى**»[1] .

وأورد الرازي قولين في معنى الميزان؛ قال: «في وزن الأفعال قولان:

الأوّل: في الخبر: أنّه تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفّتان يوم القيامة يوزن به أعمال العباد خيرها وشرّها، قال ابن عبّاس: أمّا المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفّة الميزان فتثقل حسناته على سيّئاته، فذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون، قال: وهذا كما قال في سورة الأنبياء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾.

الثاني: وهو قول مجاهد والضحّاك والأعمش أنّ المراد من الميزان العدل والقضاء، وكثير من المتأخّرين ذهبوا إلى هذا القول ومالوا إليه. أمّا بيان أنّ حمل لفظ الوزن على هذا المعنى جائز في اللغة فلأنّ العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلاّ بالكيل والوزن في الدُّنيا، فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل، وممّا يقوّي ذلك أنّ الرجل إذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦١٦.

يقال: إنّ فلاناً لا يقيم لفلان وزناً، قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾، ويُقال أيضاً: فلان يستخفّ بفلان، ويقال: هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه أي يعادله ويساويه، مع أنّه ليس هناك وزن في الحقيقة...

إذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الآية هذا المعنى فقط، والدليل عليه أنّ الميزان إنّما يُراد ليتوصّل به إلى معرفة مقدار الشيء، ومقادير الثواب والعقاب لا يمكن إظهارها بالميزان؛ لأنّ أعمال العباد أعراض وهي قد فُنيت وعدمت، ووزن المعدوم مُحال، وأيضاً بتقدير بقائها كان وزنها محالاً..»[1].

وبهذا يظهر تأييد هؤلاء الأعلام لما قلناه في معنى الميزان، وإلى هذا الرأي أيضاً ذهب الشيخ المفيد حيث قال: «والموازين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها، ووضع كلّ جزاء في موضعه، وإيصال كلّ ذي حقٍّ إلى حقّه، فليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب إليه أهل الحشو من أنّ في القيامة موازين كموازين الدُّنيا لكلّ ميزان كفّتان توضع الأعمال فيها، إذ الأعمال أعراض، والأعراض لا يصحّ وزنها، وإنّما توصف بالثقل والخفّة على وجه المجاز، والمراد بذلك أنّ ما ثقل منها هو ما كثر واستحقّ عليه عظيم الثواب، وما خفَّ منها ما قلَّ قدره ولم يستحقّ عليه جزيل الثواب..»[2].

ومفاد كلّ هذه الأقوال أنّ ميزان الأعمال هو لميزان الأعمال الظاهريّة وكذلك الباطنيّة والقلبيّة التي ترتبط بالاعتقادات والملكات والنيّات التي كلّها أمور ليست ظاهريّة وإنّما هي باطنيّة وغيبيّة.

---

(١) **تفسير الرازي**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) **تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد**، مصدر سابق: ص ٩٣ ـ ٩٤.

كيفيّة الوزن

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (القارعة: ٦ـ١١).

هذه الآية وغيرها من الآيات التي أشارت إلى الميزان يوم القيامة تفتح لنا باباً جديداً ـ وبعد العرض المتقدِّم ـ من أبواب البحث في الميزان وشؤونه.

وفي هذه الأبحاث السؤال عن الوحدة التي على أساسها تُوزن أعمال الإنسان يوم القيامة، ففي الموازين المادّية هناك مقادير للموزون، كأن نقول بأنّه مقدار من التمر يزِن عشرة كيلوغرامات مثلاً، وهذا السؤال يتعلّق بصميم وجوهر البحث في الميزان في القرآن الكريم. فهناك من يعيش في الدُّنيا ويوفّق للصلاة فيها مدّة سبعين سنة، وهناك من يعيش ويموت في وقت مبكِّر فلا يوفّق للصلاة إلاّ لمدّة ثلاثين سنة، وهناك من يصلّي أقلّ أو أكثر وهكذا.

وفي يوم القيامة هل الذي صلّى سبعين سنة سيكون ميزان أعماله من الحسنات أثقل من ذاك الذي صلّى ثلاثين ؟

وهذا يستدعي أن نتساءل عن المقياس في ثقل الأعمال وخفّتها ؟

أجاب القرآن الكريم عن هذه القضيّة بنحو واضح وجليّ في قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾.

فهذا يعني أنّه يوضع في إحدى الكفّتين الحقّ، وفي الكفّة الأخرى الموزونات، ولهذا فرّعت الآية القول: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ٨ ـ ٩).

ولابدّ من الالتفات إلى التعبير الوارد في الآية، فهناك فرق بين أن تقول الآية: «والوزن يومئذ حقّ» وبين: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾.

فالمقولة الأولى تعني أنّ الوزن ثابت يوم القيامة وأنّ الأشياء تُوزن يوم القيامة، ولكن بماذا توزن؟ هذه الآية ساكتة عن ذلك، تماماً كما تقول عند تلقين الميّت: اعلم أنّ الموت حقّ، أي هو أمرٌ ثابت لا ريب فيه، وهذا غير أن تقول: إعلم أنّ الموت الحقّ.

والحاصل: أنّ ما يوزن به الأعمال (وهي الموزون) هو الحقّ، وهذه إشارة إجماليّة، ولكن المحور الأساس هو أنّه ما معنى أنّ الوزن هو الحقّ ؟

القرآن الكريم يبيِّن حقيقة مهمّة وأساسيّة وهي أنّ أيّ عقيدة من الاعتقادات كالاعتقاد بالتوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد... وهكذا أي ملكة من الملكات كالشجاعة والعفو والصدق... وكذلك أيّ عمل من الأعمال العباديّة كالصلاة والصوم والحجّ والزكاة والخمس...

كلّ واحدة من هذه الاعتقادات والملكات والأعمال الظاهريّة، لها درجات وليس درجة واحدة، فالاعتقاد بالتوحيد له درجات ومراتب متعدّدة، والتقوى لها مراتب ودرجات متعدّدة، والصلاة لها مراتب، فالمرتبة الأعلائيّة منها تسمّى الصلاة الكاملة، ونعبِّر عنها حقّ الصلاة، أو الصلاة الحقّة.

وفي يوم القيامة لأجل معرفة قيمة الصلاة وثقلها توضع في إحدى الكفّتين، وفي الكفّة الأخرى توضع الصلاة الكاملة، وبمقدار ما يوجد من ذلك الحقّ وذلك الكمال بمقدار ما تأخذ هذه الصلاة وزنها وثقلها، فلو كانت الصلاة الكاملة مائة درجة، وصلاتي كانت بمقدار خمسين درجة،

فصلاتي تأخذ هذا المقدار من الوزن الحقّ بالنسبة إلى الصلاة الكاملة.

وهنا نورد كلمات لبعض الأعلام وما قالوه في كيفيّة الوزن:

قال الشيخ الطبرسي: «واختلفوا في كيفيّة الوزن لأنّ الأعمال أعراض لا تجوز عليها الإعادة، ولا يكون لها وزن، ولا تقوم بأنفسها، فقيل: توزن صحائف الأعمال؛ عن ابن عمر وجماعة، وقيل: تظهر علامات للحسنات وعلامات للسيّئات في الكفّتين فيراها الناس، عن الجبائيّ؛ وقيل: تظهر للحسنات صورة حسنة، وللسيّئات صورة سيّئة. عن ابن عبّاس، وقيل: توزن نفس المؤمن والكافر؛ عن عبيد بن عمير، قال: يؤتى بالرجل العظيم الجثّة فلا يزن جناح بعوضة»[1].

وقال الفيض الكاشاني: «وكيفيّة الوزن: أن يقابل كلّ واحد من الأعمال والأخلاق والعلوم بكلّ واحد واحد من مقابله ـ أو المجموع بالمجموع ـ فيُعرف خيرها من شرّها.

وعلى هذا فالموزون بالأصالة إنّما هو الحسنات دون السيّئات، وإنّما يُعرف قدر السيّئات بالعَرض، ولهذا ورد الثقل والخفّة في الآيات بالإضافة إلى الحسنات فقط دون السيّئات، ولهذا أيضاً قسّم الله أهل الحساب على قسمين: ثقيل الحسنات وخفيفها، ولم يذكر من يساوي حسناته سيّئاته؛ لأنّ الحسنات لا يوزَنَ بالسيّئات على هذا التقدير»[2].

والحاصل: أنّ الآية الكريمة عندما قالت: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ﴾ فليس المراد أنّ الحقّ يوضع في كفّة، والصلاة ـ مثلاً ـ في الكفّة الثانية، بل إنّه في كلّ عمل من الأعمال يوضع حقّ ذلك العمل وهو عبارة عن كماله ومرتبته

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦١٦.

(٢) **علم اليقين**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٤٨.

العُليا في كفّة ويوضع عمل الإنسان الذي قام به في الدُّنيا في كفّة أخرى.

بعبارة أخرى: في إحدى الكفّتين يوضع حقّ ذلك العمل إن كان توحيداً فحقّ التوحيد، وإن كان عبادة فحقّ العبادة، وإن كان صلاة فحقّ الصلاة، وإن كان صوماً فحقّ الصوم، وفي الطرف الآخر يوضع اعتقاد التوحيد من الإنسان، أو صلاته التي صلاّها، أو صومه الذي صامه، ثمّ بعد ذلك يجري وزان حقّ العمل مع العمل.

فالله تبارك وتعالى عندما يقضي بالحقّ فإنّ معنى ذلك أنّه سبحانه وتعالى يقضي في ما يتعلّق بالصلاة بحقّ الصلاة، وفي ما يتعلّق بالصوم بحقّ الصوم، وفي ما يتعلّق بولاية أهل البيت عليهم السلام بحقّ ولاية أهل البيت، ومن هنا تختلف درجات الناس بمقدار ما يوجد في أعمالهم واعتقاداتهم من الحقّ فترتفع هذه الدرجات أو تنخفض.

يقول الطباطبائي في تفسيره: «.. فالآيات ـ كما ترى ـ تثبت الثقل في جانب الحسنات دائماً والخفّة في جانب السيّئات دائماً.

ومن هنا يتأيّد في النظر أنّ هناك أمراً آخر تقاس به الأعمال والثقل له، فما كان منها حسنة انطبق عليه ووزن به وهو ثقل الميزان، وما كان منها سيّئة لم ينطبق عليه ولم يوزن به وهو خفّة الميزان، كما نشاهده في ما عندنا من الموازين فإنّ فيها مقياساً وهو الواحد من الثقل كالمثقال يوضع في إحدى الكفّتين ثمّ يوضع المتاع في الكفّة الأخرى فإن عادل المثقال وزناً بوجه على ما يدلّ عليه الميزان أُخذ به وإلاّ فهو الترك لا محالة، والمثقال في الحقيقة هو الميزان الذي يوزن به، وأمّا القبّان وذو الكفّتين ونظائرهما فهي مقدّمة لما يبيّنه المثقال من حال المتاع الموزون به ثقلاً وخفّةً، كما أنّ واحد الطول وهو الذراع أو المتر مثلاً ميزان يوزن به الأطوال فإن انطبق الطول على الواحد المقياس فهو

وإلاّ ترك. ففي الأعمال مقياس توزن به. فللصلاة ميزان توزن به وهي الصلاة التامّة التي هي حقّ الصلاة، وللزكاة والإنفاق نظير ذلك، وللكلام والقول حقّ القول الذي لا يشتمل على باطل وهكذا، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

فالأقرب بالنظر إلى هذا البيان أن يكون المراد بقوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ أنّ الوزن الذي يوزن به الأعمال يومئذ إنّما هو الحقّ، فبقدر اشتمال العمل على الحقّ يكون اعتباره وقيمته، والحسنات مشتملة على الحقّ فلها ثقل، كما أنّ السيّئات ليست إلاّ باطلة فلا ثقل لها، فالله سبحانه يزن الأعمال يومئذ بالحقّ، فما اشتمل عليه العمل من الحقّ فهو وزنه وثقله»[1].

تعدّد الموازين

على أساس ما تقدّم نصل إلى نتيجة مهمّة وهي تتعلّق بتعدّد الموازين وسبب ذلك، فأعمال الإنسان عندما يؤتى بها يوم القيامة لا توضع في كفّة والحقّ في كفّة أُخرى، فليس الأمر كذلك، والذي يحصل هو أنّ الصلاة ـ مثلاً ـ لها ميزان خاصّ بها، والصوم له ميزان خاصّ به، وفي يوم القيامة هناك ميزان مكتوب عليه ميزان الصلاة، وميزان مكتوب عليه ميزان الصوم وهكذا كلّ اعتقاد وملكة وعمل.

وفي القيامة أشخاص تجسّد فيهم ذلك الحقّ ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾، وهذا ما نصطلح عليه في العرفان بالإنسان الكامل، وهو مَن وحّد الله حقّ توحيده، وعَبَده حقّ عبادته، وصلاته الصلاة الحقّة، وكذا صومه و ... .

والشواهد الروائيّة المؤيّدة لذلك كثيرة، منها:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٨ ص ١١ .

• عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث مَن سأل عن الآيات التي زعم أنّها متناقضة، قال: «.. **الموازين هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام**»[١].

فالحقيقة القرآنيّة تفيد أنّ لكلّ عمل من الأعمال ميزاناً خاصّاً بذلك العمل من سنخه، فإذا كان عملاً خارجيّاً فله ميزان يناسبه، وإذا كان عقائديّاً فله ميزان يناسبه.

ولا يتبادر إلى الذهن بأنّه عندما توضع الموازين فمعنى ذلك أنّ هناك مئة ميزان أو ألف أو... وأنّ الناس يذهبون إلى أخذ صفوفهم لكي توزن أعمالهم واعتقاداتهم، فليس الأمر كذلك، والأعمال كما جاء في الروايات ليست أجساماً بل صفات.

• في الاحتجاج عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه «قيل له: أوَليسَ يوزَن الأعمال؟ قال: **لا، لأنّ الأعمال ليست أجساماً وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء مَن جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلَها وخفّتها، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء**. قيل: فما معنى الميزان؟ قال: **العدل**. قيل: فما معناه في كتابه تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؟ قال عليه السلام: **فمَن رجح عمله**»[٢].

فلكلّ إنسان ميزان أو موازين بحسب اعتقاداته.

ثقل العمل وخفّته

ما هو المراد من ثقل العمل ومن خفّة العمل الواردين في مضامين الآيات ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ... وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؟

ثمّة تصوّر عام وهو في الأعمّ الأغلب يلازم غير المحقّق والمدقّق في

---

(١) **التوحيد**، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، المكتبة الإسلاميّة، طهران، ١٣٩٨هـ: الحديث ٥، الباب ٣٦ ص ٢٦٨.

(٢) **الاحتجاج**، مصدر سابق، احتجاجه عليه السلام على الزنديق: ج ٢ ص ٩٨.

هذه المسائل، وهو أنّه يتصوّر بأنّه في يوم القيامة يؤتى بأعمال الإنسان الحسنة لتوضع في الميزان ثمّ تُوزن، ويكون له على سبيل الفرض ألف كيلو، ثمّ يؤتى بالأعمال السيّئة وتُوزن أيضاً فيكون وزنها على سبيل الفرض ألف ومائة، وعندما تجري عمليّة الميزان ترجح في هذا الفرض سيّئاته على حسناته فيكون مصيره إلى نار جهنّم، أو العكس في المثال.

وهذا التصوّر خاطئ لأنّه يفترض وجود ثقل للحسنات وكذلك للسيّئات، فماذا يكون المصير؟

وأيضاً مشكلة أخرى وهي أنّه ما هي الوحدة التي تزِن بها الحسنات والسيّئات؟ فالحسنات تُوزن بالحقّ، والسيّئات بماذا نزنها؟ خصوصاً إذا لم تكن من الأمور المادّية؟

إنّ التصوّر الدقيق لبيان ثقل العمل وخفّته يتبيّن بهذا المثال:

الأشياء الثقيلة عندما توضع في الماء تهبط إلى القاع، والتي لها وزن خفيف تطفو على السطح، وهكذا هو حال الأعمال التي يقوم بها الإنسان، فهي عندما توضع في الميزان فإنّها بمقدار ما فيها من الحقّ تأخذ ثقلاً، وبمقدار ما تخلو من الحقّ تخفّ، فالسيّئات لا معنى لأن نقول بأنّها توزن، ولذا قالت الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ (الكهف: ١٠٥) وسبب عدم إقامة الوزن لأعمالهم هو عدم وجود أيّ حقّ فيها حتّى توزن ويُعطى لها ثقل.

• في حديث طويل لأمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ... وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ قال: «**فإنّما يعني الحساب توزن الحسنات والسيّئات، فالحسنات ثقل الميزان، والسيّئات خفّة الميزان**»[1].

---

(١) التوحيد، مصدر سابق: الحديث ٥، الباب ٢٦ ص ٢٦٨.

• وفي حديث طويل أيضاً للإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧) قال: «**اعلموا عباد الله أنّ أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين، وإنّما يُحشرون إلى جهنّم زمراً، وإنّما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام**»[١]. فأهل الشرك لا يوجد عندهم شيء حتّى يُوزن، ولا يوجد حقّ لهم في أيّ درجة من درجات أعمالهم.

والنتيجة التي تحصّلت لدينا إلى هنا هي أنّ ثقل العمل وخفّته مرتبطان بالحسنة، وأنّنا إذا أردنا أن نقوم بعمل له ثقل فلابدّ أن نخلّصه من الشوائب التي توجد فيه، ومن هنا قد نجد عملاً واحداً يكون للبعض فيه درجة من الحقّ، وللبعض الآخر يكون لهم نفس العمل ولكن فيه درجة ثانية من الحقّ. فصلاة واحدة يصلّيها زيد قد تعادل ألف صلاة يصلّيها عمرو، لأنّ صلاة زيد فيها من ثقل الحقّ ما لا يوجد في صلاة عمرو.

وبهذا نستطيع أن نفهم قول النبيّ صلى الله عليه وآله بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الخندق: «**برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه**»[٢] وأن «**ضربة عليّ يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين**»[٣]، لأنّها حقّ كلّها لا شائبة للباطل فيها.

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: الحديث ٢٩، ج ٨ ص ٧٤.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ٢٧، ج٢٠ ص ٢١٥.

(٣) **عوالي اللآلي**، مصدر سابق: الحديث ١٠٢، ج ٤ ص ٨٦.

الفهارس التفصيلية

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس المصادر
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات

رقم الآية **رقم الصفحة**

الحمد

٦ ـ ٧: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾، ٦٨، ٣٢٣، ٣٢٧

البقرة

٢٥: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ... ﴾، ٢٨٢، ٣٦٩

٢٨: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾، ٨٠

٣٠: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ... ﴾، ٦٧

٣٢: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، ٤٤

٨١: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾، ٣٦٩

٨٧: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾، ١٦٥

٩٦: ﴿ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾، ٢٩٤

١١٠: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾، ٣٧٢

١٤٣: ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، ٢٠٣، ٤٠١

١٥٤: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾، ١٨٩

١٥٦: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾، ١٨٥، ١٨٦

١٦٦: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ ... ﴾، ٢٧٨، ٣٠٠

١٩٧: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، ٣١٩

٢٠٢: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٢

٢٥٥: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، ٣٣٦

٢٦٠: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ... وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ٦، ١٦٣

٢٦١: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، ١٥، ١٦

٢٧٥: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾، ٣٧٤

٢٨٤: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ٣٨٣

آل عمران

٩ : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾، ٢٣٥، ٣٩١

١٩ : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾، ٣٨٣

٢٨ : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، ١٧٣، ١٧٤

٣٠ : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٧

٣١ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، ٣٢٩

٥١ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، ٣٢١

١٠٢ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، ٤١١

١١٤ : ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، ٣٦٩

١٣٣ : ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، ٢٧٥

١٨٢ : ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، ٣٧٢

١٨٣ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ﴾، ١٩٩

١٨٥ : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ ﴾، ٧٨، ٨٤، ٩٣، ٩٤، ٩٩، ٢٤١

النساء

١٠: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾، ٣٢، ٢٠٧، ٢٨٦، ٣٥٤، ٣٦٨ ، ٣٧٤

١٨: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾، ١٢٣

٢٦: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ٤٤

٤١: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾، ٣٨٥

٥٦: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾، ٢٦٦

٦٩: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾، ٣٢٨

٩٧: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾، ١٢٠

٨٠: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾، ١٦

٩٧: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ ... وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾، ١٧

٩٨ ـ ٩٩: ﴿ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا * فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴾، ١٧، ١٨

١١٥: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، ٣٢٧

١١٦: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾، ١٣

١٣١: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾، ٥٢

المائدة

١٥: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، ٣٢٦

٣٢: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾، ١٧٣، ١٧٤

٦٤: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ٣٣٧

١١٦: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾، ١٧٣، ١٧٤

الأنعام

٢: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾، ١٠٣ ـ ١٠٧، ١١٠

١٢: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، ١٧٣، ١٧٤

٥٢: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾، ٣٩٨

٥٩: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ... إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، ٧١، ٣٨٩

٦٠: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ٧١، ٣٨٩

٦١: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢

٧٣: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾، ٦٣

٧٥: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾، ٤٩، ١٦٨، ٣١١

٨٤ – ٨٧: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ... وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ٣٢٨

٩٠: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، ٣٢٩

٩١: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ... ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾، ٢٢

٩٣: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾، ١٧٤

٩٥: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾، ٨٩

١١٢: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾، ٢٢٣

١٢٢: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾، ٨٦، ١٦٥

١٢٨: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾، ١٧٥، ٣١٤

١٥٣: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣

١٦٠: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، ١٥، ٣٧٠

١٦١: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، ٣٢١

١٦٤: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾، ١٩٥

الأعراف

٨: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، ٦٣، ٣٨٤، ٤٠٤، ٤٠٨ ـ ٤١٣

٩: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾، ٤٠٨

٣٢: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾، ٧٤

٣٤: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾، ٩٩

٥٤: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، ١١٨

١٢٥: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾، ٣٥

١٤٧: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾، ٣٧

١٧٢: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾، ١٨٨

١٧٦: ﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾، ٢٢٤

١٧٩: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ ... أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾، ٣٨، ٦٧، ٣٥٥

١٨٧: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ...لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، ٢٨٧، ٢٨٨

١٨٩: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، ١٧٤

الأنفال

٢٥: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾، ٣٤٣

٤٨: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾، ٦٢

٥٠: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾، ١٢٣

التوبة

٣٤-٣٥: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾، ٣٣

٣٨: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ... فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، ٣٦

٦٧: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾، ٣١

١٠٢: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، ١٣، ٣٩٨

١٠٥: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾، ١٤١، ٢٠٣

١٠٦: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾، ١٨

يونس

٤: ﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ... وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾، ٧١

٧ ـ ٨: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾، ٣٦

٣٤: ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ ﴾، ٧١

هود

١٦: ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾، ٣٩٧، ٣٩٨

١٧: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ ﴾، ٣٨٥

٤٦: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾، ٣٦٩

٥٦: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾، ٣٢٨

يوسف

٤: ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾، ٢٠٦

٣٦: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، ٢٠٦

٤١: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾، ٢٠٦

٤٣: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴾، ٢٠٧

٤٧-٤٨: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾، ٢٠٧

٥٣: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ١٧٧

٨٩: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾، ٣٩٨

٩٢: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، ٣٩٨

١٠٠: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ...﴾، ٢٠٦

١٠٨: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾، ٣٢٧

الرعد

٥: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، ٣٨، ٣٩

٨-١٠: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۞ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۞ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾، ٣٨٩

١٧: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ... ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾، ٦٠

٢١: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾، ٣٨٣، ٣٩٣، ٣٩٥

٣٨-٣٩: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۞ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ١٠٣ ـ ١٠٩

إبراهيم

٨: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، ٥٢

١٧: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، ٨٦

٢٤: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، ٢٠٧

٢٧: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، ٣٦٣

٤٧: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾، ٧٩

٤٨: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، ٤٧، ٧٣، ٢٧٣، ٢٨٨، ٣٠٢

الحجر

٢١: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، ١٨٨، ٣٣٧، ٣٤١

٢٩: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾، ٦٤، ٦٦، ٨٢، ٩٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٣

٤٢: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾، ١٧٨

٩٩: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، ٤٩

النحل

١: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ١٦٤

٢: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، ١٦٤

٢١: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾، ٨٠

٢٥: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾، ١٩٧

٢٨: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، ١١٩، ١٢٠

٣٠: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾، ١٥

٣١: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، ٢٧٩، ٢٨٠

٣٢: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ﴾، ١٢٠، ١٢٣

٦٠: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾، ٣٩

٦١: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾، ١٠٤ ، ١٠٦

٦٥: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ﴾، ٨٨

٧٧: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ ﴾، ٣٩٢

٧٨: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾، ١٦٢، ٣٣٦

٩٦: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾، ١٠٤، ١٠٦

١١١: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ﴾، ١٧٤

الإسراء

٧: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا ﴾، ٢٦

١٣: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾، ٣٣٥، ٣٤٢ ـ ٣٤٤، ٣٥٨

١٤: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٥٨، ٣٧٩، ٣٩١

٢٠: ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾، ٢٢٤، ٣٠٩

٢١: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴾، ٢٥٣

٣٦: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾، ٣٦١

٤٥: ﴿جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴾، ١٤٤

٧٢: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾، ٣٨، ٣١٠، ٣٧١

٧٧: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴾، ١٠١

٨٤: ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾، ١٩٩، ٣١٤، ٣٦٩

٨٥: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾،

١٦٤، ١٦٥، ١٦٦

٩٧: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾، ٣٧١

٩٨: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾، ٢٦٣، ٣٧١

٩٩: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، ٢٦٣

الكهف

٢١: ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾، ٢٣٥

٢٩: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، ١٠١

٤٩: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، ٣٤٥، ٣٤٧

٧٩: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، ١٨٣

٩٩: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا﴾، ١٩١، ٢٢٩

١٠٤: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، ٣٦٩

١٠٥: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾، ٣٨٤، ٣٩٧، ٤١٣

١١٠: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾، ٣٤

مريم

١٥: ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، ١١٦، ١٣٨، ١٣٩

٢٣: ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا﴾، ٨٦

٣٣: ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾، ١١٦، ١٣٨، ١٣٩

٥٧: ﴿وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ١٦٩

٨٥: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾، ٣١٣

طه

٥: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، ٣٣٦

٧: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾، ٣٨٩

٥٠: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، ٥٣، ٢٢٢، ٣١٩

١٠٢: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، ٢٢٩، ٣١٣

١٠٥-١٠٧: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾، ٢٨٨

١٢٤: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ...﴾، ٢٧٧، ٣١٣

١٢٥- ١٢٦: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾، ٣١١، ٣٥٤

الأنبياء

١: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾، ٣٨٣، ٣٩١

١٦-١٧: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، ٤٩، ٥٠

٣٤: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾، ٩٤

٣٥: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، ١١٧

٤٧: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾، ٣٨٤، ٣٨٥، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٤

٩٨: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، ٣١٣

١٠٤: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾، ١٢٦، ٢٧٧، ٢٨٨، ٣٠٢

الحجّ

٦: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ٤٨
٧: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾، ٤٨، ٢٣٤
٤٦: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾، ٣٨، ٣١١، ٣٥٣
٤٧: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، ٣٠٥
٧٥: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾، ١٢٠
١٩٦: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، ٤٠١
٧٨: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، ٣٨٥

المؤمنون

١٢-١٤: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ... ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، ٦٤، ٦٥، ٨٢، ٩٣، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٤، ٢٢١، ٢٥٣، ٣٧١
٧٤: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾، ٣٣٠
٩٩-١٠٠: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ١٨٣، ١٩١ ـ ١٩٢
١٠١: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، ١٩٢، ٢٢٩، ٣٠٠
١١٥: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، ٢١، ٤٤، ٤٦، ١٨٦، ٢٢٢

النور

٢٥: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾، ٦٣، ١١٥
٣٩: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾، ٥٤، ٣٨٣

الفرقان

٢: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، ٤٤
٣: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾، ١٢٢
١٦: ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾، ٢٩
٢٣: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾، ٣٩٧، ٣٩٨
٢٤: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، ٣٦٣
٤٣: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾، ١٧٧
٤٤: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، ٢٢٤
٧٠: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾، ٣٩٨

الشعراء

١٩٣ – ١٩٤: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، ١٦٥

النمل

٤: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾، ٣٨
١٤: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، ٣٢، ٣٣
٨٠: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، ٨٦
٨٧: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤١
٨٩: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾، ١٥

القصص

٥٠: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ١٧٧
٨٨: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، ٨٠

العنكبوت

١٣: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾، ١٩٧

٤٣: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾، ١١٦

٥٤: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾، ٣٥٤

٥٧: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾، ٧٩، ١٠١

٦٩: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾، ١٧٠، ٣٢٦، ٣٢٧

الروم

٦: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، ٧٩

٧: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾، ٢٨٦

٢٧: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾، ٧١

٣٠: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾، ٣٣٦، ٣٧١

٥٠: ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾، ٨٦، ٨٨

لقمان

١٥: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾، ٣٢٧

السجدة

٥: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾، ١٨٧، ٢٩٤، ٣٠٣

٧: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾، ٤٤

٩: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾، ٦٤، ١٦٤

١٠: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾، ١٥٠، ١٦٢، ٢٦٤

١١: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، ١١٩، ١٢٢، ١٥١، ١٦٣، ٢٦٤

١٢: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾، ٣١١

١٨: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾، ٦٩

الأحزاب

٥١: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾، ٣٨٩

٥٤: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾، ٣٨٩

٦٢: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، ٧٧

فاطر

١٠: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، ٣٥، ١٥٩، ١٦٩، ١٨٧

١١: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾، ١٠٥

٤٣: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾، ٧٧، ١٠٠، ١٩٥

٩٦: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ١٠٦

يس

١٢: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾، ٣٥٩

٣٣: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾، ٨٩

٤٩: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾، ٢٣٢

٥١ ـ ٥٣: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ... فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، ١٩١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٥١

٦٥: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، ٣٥٩، ٣٦٠

٧٨-٧٩: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦

٨١: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، ٢٦٣

٨٢: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، ١٦٥

٨٣: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾، ١٦٥، ١٦٨

٧٨-٧٩: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾، ٢٥١

الصافّات

٢٢-٢٣: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾، ٣١٣

٢٤: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾، ٢٩٧

١٥٤: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾، ٧٠

ص

١٥: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾، ٢٣٢

٢٦: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾، ٣٦

٢٧: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾، ٤٤، ٤٦

٢٨: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾، ٧٠

٧٢: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٥

الزمر

١٥: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾، ١٥

٣٠: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، ٧٩، ٩٤، ١٠٩، ٢٤١

٤٢: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، ١١٩، ١٢٠، ١٥١، ١٧٤

٦٨: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، ٨٠، ١٩١، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤١

٧٥: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾، ٣٠١

غافر

١١: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾، ٨٤، ١٩٠، ١٩٤، ٢٣٧

٤٥-٤٦: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، ١٩٢

٥٩: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ٢٣٤

٧١-٧٢: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾، ٣١٣

فصّلت

١٩: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، ٣١٣

٢٠-٢١: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ٣٦١، ٣٦٢

٤٦: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، ٦٩، ١٠١، ٤٠١

٤٧: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، ٢٣٤

الشورى

٥٢: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ...وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ١٦٥، ٣٢٣

٥٣: ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، ٣٢٣

الزخرف

٣: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾، ٣٣٩

٤: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾، ٣٣٧، ٣٣٩

٨٥: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ٢٣٤

الدخان

٣٨-٤٠: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، ٤٧

٤٣-٤٤: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾، ٣٧٤

الجاثية

٢١: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾، ٧٠

٢٣: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، ٣٣

٢٩: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، ٣٤٤

الأحقاف

١٨: ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾، ١٧٥

٣٣: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ٢٦٥

محمد

١٥: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾، ٣٧٣

١٨: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾، ٢٣٤، ٢٣٥

٢٥: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ﴾، ٣٣

٣٢: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ ﴾، ٣٣

الفتح

١٠: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾، ٣٣٧

ق

١٩: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾، ١١٧، ٢٨٩

٢٠-٢١: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ * وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾، ٢٨٩

٢٢: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾، ٢٨٦، ٢٨٩، ٣٤٤، ٣٥٧، ٣٩٣

٣٥: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾، ٢٩

٤٢: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾، ٢٤٠

الذاريات

٥٦: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، ٤٨، ٥١، ١٧٥

النجم

٨-٩: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾، ٢٢٣

٢٩-٣٠: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾، ٣٦، ٢٨٦

٣٩ ـ ٤١: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾، ٢٩، ٧٢، ١٩٥، ٢٠٠، ٣٥٧ ـ ٣٥٩

القمر

٨: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾، ٣٨٠
٥٠: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾، ١٦٥
٧٦: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾، ٢٣٥

الرحمن

٧: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾، ٤٠٣
١٩ ـ ٢٠: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾، ١٨١، ١٨٢
٢٧: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، ٣٣٦
٣١: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾، ٣٨٣
٣٦: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، ٩٤
٤٣-٤٤: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ* يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾، ٢٨٩

الواقعة

٦٠: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، ٩٦ ـ ٩٩
٦١: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ٤٧، ١١٥، ١٣٩، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٧٣، ٣٠٢
٧٧-٧٨: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾، ٣٣٧
٨٨: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، ٣٦٧
٨٩: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، ١٥٨، ٣٦٧

الحديد

٤: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، ١٧٠
١١: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، ١٥
١٢: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾، ٣٠٩

١٣: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٣١، ٣٤٨

٢٥: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾، ٦٠، ٣٧١، ٤٠٣

المجادلة

٢٢: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، ١٦٥

الحشر

١٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، ٣٧٥

١٩: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، ٣١، ٣٧٥

الجمعة

٥: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، ٢٢٤

التغابن

١٧: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، ١٥

الطلاق

٢: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾، ٣١٠

٣: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾، ٥٤، ٩٩

٨-٩: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾، ٣٨٤

التحريم

٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ... يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، ٣٣٠

الملك

٢: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾، ٨٦، ٨٨

القلم

٣٥: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾، ٧٠

الحاقة

١٩ ـ ٢٠: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾، ٣٤٨

٢٥-٣٧: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ... لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾، ٣٤٨

المعارج

١-٣: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ * مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾، ٣٠٠

٤: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، ٢٩٤، ٣٠٠ ـ ٣٠٦

نوح

١٠-١١: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، ١٠٦

١٤: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، ٢٥٣

المدثر

٨-١٠: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، ٢٣٢

القيامة

١-٢: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، ١٧٧

٣: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾، ٢٥١، ٢٥٤

٢٦-٢٩: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ * وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾، ١٤٦

الإنسان

٣: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، ٢٧٧، ٣٧١

٥: ﴿ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، ٦٥

١٧: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾، ٦٥

٣٠: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، ١٢٠

النبأ

١٨: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، ٣٠٧، ٣٧٢

٢٦: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾، ٧٤

٣٨: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾، ٣٠١

٣٩: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾، ٦٣

النازعات

٥: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾، ٣٠٠

التكوير

٥: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، ٤٧، ٣١٤

١٠: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، ٣٤٤

٢١: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾، ٢٢١

الانفطار

٧-١٠: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ* وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ* كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ* وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، ٣٤٨

١٣-١٤: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، ١٣٠

المطفّفين

٦: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ٢٩٣

١٤: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، ٣٥٤، ٣٥٧

١٨-٢١: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، ٣٤٥، ٣٤٧

الانشقاق

٦: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾، ٣٥، ١٨٧، ٢٢٠، ٣١٩

٧-٩: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، ٣٢٠، ٣٤٨، ٣٨٤، ٣٩٨

١٠-١٢: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾، ٣٢٠، ٣٤٨

١٤: ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾، ٣٤٨

الطارق

٩: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، ٢٠٢

الغاشية

٢٥-٢٦: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾، ٣٨٥

الفجر

١٤: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، ٢٩٦، ٢٩٧

٢٣: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، ٢٩٥

٢٧-٣٠: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، ١٧٨

البلد

١١-١٣: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، ٢٩٨

الشمس

٧-٨: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، ٣٧١

التين

٤-٥: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، ١٨٧

العلق

٨: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾، ١٨٦

البينة

٦-٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، ٦٨

الزلزلة

٦: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾، ٣٥٧، ٣٩١

٧-٨: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، ٢٩، ٢٠٨، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٥٧

القارعة

٦-١١: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾، ٤٠٧

التكاثر

٥-٦: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، ٢٠٨، ٣٥٤

الهمزة

٦-٧: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، ٣٦٨

العصر

٣: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ١١

فهرس الأحاديث

١. الله سبحانه مبتدئ الحكم بين العباد، فيما تسافكوا في الدِّماء يوم القيامة، ٧٢
٢. أبيتُ عند ربّي يُطعمني ويُسقيني، ١٧١
٣. أتاني جبرئيل فقال: أبشّرك يا محمّد بما تجوز على الصراط؟، ٣٢٤
٤. اتّقوا الله معاشر الشيعة، فإنّ الجنّة لن تفوتكم وإن أبطأت بها عنكم، ٣٧٠
٥. أتراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم؟ لا والله خافوا الاستقصاء، ٣٩٥
٦. أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذه فأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر، فصوّت بصاحبه فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل، ٢٥٦
٧. أثبتكم قدماً على الصراط أشدّكم حبّاً لأهل بيتي، ٣٢٥
٨. اجتمعت عليهم سكرات الموت وحسرات الفوت ففترت لها أطرافهم، ١١٨
٩. أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله غيره إذا برَّز الخلائق وجمع الأوّلين والآخرين أتى بجهنّم تُقاد بألف زمام يقودها مائة ألف، ٢٩٥
١٠. إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً، ٢٥٦
١١. إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، ٢٠٩
١٢. إذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الناس في حُفرهم.. جرداً فرداً في صعيد واحد، يسوقُهم النور وتجمعهم الظلمة، ٣٨٠
١٣. إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من أهل الجنّة، ٣٩٦
١٤. إذا ما هي في حواصل طير، فأين هي؟ قال: في روضة كهيئة الأجساد، ٢١٨
١٥. إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّ صور، فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهاً وأبهاهنّ هيئةً وأطيبهنّ ريحاً وأنظفهنّ صورةً، ٢١٠، ٣٧٤
١٦. إذا وُضع الميّت في قبره، مثل له شخص فقال له: يا هذا كنّا ثلاثة: كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، ٣٦٣

١٧. أرأيت لو أخذت لبنة فكسرتها وصيّرتها تراباً، ثمّ ضربتها في القالب أهي التي كانت، إنّما هي تلك، وحدث تغيير آخر والأصل واحد، ٢٦٨
١٨. أرأيت لو أنّ رجلاً عمد إلى لبنة فكسرها، ثمّ صبّ عليها الماء وجبلها، ثمّ ردّها إلى هيئتها الأولى، ألم تكن هي هي، وهي غيرها؟، ٢٦٧
١٩. استنزِهوا من البول فإنّ عامّة عذاب القبر منه، ١٩٤
٢٠. أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه، ١٧٠
٢١. أعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائركم عيونه وخلواتكم عيانه، ٣٩٠
٢٢. اعلموا عباد الله أنّ أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين، وإنّما يُحشرون إلى جهنّم زمراً،، ٤١٤
٢٣. أعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في مؤجّلهم، ٣٥٧
٢٤. أقعد رجلٌ من الأخيار في قبره، فقيل له: إنّا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله، فقال: لا أطيقها، فلم يزالوا به حتّى انتهوا إلى جلدة، ٢٠١
٢٥. ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنّ في القيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مثل ألف سنة ممّا تعدّون، ٢٩٤
٢٦. أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله، ١٦
٢٧. أمّا النفخة الأولى فإنّ الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدُّنيا ومعه صور، ٢٣٢
٢٨. أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها. فمن كان له عمل صالح، ولم يظهر منه عداوة، ١٩
٢٩. أمّا واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأمّا ثانيها فعليها الصلاة، وأمّا الثالثة فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلّفون الممرّ عليها، ٢٩٦
٣٠. إن قُبلت قُبِلَ ما سواها، وإن ردّت ردّ ما سواها، ٢١
٣١. أنا الحكم العدل الذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي، ٣٨٣
٣٢. أنا الصراط الممدود بين الجنّة والنار، وأنا الميزان، ٣٢٤

٣٣. أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، ٣٢٦
٣٤. إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنُيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله، ٣٦٢
٣٥. إنّ أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة، ١٩٤
٣٦. إنّ أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنّة يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربّنا أقم لنا الساعة، ٢١٧
٣٧. إنّ الأحلام لم تكن في ما مضى في أوّل الخلق، وإنّما حدثت، ٢١٦
٣٨. إنّ الأعمال ليست أجساماً وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء مَن جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلَها وخفّتها، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء، ٤١٢
٣٩. إنّ الأعمال ليست بأجسام، وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، ٤٠٣
٤٠. إنّ الجنّة حفَّت بالمكاره، وإنّ النار حفَّت بالشهوات، ٣٥٥
٤١. أنّ الجنّة قيعان وغراسها سبحان الله، ٣٤٤
٤٢. إنّ الجنّة لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنّة، ٣٦٧
٤٣. إنّ الذى أنشأه من غير شيء وصوره على غير مثال كان سبق إليه، قادر، ٢٦٦
٤٤. إنّ الراحل إليك قريب المسافة إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك، ٣٥٧
٤٥. إنّ رسول الله قد دخل الجنّة ورأى النّار لمّا عرج به إلى السماء، ٢٨٩
٤٦. إنّ الروح مقيمة في مكانها: روح المحسنين في ضياء وفسحة، وروح المسيئين في ضيق وظلمة. والبدن يصير تراباً كما منه خُلق، ٢٦٦
٤٧. إنّ الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر المارّين عليه فيكون دقيقاً في حقّ بعض، وجليلاً في حقّ آخرين، وإنّهم يعطون نورهم على قدر، ٣٣١
٤٨. إنّ الصلاة ميزان فمَن وفى استوفى، ٤٠٥

٤٩. إنّ العبد المؤمن إذا دُفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، قد كنت ممّن أحبّ أن تمشي على ظهري، ٢١١

٥٠. إنّ العبد لينوي من نهاره أن يصلّي بالليل فتغلبه عينه فينام، فيثبت الله له صلاته، ويكتب نَفَسَه تسبيحاً، ١٩٨

٥١. إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، ٢١١

٥٢. إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل،، ٦٦، ٢٢٣

٥٣. إنّ الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم، لطف به خبراً، وأحاط به علماً، ٣٩٠

٥٤. إنّ الله سبحانه وتعالى لم يرتضِ هذه الدُّنيا لا ثواباً لأوليائه، ولا عقاباً لأعدائه، ٧٣

٥٥. إنّ الله عزّ ذكره أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم وإن بُليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان، ٢١٦

٥٦. إنّ الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله، ٢١٦

٥٧. إنّ الله عزّ وجلّ نعى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله نفسه،٢٤١

٥٨. إنّ الله يحشر الناس على نيّاتهم يوم القيامة، ١٩٨

٥٩. إنّ المؤمن إذا أُخرج من بيته شيّعته الملائكة إلى قبره، يزدحمون عليه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: مرحباً بك وأهلاً، ٢٠٩، ٣٦٥

٦٠. إنّ المؤمن إذا حضرته الوفاة حضر رسول الله وأهل بيته: عليّ وفاطمة والحسن والحسين وجميع الأئمّة ـ ولكن أكنّوا باسم فاطمة، ١٤٠

٦١. إنّ المؤمن يزور أهله فيرى ما يحبّ ويستر عنه ما يكره، وإنّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحبّ، ٢٠٥

٦٢. إنّ المؤمن يُعطى يوم القيامة كتاباً منشوراً فيه كتابٌ من الله العزيز الحكيم: أدخلوا فلاناً الجنّة، ٣٤٨
٦٣. إنّ المتكبّرين يجعلون في صور الذرّ يتوطّؤهم الناس حتّى يفرغ الله من الحساب، ٣١٢، ٣١٥
٦٤. إنّ المرء ليصِل رحمه وما بقي من عمره إلاّ ثلاث سنين فيمدّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإنّ المرء ليقطع رحمه، ١٠٣
٦٥. إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمّه فيرى الدُّنيا؛ ويوم يموت فيعاين، ١١٦
٦٦. إنّهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدّة حتّى يلجمهم العرق، ٢٩٤
٦٧. إنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، ٢٤٩
٦٨. إنّ بين الدُّنيا والآخرة ألف عقبة، أهونها وأيسرها الموت، ١٢٤
٦٩. إنّ تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض، ٢٦٦
٧٠. إنّ ذلك الكتاب كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت، فمن ذلك الذي يردّ الدعاء القضاء، ١٠٣
٧١. إنّ ذلك هو العَرض، فإنّ من نوقِش في الحساب عُذِّب، ٣٤٨
٧٢. إنّ سعداً قد أصابته ضمّة في القبر، ٢٠١
٧٣. إنّ في الجنّة طيوراً كالبخاتي، عليها من أنواع المواشي، تصير ما بين سماء الجنّة وأرضها، فإذا تمنّى مؤمن محبّ للنبيّ وآله، ٢٨٠
٧٤. إنّ في القيامة خمسين موقفاً لكلّ موقف ألف سنة، ٢٩٤
٧٥. إنّ في القيامة لخمسين موقفاً كلّ موقف ألف سنة، فأوّل موقف خرج من قبره حبسوا ألف سنة عُراة حفاة جياعاً عطاشاً، ٣٠٧
٧٦. إنّ للجسم ستّة أحوال: الصحّة والمرض، والموت، والحياة، والنوم، واليقظة، وكذلك الروح فحياتها علمها، ١٧٢

٧٧. إنّ للجنّة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، ١٩
٧٨. إنّ للقبر كلاماً في كلّ يوم يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدور، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار، ٢٠٩
٧٩. إنّ للموت لغمرات هي أفظع من أن يستغرق بصفة، ١٢٤
٨٠. إنّ لله علمين: علمٌ مكنون مخزون لا يعلمه إلاّ هو، من ذلك يكون البداء، ١٠٨
٨١. إنّ مرورهم على الصراط على قدرِ نورهم، ٣٣١
٨٢. إنّما الأعمال بالنيّات، ١٩٨
٨٣. إنّما خلد أهل النار في النار، لأنّ نيّاتهم كانت في الدُّنيا: أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، ١٩٩
٨٤. إنّما صار الإنسان يأكل ويشرب بالنار، ويبصر ويعمل بالنور، ويسمع ويشمّ بالريح، ويجد الطعام والشراب بالماء، ويتحرّك بالروح، ٢١٣
٨٥. إنّما يداقّ الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدُّنيا، ٣٩٥
٨٦. إنّه يسلّط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنّيناً فينهشن لحمه، ٢١١
٨٧. إنّه يموت أهل الأرض حتّى لا يبقى أحد، ثمّ يموت أهل السماء حتّى لا يبقى أحد إلاّ ملك الموت، ٢٤١
٨٨. إنّهم أسمع منكم، ١٩٠
٨٩. أهل الجنّة جرد مرد، ٢٥٧
٩٠. أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم ولد ويخرج من بطن أُمّه فيرى الدُّنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ١٣٨
٩١. أيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال عليه السلام: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور، ٢٣٩

٩٢. الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التامّ المنتهي تمامه، ومنه الناقص، ١٢
٩٣. الإيمان عمل كلّه والقول بعض ذلك العمل، ١٢
٩٤. أيّ شيء يلحق الرجل بعد موته؟ قال: يلحقه الحجّ عنه، والصدقة، ٢٢٦
٩٥. أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسودّاً وجهه، ٣١٢
٩٦. أيّها الناس إنّا خُلِقنا وإيّاكم للبقاء لا للفناء، لكنّكم من دار إلى دار تنتقلون، ٨٧
٩٧. بالنيّات خلد أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النار في النار، ١٩٨
٩٨. برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه، ٤١٤
٩٩. تتنزّل فيها الملائكة والكتبة إلى سماء الدُّنيا، فيكتبون ما هو كائن في أمر السنّة وما يصيب العباد فيها، ١٠٨
١٠٠. تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه، ومنهم من يبلغ نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ٢٩٣
١٠١. حاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا وزِنوها قبل أن توزنوا، ٣٨٨، ٣٩٨
١٠٢. حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن، أهوالهنّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، ٢٠٩
١٠٣. الحَكَم الله، والمعود إليه يوم القيامة، ٧٢
١٠٤. الحمد لله يملأ الميزان، ٤٠٤
١٠٥. ختم الله على الأفواه فلا تكلّم وتكلّمت الأيدي وشهدت الأرجل ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثاً، ٣٦٢
١٠٦. خلق الله الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، ١٧١
١٠٧. خير ما يلحقه الرجل بعده ثلاثة: ولدٌ بارٌّ يستغفر له، وسنّة خير يُقتدى به فيها، وصدقة تجري من بعده، ٢٢٦

١٠٨.دخلت الجنّة فرأيت فيها قصراً من ياقوت أحمر يُرى داخله من خارجه وخارجه من داخله؛ من نوره، ٣٧٣
١٠٩.الدُّنيا مزرعة الآخرة، ٢٢٤، ٢٧٦
١١٠.ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضى الرحمن الطاعة للإمام، ١٦
١١١.ذلك أربعمائة سنة يسبت فيها الخلق، ٢٤٠
١١٢.ذلك يومٌ يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال خضوعاً قياماً، وقد ألجمهم العرق، ٢٩٣
١١٣.ذلك يوم يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال»، ٧٢
١١٤.الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشيهم على وجوههم، ٣١٤
١١٥.رجب نهرٌ في الجنّة أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، من صام، ٢٨٢
١١٦.سُئل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرتهم، ٣٩٢
١١٧.سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من ذلك، إذا كان ذلك أتاه رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة الله، ٢١٦
١١٨.ستّ خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولدٌ صالح يستغفر له، ومصحفٌ يُقرأ فيه، ٢٢٦
١١٩.سوء الحساب، لا يقبل حسناتهم ويؤاخذون بسيّئاتهم، ٣٩٤
١٢٠.صبراً بني الكرام، فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم من البؤس والضرّاء، ٨٧
١٢١.صدق عبدي افرشوا له في قبره من الجنّة وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنّة، وألبسوه من ثياب الجنّة حتّى يأتينا وما عندنا خيرٌ له، ٣٦٥
١٢٢.الصراط أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف وأظلم من الليل، ٣٣٠
١٢٣.الصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف، عليها ثلاث قناطر، ٢٩٥
١٢٤.الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام، ٣٢٤

١٢٥.الصراط المستقيم صراطان: صراطٌ في الدُّنيا، وصراطٌ في الآخرة، ٣٢٥
١٢٦.ضربة عليّ يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين، ٤١٤
١٢٧.ضرس الكافر مثل جبل أحد، ٢٥٧
١٢٨.العدل، فما معناه في كتابه تعالى؟ قال عليه السلام: فمَن رجح عمله، ٤١٢
١٢٩.العلم علمان: فعلمٌ عند الله مخزون لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله، ١٠٧
١٣٠.على الخبير سقطتم، وهو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: إمّا بشارة بنعيم الأبد، وإمّا بشارة بعذاب الأبد، وإمّا تحزين وتهويل، ١٣٠
١٣١.عليكم بتلاوة القرآن فإنّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يُقال لقارئ القرآن: إقرأ وارق، فكلّما قرأ آية رقى درجة، ٢٨٠
١٣٢.فإذا أُدخل قبره أتاه ملكا القبر يجرّان أشعارهما ويخدّان الأرض، ٣٦٣
١٣٣.فإذا اشتقت إلى الجنّة شممتُ رائحة فاطمة، ٣٦٨
١٣٤.فإذا فرّق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت، ٢١٣
١٣٥.فأمّا وليّنا المطيع لأمرنا فهو المبشَّر بنعيم الأبد، وأمّا عدوّنا المخالف علينا فهو المبشَّر بعذاب الأبد، ١٣٠
١٣٦.فإنّما يعني الحساب توزن الحسنات والسيّئات، فالحسنات ثقل الميزان، ٤١٣
١٣٧.فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، ٢٣٩
١٣٨.فما خلق الله عزّ وجلّ عبداً من عباده ملكاً ولا نبيّاً إلاّ ينادي: ربِّ نفسي نفسي، وأنت يا نبيّ الله تُنادي: أُمّتي أُمّتي، ٢٩٥
١٣٩.فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ١٢٣
١٤٠.فمن منكم يخرج إليهم قبل أن ينظر في ديارنا وحريمنا لعلّ الله أن يفتح على يديه وأَضمن له على الله اثني عشر قصراً في الجنّة، ٢٨١
١٤١.فهو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، ١٢٠

١٤٢.فيشرف الجبّار عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي فيهم: يا معشر الخلائق أنصتوا واستمعوا منادي الجبّار، ٣٨٠
١٤٣.فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مُت؛ فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ٢٣٣
١٤٤.قال النبيّ لعليّ عليهما السلام: ما ثبت حبّك في قلب امرئ مؤمن فزلّت به قدم على الصراط إلاّ ثبتت له قدمٌ حتّى أدخله الله بحبّك الجنّة، ٣٢٥
١٤٥.قال لها: كوني فكانت...، ٢٨١
١٤٦.القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران، ١٩٤، ٢١٠
١٤٧.قسّم أرزاقهم وأحصى آثارهم وأعمالهم وعَدَد أنفسهم وخائنة أعينهم وما تُخفي صدورهم من الضمير،، ٣٩٠
١٤٨.قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن، ١٧١
١٤٩.قلب المؤمن عرش الرحمن، ١٧١
١٥٠.كلٌّ ميسّر لِما خُلق له، ٢٢٢
١٥١.كلّ وعاء يضيق بما جُعل فيه إلاّ وعاء العلم فإنّه يتّسع، ١٧٢
١٥٢.لا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء، ولا سوافي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ٣٨٩
١٥٣.لسكرة من سكرات الموت أشدُّ من ثلاثمئة ضربة بالسيف، ١٢٤
١٥٤.للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاع ولذع العقارب أو أشدّ.، ١٢٤
١٥٥.اللّهُمَّ أرني الأشياء كما هي، ٥٧
١٥٦.اللّهُمَّ عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، ٤٠١
١٥٧.اللّهُمَّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهُمَّ عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، ٣٢٤

١٥٨.لم يلق ابن آدم شيئاً منذ خَلَقه الله أشدّ عليه من الموت، ثمّ إنّ الموت أهون ممّا بعده، ٢٩٤
١٥٩.لمّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فرأيت فيها قيعان ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضّة وربما أمسكوا، ٣٧٣
١٦٠.لمّا أُسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل عليه السلام: قد أمرت الجنّة والنار أن تعرض عليك، قال: فرأيت الجنّة وما فيها من النعيم، ٢٩٠
١٦١.لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة فناولني من رطبها فأكلته فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، ٢٨٩
١٦٢.لن يخرج أحدكم من الدنُّيا حتّى يعلم أين مصيره وحتّى يرى مقعده من الجنّة والنار، ١٢٨
١٦٣.لو أحبّ أحدكم حجراً لحُشر معه، ٣١٣
١٦٤.لو دنوت أُنملة لاحترقت، ٦٧، ٢٢٣
١٦٥.لو كُشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون، ٢١٨
١٦٦.لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه مَلَكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل، ٦٦، ١٧٠
١٦٧.ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلاّ رأى رسول الله، ١٣٧
١٦٨.ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث خصال: صدقةٌ أجراها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة، ٢٢٦
١٦٩.ليقفوا على ما فعلوا، ٣٩١
١٧٠.المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم، ٢١٧
١٧١.المؤمن يزور أهله؟ فقال: نعم يستأذن ربّه فيأذَن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير، ٢٠٤
١٧٢.ما أولئك منّا ولا نحن منهم، مَن أنكر خلق الجنّة والنار فقد كذّب النبيّ صلى الله عليه وآله وكذّبنا وليس من ولايتنا على شيء، ٢٨٩

١٧٣.ما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته له، ١٢٤
١٧٤.ما خُلقتم للفناء، بل خُلقتم للبقاء، وإنّما تُنقلون من دار إلى دار، وإنّها في الأرض غريبة وفي الأبدان مسجونة، ٨٧، ٩٤
١٧٥.ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيّاً، ١٢٥
١٧٦.ما لا يقبل الله تعالى شيئاً إلاّ به، قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلاّ هو، أعلى درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظّاً، ١٢
١٧٧.ما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، ٢٠٢، ٢١٨
١٧٨.ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم، ٢١٦
١٧٩.ما يموت موالٍ لنا مبغض لأعدائنا إلاّ ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين، ١٤١
١٨٠.مخالف الإمام في الصلاة عمداً يحشر ورأسه رأس الحمار، ٢٥٧
١٨١.المرء مرهون بعمله، ٣٦٠
١٨٢.مرَّ عيسى بن مريم عليهما السلام بقبر يُعذَّب صاحبه، ثمّ مرَّ به من قابل فإذا هو ليس يُعذَّب، ١٩٥، ٢٢٥
١٨٣.مَن آثر الدُّنيا على الآخرة حشره الله يوم القيامة أعمى، ٣١٢
١٨٤.مَن أحبّني وجدني عند مماته بحيث يحبّ، ومَن أبغضني وجدني عند مماته بحيث يكره، ١٣٧
١٨٥.من الأمور أمور محتومة جائية لا محالة، ومن الأمور أمور موقوفة، ١٠٢
١٨٦.من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر منها ما يشاء، ١٠٧
١٨٧.مَن رضي عمل قوم حُشر معهم، ١٩٨

١٨٨.من سُئل عن علم فكتمه حيث يجب إظهاره وتزول عنه التقيّة جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار، ٣١٤

١٨٩.مَن سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومَن سنّ سنّةً سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٢٥

١٩٠.مَن صام ثلاثة أيّام من شعبان رفع له سبعون ألف درجة من الجنان من الدرّ والياقوت، ٢٨٢

١٩١.مَن صنع شيئاً للمفاخرة حشره الله يوم القيامة أسود، ٣١٢

١٩٢.مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه، ١٧٠

١٩٣.من قذر نفسه وواقع المحرّمات وظلم المؤمنين والمؤمنات وخالف ما رسم له من الشريعة، جاء يوم القيامة قذراً طفساً، ٣٧٠

١٩٤.مَن كتم الشهادة أو شهد بها ليهدر بها دم مسلم أو ليتوي، ٣١٠

١٩٥.من لقى المسلم بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار، ٣١٥

١٩٦.من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة، ٣٢٤

١٩٧.الموازين هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ٤١٢

١٩٨.الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفكّ قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب، ١٢٩

١٩٩.الموت، الموت، جاء الموت بما فيه، جاء بالروح والراحة والكرّة المباركة إلى جنّة عالية لأهل دار الخلود، ١٢٩

٢٠٠.موتوا قبل أن تموتوا، ٢٩٩

٢٠١.الميّت يزور أهله؟ قال: نعم. فقلت: في كم يزور؟ قال: في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته، ٢٠٤

٢٠٢.نيّة المؤمن خيرٌ من عمله، ونيّة الكافر شرٌّ من عمله، وكلٌّ يعمل، ١٩٨

٢٠٣.النيّة خالصة لربّ العالمين، فيعطي على النيّة ما لا يعطي على العمل، ١٩٨

٢٠٤.هب هذه الجلود عصت فعذّبت، فما ذنب الغير؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويحك هي هي، وهي غيرها، ٢٦٦
٢٠٥.هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً، ١٩٠
٢٠٦.هما أجلان: أجلٌ محتوم، وأجلٌ موقوف، ١٠٧
٢٠٧.والذي نفس محمّد بيده إنّه ليخفّف على المؤمن حتّى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا، ٣٠٧
٢٠٨.والذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتّى تأكل من ثمار الجنّة أو من شجرة الزقوم، ١٣٦
٢٠٩.والله لا يبغضني عبدٌ أبداً يموت على بغضي إلاّ رآني عند موته حيث يكره، ولا يحبّني عبدٌ أبداً فيموت على حبّي إلاّ رآني عند موته حيث يحبّ، ١٣٧
٢١٠.والله ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانيّة ولكن قلعته بقوّة ربّانيّة، ١٧٢
٢١١.والناس على الصراط فمتعلّق بيد، وتزول قدم، ويستمسك بقدم، والملائكة حولها ينادون: يا حليم إغفر، ٢٩٦
٢١٢.وحين ترى ملك الموت تراني وترى عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، ١٣٦
٢١٣.وطئت موطئاً لم يطأه أحدٌ قبلك لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، ٦٧
٢١٤.وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم، ٢٩٧
٢١٥.وكأنّ الصيحة قد أتتكم، والساعة قد غشيتكم، وبرزتم لفصل القضاء، قد زاحت عنكم الأباطيل، ٧٢
٢١٦.ولايتنا هي الجنّة، ٣٦٨
٢١٧.ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سُلّماً، أو لدفْع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان، ٩٥
٢١٨.ومنهم مَن يزور كلّ جمعة، ومنهم مَن يزور على قدر عمله، ٢٠٥
٢١٩.ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ١٧١

٢٢٠. ويلك ما كنتُ أعبدُ ربّاً لم أرَه، ١٧١
٢٢١. يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم، ٣٨٢
٢٢٢. يا حـار همدان من يمت يرني، ١٤١
٢٢٣. يا حبّة إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته، ٢٠١، ٢١٨
٢٢٤. يا سليمان إنّ من الأمور أموراً موقوفة عند الله تبارك وتعالى يقدِّم منها ما يشاء ويؤخِّر ما يشاء، ١٠٢
٢٢٥. يا عباد الله إنّ أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، ٢١١
٢٢٦. يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، ٢١١
٢٢٧. يا عليّ إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلاّ مَن كانت معه براءة لولايتك، ٣٢٥
٢٢٨. يا عليّ بناء هذه القصور لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، ملاطها المسك الأذفر والعنبر، حصباؤها الدرّ والياقوت، ترابها الزعفران، كثيبها الكافور، ٢٨١
٢٢٩. يا فلان ما لكَ ولأخيك، ٣٩٥
٢٣٠. يا قيس: إنّ مع العزّ ذلاًّ، ومع الحياة موتاً، ومع الدُّنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء رقيباً، ٣٤٣، ٣٦٠
٢٣١. يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه، وآخر في قدّامه يلتهبان ناراً حتّى يلهبا جسده، ٣١٥
٢٣٢. يحسب عليهم السيّئات، ويحسب لهم الحسنات وهو الاستقصاء، ٣٩٥
٢٣٣. يُحشر الناس على صور يحسن عندها القِردة والخنازير، ٣١٤
٢٣٤. يُحشر الناس على نيّاتهم، ٣١٤
٢٣٥. يُحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركباناً ومُشاةً على وجوههم.، ٣١٤

٢٣٦.يحشر عشرة أصناف من أُمّتي أشتاتاً، قد ميّزهم الله من المسلمين وبدّل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، ٣٧٢

٢٣٧.يزور المؤمن أهله؟ فقال: نعم. فقلت: في كم؟ قال: على قدر فضائلهم، منهم مَن يزور في كلّ يوم، ومنهم مَن يزور في كلّ يومين، ٢٠٤

٢٣٨.يطرح عن المسلم من سيّئاته بقدر ما له على الكافر، فيعذّب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمته، ٣٨٢

٢٣٩.يُنظر الرجل في كتابه فيجاوز عنه، ٣٩٨، ٢٢٤

٢٤٠.اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، ٢٧٦

فهرس المصادر

١. **الاحتجاج، ١٢٠، ١٢٣، ٢٣٩، ٤٠٣، ٤١٢**

للعلاّمة أبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م .

٢. **أجوبة المسائل السرويّة، ١٩٣، ١٩٤ (مطبوع ضمن عدّة رسائل للشيخ المفيد).**

٣. **الأربعون حديثاً، ١٧**

آية الله العظمى الإمام الخميني، تعريب : السيد محمد الغروي، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ.

٤. **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ٨٧**

الشيح المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٥. **أسرار الآيات، ٣٥، ٢٧٨، ٣٨٧**

صدر الدِّين محمد الشيرازي، تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، نشر الجمعية الإسلاميّة للحكمة والفلسفة في ايران، طهران ١٤٠٢هـ.

٦. **أصول التفسير والتأويل، ٣٣٨**

العلاّمة السيّد كمال الحيدري، دار فراقد، قم، ط٢، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٧. **الأصول من الكافي، ١٢، ١٧، ١٠٧، ١٣٧، ١٦٤، ١٧١، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٩٣، ٣١٢، ٣٢٤**

لثقة الإسلام أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، قم، ١٩٨٦م.

٨. **أعيان الشيعة، ٥٧**

الإمام السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت.

٩. **إقبال الأعمال، ٣٥٧**

السيد علي بن طاووس، الطبعة الحجريّة، دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

١٠. **الإلهيات من كتاب الشفاء، ٥٥**

الشيخ الرئيس ابن سينا، تحقيق: آية الله حسن زاده الآملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

١١. **الإلهيّات على هدى الكتاب والسنّة والعقل، ١٩٢**

الشيخ جعفر السبحاني، بقلم الشيخ حسن مكّي، دار الأميرة، ط٦، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٢. **أمالي الصدوق، ١٩٥، ٢٢٥، ٢٨٠، ٢٩٠، ٣١٣، ٣٩٦**

محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٠م.

١٣. **أمالي الطوسي، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٦٧، ٢٩٤**

محمّد بن الحسن أبو جعفر الطوسي (شيخ الطائفة)، تحقيق مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

١٤. **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٣٢**

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٥. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ١٢، ٢١، ٦٦، ٩٤، ١٠٢، ١٠٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥- ١٤٢، ١٤٥، ١٧٠، ١٧١، ١٩٠ - ١٩٤، ١٩٨، ٢٠١، ٢١٠، ٢١٢، ٢٣٦- ٢٣٩، ٢٤٦-٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٩٠، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٢-٣١٥، ٣٢٥، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٧٣، ٤١٤**

للشيخ محمّد باقر المجلسي، ، دار التعارف، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٦. **بحوث في علم النفس، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٢**

السيّد كمال الحيدري، بقلم عبدالله الأسد، دار فراقد، ط٤، قم، ٢٠٠٧م.

١٧. **البرهان في تفسير القرآن، ٢٦٧**

العلامة المحدّث السيد هاشم البحراني، حقّقه وعلّق عليه لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٨. **بصائر الدرجات في فضائل آل محمد ﷺ، ١٧١**

محمد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار، مؤسسة الأعلمي، طهران.

١٩. **التبيان، ٢٣١**

الشيخ الطوسي، تصحيح وتعليق: الشيخ أحمد قصير، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، قم، ١٤٠٩.

٢٠. **تجريد الاعتقاد، للمحقق الطوسي، ١٩٣**

٢١. **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي، ٢٦٨، ٣٠٥**

تأليف: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ

٢٢. **التربية الروحيّة، ١٧٨، ٣٥١**

العلاّمة السيّد كمال الحيدري، دار فراقد، قم، الطبعة الثامنة، ١٤٢٨هـ.

٢٣. **تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد، ٢١٠، ٢٩٦، ٣٦٥، ٣٧٥**

السيد عبدالله شبر، تحقيق: السيد أحمد الحسيني والشيخ رضا أستادي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٩٣ هـ.

٢٤. **تفسير الصافي، ٣٧٢**

للفيض الكاشاني، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٥. **تفسير العيّاشي، ١٨، ١٣٧، ٣٦٢، ٣٩٤، ٣٩٥**

للشيخ أبي النضر محمد بن مسعود العيّاشي، المتوفى سنة ٣٢٠ هـ تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤٢١ هـ.

٢٦. **تفسير الفرات، ١٤٠، ٢٨١، ٣٢٤**

٢٧. **تفسير القرآن الكريم، ٦٦، ٨١، ٤٠٤**

صدر الدِّين الشيرازي، تصحيح محمّد خواجوي، انتشارات بيدار، قم.

٢٨. **تفسير القمّي، ١٩، ١٤١، ٢٣٣، ٢٦٨، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٣٠**

أبو الحسن عليّ بن إبراهيم (من أعلام القرنين ٣ و ٤ هـ)، منشورات مكتبة الهدى، النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ.

٢٩. **التفسير الكبير، ١٠٥، ١٥٠، ١٩٠، ٤٠٦**

الإمام الفخر الرازي ط٢. طهران، عن منشورات محمّد علي بيضون، نشر كتب السنّة والجماعة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٠. **التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ٢٨٠، ٢٨١، ٣٢٥**

منشورات مدرسة الإمام الهادي عليه السلام، قم، ١٤٠٩هـ.

٣١. **التوحيد، بحوث تحليليّة في مراتبه ومعطياته، ١٠٩، ١٢٢، ١٨٧**

السيّد كمال الحيدري، بقلم جواد علي كسّار، دار فراقد، ط٦، إيران.

٣٢. **التوحيد، الصدوق، ٢٩٠، ٤١٢، ٤١٣**

محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، المكتبة الإسلاميّة، طهران، ١٣٩٨هـ.

٣٣. **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ٢٨٢، ٣١٢، ٣١٥**

الشيخ الصدوق، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م.

٣٤. **جامع السعادات، ٣٤٤، ٣٦٠**

للشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى محمّد مهدي النراقي، المتوفى ١٢٠٩هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الرابعة.

٣٥. **الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، ٢٣٠**

محمّد بن أحمد الأنصاري، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٦. **جوامع الجامع، ١١٧**

الطبرسي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٧. **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ٥٥، ٩٨، ١١٤، ١٦٧، ١٧٠، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٧٤، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٤٠، ٤٠٠**

صدر الدين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨. **الخصال، ١٩، ٢١٠، ٢٢٦**

للشيخ الجليل الأقدم الصدوق ، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط٤، ١٤١٤ هـ.

٣٩. **دائرة معارف القرن العشرين، ٢٥**

فريد وجدي، دار الفكر، بيروت.

٤٠. **درر الفوائد، ٢٥٤، ٢٦٠**

وهو تعليقة علي شرح المنظومة للسبزواري، تأليف: الحاج شيخ محمد تقي الآملي، مؤسسة دار التفسير للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٦ هـ.

٤١. **الراسخون في العلم، مدخل لدراسة ماهية علم المعصوم وحدوده ومنابع إلهامه، ٣٤٢**

من أبحاث العلامة السيد كمال الحيدري، بقلم: الشيخ خلق رزق، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٤٢. **الرسائل التوحيديّة، ١٢٣**

محمّد حسين الطباطبائي، بنياد علمي وفكري سيّد طباطبائي (المؤسسة العلمية والفكرية للسيد الطباطبائي)، قم، ١٩٨٦ م.

٤٣. **رسائل فلسفيّة، ٣٨٧**

رسالة الحشريّة، صدر الدِّين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٤٤. **رسالة اعتقادات الصدوق، ٨٧، ٢٩٧، ٣٢٥، ٣٨٥**

محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، طبعة المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.

٤٥. **رسالة في التحسين والتقبيح، ١٥١**

الشيخ جعفر السبحاني، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ١٤٢٠هـ.

٤٦. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٨٤، ١٧٧، ٢١٩، ٢٢٢**

أبو المعالي شهاب الدِّين محمود بن عبدالله البغدادي الآلوسي، دار الفكر، بيروت، وطبعة دار إحياء التراث العربي.

٤٧. **روضة الواعظين، ١٧٠، ٣٦٧**

الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم.

٤٨. **سرح العيون في شرح العيون، ١٧٢**

العلاّمة حسن حسن زاده آملي، إيران.

٤٩. **شرح أسماء الله الحسنى، ٤٤، ٢٥٩**

وهو الكتاب المسمّى لوامع البيّنات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، راجعه وقدّم له وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٦م.

٥٠. **شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، ١٠٦، ٢٩٨، ٣٢٦، ٣٨٥، ٤٠٦**

الشيخ المفيد، الإمام محمّد بن محمّد بن (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) النعمان، المطبوع مع أوائل المقالات في المذاهب المختارات للمفيد، طبعة قم.

٥١. **الشفاء، ٢٥١، ٢٥٢، ٤٠١**

الشيخ الرئيس ابن سينا، تحقيق: آية الله حسن زاده الآملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٥٢. **الشواهد الربوبيّة، ٣٢٢**

صدر الدِّين الشيرازي، تعليق جلال الدِّين أشتياني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.

٥٣. **علل الشرائع، ١٩٨، ٢٠١، ٢١٣، ٣٦٨**

الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.

٥٤. **علم اليقين في أصول الدِّين للمولى محسن الكاشاني، ١٢٤، ١٢٥، ١٨٣، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٨٨، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٩ دار البلاغة.**

٥٥. **عوالي اللآلي، ١٧١، ٢٢٤، ٢٧٦، ٤١٤**

ابن أبي جمهور الأحسائي، مطبعة سيد الشهداء، قم.

٥٦. **عيون أخبار الرضا، ١١٦، ١٣٩، ٢٩٠**

الشيخ الصدوق، تحقيق حسين الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٥٧. **الفردوس الأعلى، ٢٥٨، ٢٦٢**

سماحة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مع تعليقات السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، دار المحجّة البيضاء، ط١، ١٤٢٢هـ، بيروت، لبنان

٥٨. **الفصول المختارة، ١٩٦**

الشريف الرضي، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٩. **الكافي، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٣١٥، ٢٤٢، ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٨٢، ٣٩٥، ٤١٤**

محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، قم، ١٩٨٦م.

٦٠. **كتاب العرشيّة، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٢١، ٣٨٨، ٤٠٤**

صدر المتألّهين، تصحيح وتعليق: فاتن اللبون فولادكار، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦١. **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ١٧٢، ١٩٣**

العلاّمة الحلّي (ت: ٧٢٦هـ)، منشورات جماعة المدرّسين، قم.

٦٢. **لسان العرب، ٨٦، ١٨١، ١٨٢، ٢٠٢، ٢٣٤**

ابن منظور جمال الدِّين عبد الله بن يوسف الأفريقي، دار الفكر ودار صادر، بيروت، عن طبعة القاهرة، مطبعة الأميريّة، ١٣٠٠هـ.

٦٣. **المبدأ والمعاد، ٦٥، ٢٦٩**

صدر الدِّين الشيرازي، مقدّمة وتصحيح: جلال الدِّين أشتياني، الجمعية الملكية للفلسفة في ايران.

٦٤. **مجمع البيان في تفسير القرآن، ١١٧- ١٢٠، ١٨٩، ١٩١، ٢٣٠، ٢٤١، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٤٢، ٣٩٣، ٤٠٥، ٤٠٩**

أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت.

٦٥. **المحاسن، ١٣٧، ١٩٨، ٢١٠، ٢٢٦، ٣٧٤**

أحمد بن أبي عبدالله البرقي، الصفوة، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

٦٦. **المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، ٨٥، ١٢٨**

المولى محسن الكاشاني، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٦٧. **المحيط الأعظم والبحر الخضمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، ١٨٢، ٢٨٧**

حيدر الآملي، تحقيق محسن الموسوي، منشورات المعهد الثقافي نور على نور، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٦٨. **مدينة المعاجز، ٦٧**

السيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

٦٩. **مستدرك سفينة البحار، ٦٧**

الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت:١٤٠٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين، بقم المشرّفة.

٧٠. **المستدرك على الصحيحين في الحديث، ٣٣١**

للحاكم النيسابوري، دار الفكر.

٧١. **المظاهر الإلهيّة، ٢٨٧، ٣٢٢**

صدر المتألّهين، تحقيق: جلال الدِّين أشتياني، مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية بقم، إيران.

٧٢. **المعاد في الكتاب والسنّة، ١٣٥**

محمّدي گيلاني.

٧٣. **معاني الأخبار، ٨٧، ١٢٩، ١٣٠، ٣٢٤**

الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرّسين، قم، ١٣٧٩هـ.

٧٤. **معجم مقاييس اللغة، ٨٦، ١٨١**

لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.

٧٥. **المفردات في غريب القرآن، ٨٨**

أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، ومكتب نشر الكتاب، قم، مصوّر عن طبعة القاهرة، ١٩٤٥ م.

٧٦. **مفاتيح الغيب، ٣٤**

صدر الدِّين الشيرازي، تصحيح وتقديم أحمد خواجوي، مؤسّسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي (الدراسات والبحوث الثقافية)، إيران.

٧٧. **من لا يحضره الفقيه، ٣١٠**

محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، تحقيق الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٧٨. **مناقب آل أبي طالب، ٢٢٣**

ابن شهراشوب (ت: ٥٨٨هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٧٩. **ميزان الحكمة، ١٧٠**

محمد الريشهري، قم، دار الحديث، ١٩٩٦م.

٨٠. **الميزان في تفسير القرآن، ١٤، ١٨، ٣٤-٤٠، ٥٠، ٦١، ٨٠، ٨٤، ٩٧، ١٠٧، ١٦٤- ١٦٩، ١٧٥- ١٧٨، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٢، ٢٣١، ٢٦٥، ٢٧٤، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٤١، ٣٥٧- ٣٥٩، ٣٦٢، ٤١١**

محمّد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم، مصوّر عن طبعة مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٣م.

٨١. **نصوص الحكم في شرح فصوص الحكم، ٥٥**

آية الله حسن زاده الآملي

٨٢. **نهج البلاغة، ٥٢، ٦٢، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٩٥، ١١٨، ١٧٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٤٩، ٢٩٣، ٣٥٥، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٢**

ما اختاره الشريف الرضي (ت: ٤٠٤ هـ) من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة الدكتور صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٨٣. **الهداية الأثيرية، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٥**

صدر الدين الشيرازي، الطبعة الحجرية.

٨٤. **وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، ٣٢٤**

للفقيه المحدّث الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم

فهرس الموضوعات

مقدّمة.. ٥

بحوث تمهيديّة

أقسام المعارف الدينيّة.. ١١
تطبيق قرآنيّ.. ١٣
تطبيق قرآني آخر.. ١٥
الإيمان بالولاية وأثرها في قبول الأعمال..................................... ١٦
موقع المعاد وأهميّته في منظومة المعارف الدينيّة............................ ١٩
أسباب أهمّية المعاد في القرآن.. ٢٣
الآثار الاجتماعيّة للإيمان بالمعاد.. ٢٥
الإيمان بالمعاد ودوره في حلّ المشكلة الاجتماعيّة للإنسان................ ٢٨
الآثار السلبيّة لإنكار المعاد.. ٣٥

المبحث الأوّل: الأدلّة والبراهين على حتميّة المعاد

الأوّل: دليل الحكمة.. ٤٣
المراد من الحكمة وصفة الحكيم.. ٤٣
الحكمة في خصوص الفعل... ٤٥
غاية الفاعل وغاية الفعل.. ٥٠
هل هناك مانع من تحقّق المعاد ؟.. ٥٢
الثاني: طلب الحقّ والحقيقة.. ٥٤

لماذا طلب الحقيقة ؟ ٥٩
اختلاط الحقّ بالباطل ٦٠
أين يلبّي الله تعالى الحاجة الفطريّة ؟ ٦٢
الثالث: دليل العدل الإلهي ٦٣
حقيقة الإنسان ٦٣
الجزاء بين الدُّنيا والآخرة ٧٠
لماذا الجزاء في الآخرة ؟ ٧٢

المبحث الثاني: حقيقة الموت

السنن الإلهيّة وأقسامها ٧٧
الموت سنّة إلهيّة لا تقبل التبدّل ٧٨
حقيقة الموت لغة وعرفاً ٧٩
حقيقة الموت عند الفلاسفة والمتكلِّمين ٨١
حقيقة الموت في الرؤية القرآنيّة ٨٥

المبحث الثالث: وقت الموت وكيفيّته

حقائق حول الإنسان عند الموت ٩٣
حتميّة الموت ٩٤
تقدّم الموت وتأخّره ٩٨
تعدّد الأجل ١٠٠
القضاء الإلهي وأقسامه ١٠٠
التقدير الإلهي وتعدّد الأجل ١٠٩

المبحث الرابع: سكرات الموت

الفارق بين الدُّنيا والآخرة بحسب المناهج ١١٣
سكرة الموت ١١٧
قبض الروح ١١٨
دور الملائكة في التدبير ١٢٠
اختلاف حالة الناس عند سكرات الموت ١٢٥
اختلاف الحالات في الروايات ١٢٩

المبحث الخامس: حضور النبي والأئمّة عليهم السلام عند المحتضر

استفاضة الروايات في هذا الباب ١٣٥
إضاءة على الروايات ١٣٦
كيفيّة الحضور وأسبابه ١٣٨
دليل الحضور ١٤١
دفع شبهة ١٤٢
الاحتضار أَمِن عالم الدُّنيا أم الآخرة ؟ ١٤٥

المبحث السادس: الروح الإنسانيّة

الإنسان في المنظور الإسلامي ١٤٩
منشأ النفس أو الروح الإنسانيّة ١٥٢
الدليل القرآني على كون الروح جسمانيّة الحدوث ١٥٥
وسائل تغذية الروح ١٥٩
تجرّد الروح الإنسانيّة ١٦٠
المراد من المادّي والمجرّد ١٦٠

شواهد نقلية أخرى ١٦٧
أوّلاً: شواهد من الكتاب ١٦٨
ثانياً: شواهد من السنّة ١٦٩
النفس والروح ١٧٢
مراتب النفس والروح في القرآن ١٧٧

المبحث السابع: البرزخ؛ إثباته وأقسامه

البرزخ في اللغة ١٨١
البرزخ في القرآن ١٨٢
فلسفة الحياة البرزخيّة ١٨٤
القبر الكلامي والقبر الفقهي ١٨٤
البرزخ الصعودي والنزولي ١٨٥
أحكام البرزخ النزولي والصعودي ١٨٨
الأدلّة القرآنيّة على الحياة البرزخيّة ١٨٩
إجماع الأمّة على البرزخ ١٩٣
العلاقة بين الدُّنيا والآخرة ١٩٥
سؤال وجواب ١٩٥
معرفة الناس بأحوال أهل البرزخ والعكس ٢٠٠
تمثّل الأعمال في البرزخ ٢٠٥
حقيقة الحياة البرزخيّة ٢١٢
البدن البرزخي: حقيقته وخصائصه ٢١٤
التكامل البرزخي للإنسان ٢١٩

المبحث الثامن: النفخ في الصور

القرآن والنفخ في الصور ٢٢٩
نفخة واحدة أم متعدّدة ؟ ٢٣٣
أشراط الساعة والنفخ في الصور ٢٣٤
حقيقة النفخ ٢٣٦
حال الإنسان بين النفختين ٢٣٧
المستثنون من النفخة ٢٤١

المبحث التاسع: المعاد الجسماني والروحاني

تمهيد ٢٤٥
مكمن النزاع ٢٤٦
نظريات الأعلام في حقيقة المعاد ٢٤٨
النظرية الأولى : أنّه لا فرق بين الدنيا والآخرة ٢٤٨
النظرية الثانية: إنّ حقائق ذلك العالم صور مثالية ٢٤٩
النظرية الثالثة: إنّ الآخرة نشأة أخرى وراء هذه النشأة ٢٥٢
النظرية الرابعة: إنّ المعاد جسمانيّ لا مادّيّ ٢٥٤
حقيقة الجسم المحشور يوم النشور ٢٥٧
دفع بعض الشبهات التي ترد على القول بالمعاد الجسماني ٢٦٠
الأولى: شبهة الآكل والمأكول ٢٦٠
الثانية: شبهة العينية والمثلية ٢٦٣
الثالثة: شبهة بعض الملاحدة ٢٦٦
في الختام ٢٦٨

المبحث العاشر: خصائص الحياة الأخروية

خصائص النشأة الأخرويّة ٢٧٣
مكان الجنّة والنار ٢٧٥
لهم فيها ما يشاؤون ٢٧٩
خصائص الأبدان الأخرويّة ٢٨٣
حقيقة الحياة الأخرويّه ٢٨٤
هل الحياة الآخرة موجودة الآن ؟ ٢٨٨

المبحث الحادي عشر: مواقف يوم القيامة

عدد المواقف يوم القيامة ٢٩٣
حقيقة المواقف والمراد منها ٢٩٥
المستثنون من المواقف ٢٩٨
مدّة المكث في الحشر الأكبر ٣٠٠
ماهيّة يوم الحشر ٣٠١
إشكاليّة التناقض في الآيات ٣٠٣
هل يمكن تقصير مدّة الوقوف في الحشر ؟ ٣٠٦
صور الناس في الحشر ٣٠٨

المبحث الثاني عشر: الصراط المستقيم في الدُّنيا والآخرة

دور الصراط المستقيم في حركة الإنسان التكامليّة ٣١٩
الصراط المستقيم في المفهوم القرآني ٣٢١
الصراط هو الإمام الحقّ ٣٢٤

الصراط والسبيل ٣٢٦
مصاديق الصراط المستقيم ٣٢٨
خصائص وصفات الصراط ٣٢٩

المبحث الثالث عشر : كتاب الأعمال يوم القيامة

كيف نفهم المعارف القرآنيّة ؟ ٣٣٥
المراد من الكتاب ومصاديقه ومراتبه ٣٣٨
كتاب الأعمال في آيات القرآن الكريم ٣٤٢
اختلاف الناس في استلام الكتب ٣٤٧

المبحث الرابع عشر : العلاقة بين عمل الإنسان والجزاء المترتّب عليه

المسالك لإصلاح الأخلاق ٣٥١
أنواع الجزاء الذي يترتّب على العمل ٣٥١
نوع العلاقة بين العمل والجزاء الأخروي ٣٥٣
الحاجة إلى المعصوم في معرفة باطن الأعمال ٣٥٥
ما هي العلاقة بين الإنسان وبين ملكاته ؟ ٣٥٦
كيفيّة الارتباط بين العامل وعمله ٣٦٦
الخلاصة ٣٧١

المبحث الخامس عشر : الحساب والميزان يوم القيامة

متى وقت الحساب؟ ٣٧٩
الإعلان العامّ للحساب ٣٧٩
الحساب والميزان في القرآن الكريم ٣٨٣

معنى الحساب ٣٨٦
الواقع المكشوف للحساب الإلهي ٣٨٨
السرعة في الحساب الإلهي ٣٩١
الاستقصاء وسوء الحساب ٣٩٣
طوائف الناس يوم القيامة ٣٩٦
العلاقة بين الحساب والميزان ٤٠٠
حقيقة الميزان ٤٠٢
كيفيّة الوزن ٤٠٧
تعدّد الموازين ٤١١
ثقل العمل وخفّته ٤١٢

الفهارس التفصيلية

فهرس الآيات ٤١٧
فهرس الأحاديث ٤٢٣
فهرس المصادر ٤٥٩
فهرس الموضوعات ٤٦٩